علياء الكاظمي

في انتظار النصيب

رواية

الطبعة السادسة

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

مكتبة 961

مكتبة | 961
سُر مَن قرأ

في انتظار النصيب
علياء الكاظمي
الكويت: ذات السلاسل، 2021
278 ص ؛ 24 سم.
الردمك: 978-9921-766-43-1
لوحة الغلاف للفنان: زياد غازي
تصميم الغلاف: عبدالرحمن الصواف
الإخراج الداخلي: خالد أبوحوران

مكتبة
t.me/t_pdf
16 - 9 - 2022

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة السادسة
1443 هـ - 2021 م

يمنع نسخ أو استعمال اي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

الناشر ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع P.O.Box 12041 Al-shamiyah, 71651 Kuwait

Thatalsalasil
Thatalsalasilbookstore
www.thatalsalasil.com.kw
+965 22466266/55
+965 22438304
info@thatalsalasil.com.kw

رواية

مكتبة | 961
سُر مَن قرأ

انتظار النصيب

علياء الكاظمي

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

انتظار
النصيب

كلمة للقراء ..

شكراً لاشتياقكم لقلمي ..

ولأنكم سألتموني مراراً عن موعد صدور روايتي الجديدة ..

أعتذر لأنني تأخرت عليكم هذه المرة ..

وأتمنى أن تكون عودتي لعالم الرواية عودة موفقة ..

أحبتي ..

أحداث هذه الرواية مزيج بين الحقيقة والخيال ..

وأي تشابه في أحداث هذه القصة مع الواقع هو تشابه مقصود جداً

مقصود مع سبق الإصرار ..

أحبكم جداً ..

أختكم الكاتبة

علياء فاضل الكاظمي

2021

مكتبة
t.me/t_pdf

الإهـــــداء

إلى صديقة البحر ..

إلى الفتاة التي تكلم الورد ..

إلى تلك الرقيقة التي تعشق الطبيعة ..

وتتغنى بجمال الأشجار ..

وتنتظر اكتمال القمر لتبتهج..

إلى المرأة التي لا تزال تعيش بقلب طفلة..

إلى أختي الحبيبة ..

الدكتورة **فاطمة فاضل الكاظمي..** أهدي هذه الرواية ..

شكراً على كل تلك الأوقات الجميلة التي منحتها لي ..

وتلك الأحاديث الدافئة التي لا تزال تنبض في قلبي ..

ممتنة لوجودكِ في عالمي ..

(1)

قالت أمي بطريقتها المعتادة: خالتك عنود دائما حقودة، أعرف أنها تعمدت إخفاء الأمر عني!

بقيت صامتة كعادتي عندما تتحدث أمي عن خالتي، فرغم أن خالتي عنود هي أختها الوحيدة إلا أنني لم أفهم أبدا لم لا تحبها!

أمي نورة مطلقة، في الأربعينات من العمر، وأنا وحيدتها، نعيش مع جدي لأمي في بيت العائلة، في حين تعيش خالتي عنود مع زوجها في منزل كبير يطل على البحر مع ابنهما باسل.

أكملت أمي: لو كانت خالتك امرأة صالحة لما سرقت زوجها عماد من زوجته!

تنهدت بضجر..

فأنا أعرف قصة خالتي جيدا، كانت تحب زوجها قبل زواجها منه بسنوات، لم يوافق أهله على زواجه منها، أرغموه على الزواج من قريبة له، عاش معها عدة أعوام، وأنجبت له الأبناء، لكن خالتي ظلت تسكن قلبه، ورفضت هي الزواج من غيره، وبالنهاية تزوجها دون موافقة أهله.

قصة تقليدية تحدث كل يوم، قصة لا يمكننا الحكم عليها ومعرفة الجاني فيها من المجني عليه، فخالتي عنود جميلة رقيقة، لا أتصور أنها تؤذي إنسانة أخرى عمداً، لكنه حب العمر الذي حرمت منه وعاد إليها، فهل كان عليها أن ترفضه؟ أم تفرح بعودته ليكلل حبها بالزواج بعد طول انتظار؟!

لم يهجر عمي عماد زوجته الأولى، ظل يتردد عليها، مقسما وقته على بيتين لفترة، إلى أن طلبت منه أن يترك بيتها ويبقى مع خالتي.. والأسباب لقرار كهذا يمكن تخمينها، لكن خالتي لم تكن تحب الكلام عن خصوصيات زوجها أمامنا..

أكملت أمي وهي تلتقط صحن المكسرات كعادتها: تتظاهر أنها مسكينة منذ صغرها، لكنها امرأة أنانية، لطالما حصلت على كل شيء أرادته رغماً عن الجميع ودون أن تكترث لمشاعر أحد!

قلت متثائبة: سأصعد لغرفتي، لدي امتحان في الغد بالجامعة..

قالت بسرعة: إبقي قليلا، لم أكمل حديثي بعد..

ابتسمت أجاملها كي لا تغضب مني: حاضر..

جلست وسرحت خلال حديثها السلبي المعتاد..

تحدثت عن خالتي بإسهاب، وذلك هو حديثها المفضل الذي لا تسأم منه.. نظرت إلى أمي، فكرت أنني لا أشبهها، بشرتها البيضاء، وبشرتي الحنطية، شعرها الخفيف الناعم وشعري الكث المتماوج، عينيها الصغيرتين الحادتين وعيني الناعستين الواسعتين. والأكثر اختلافا من الشكل كان اختلاف الطباع، خاصة فيما يخص خالتي الوحيدة..

كنت معجبة بخالتي عنود، إنها امرأة تضج بالحياة، فبالإضافة لجمالها الملفت كان دمها خفيف، لديها شخصية مميزة ولحضورها ضجيج لا يمكن تجاهله..

ابتسمت وأنا أتذكر ولدها الوحيد باسل، أيمكن أن تخطبني له؟ كنت أتمنى

أن تفعل، لكن أتريد خالتي أن تصاهر أمي؟ أيمكن أن أتزوج من رجل تكره أمي أمه لهذا الحد؟

انتهت أمي من صحن مكسراتها وانتهى معه حديثها المكرر لتلك الليلة، قالت لي: راجعي دروسك قبل أن تنامي، أريد أن أراك مهندسة.. لأغيظ خالتك عنود!

تنهدت، وقمت أخيراً لأنفض عن نفسي أثر كلامها، ما الذي سيغيظ خالتي إن أصبحت أنا مهندسة؟

ليتي أعرف السر وراء هذا الكره الذي يسكن قلب أمي، والذي لا أجد له مبرراً..

(2)

دخلت كافتيريا الجامعة لألتقي جود، أختي من أبي، الأخت التي تصغرني بعامين، وتدرس الهندسة معي في نفس الكلية.

كنت أحب جود كثيراً رغم محاولات أمي المستمرة بتخريب علاقتي بها ونظرتي إليها، كنت سعيدة بوجودها في حياتي، أنا التي عشت طفولتي وحيدة دون أخوة ثم وجدت لنفسي أختاً وأخاً أيضاً بعد أن دخلت الثانوية بالتحديد.

منذ طلاق أبي وأمي، حرصت أمي على أن تكرهني به بكل طريقة ممكنة، كانت تصفه بأبشع الصفات، البخيل، السيء، الأناني، وأسوأها كان الكاذب!

لم يستمر زواجهما الذي كنت ثمرته أكثر من ستة أشهر، لكن تلك الشهور الستة كانت كافية لتدمر نفسية أمي لما تبقى من حياتها، ففشلها السريع في حياتها الزوجية كان كفيلاً بمنعها من تكرار المحاولة..

قررت أمي أن تكرس حياتها لتربيتي وعشنا في بيت جدي محمد..

كان أبي يتصل بأمي أحيانا ويطلب منها رؤيتي، ولأنها كانت تتكلم عنه بالسوء دوما، كنت أخاف منه وأرفض رؤيته في المرات القليلة التي أتى فيها لرؤيتي في منزلنا، كنت وقتها أجلس ملتصقة بجدي ثم أجري لغرفتي مسرعة بمجرد أن يحاول أبي الاقتراب مني!

عندما دخلت الثانوية، أصر أبي على أن أزوره في بيته لأتعرف على عائلته،

أختي جود وأخي سلمان، كان إصراره قوياً لدرجة أنه صار يهدد أمي ويتوعدها إن لم ترضخ لما يريد.

خافت أمي، وصارت تبكي، وأثارت زوبعة من المشاعر التي أخافتني بشدة، لكنها قررت أن تسمح لي بزيارة أبي.. قالت لي يومها: شوق، لا تسمحي لهم بأن يخدعوك بلطفهم، تذكري أنهم أفاعي، وأنهم يخفون سمهم خلف أسنانهم المبتسمة!

دخلت منزل أبي والرهبة تحيط بي، استقبلني هو مع زوجته ريم، كانت ريم جميلة جدا، طويلة القامة، رشيقة الجسد، وجهها مستدير، وملامحها صغيرة دقيقة، وكانت أختي جود نسخة مصغرة منها.. في حين كان أخي سلمان يشبه أبي تماما..

جلست بين أهلي وقلبي يرتجف، كنت أريد الاندماج بينهم، أردت أن أعطيهم ثقتي، لكن تحذيرات أمي ظلت ترن في أذني..

كنت أستطيع أن أتفهم شعورها وهي تراني أتسرب من بين أصابعها إليهم، لكنني في تلك السن لم أكن أعرف كيف أزن الأمور، وكيف أقيم الناس وحدي دون التأثر بما تقوله عنهم.

أحببت جود منذ وقعت عيناي عليها، كانت جميلة كأمها وأطول مني رغم أنني الأكبر، ابتسمت لعينيها الضاحكتين وشعرها الناعم المسترسل على كتفيها.

كان سلمان شقياً مزعجاً، لكن خفة دمه تشفع له رغم أنه مشاكس كبير..

ومع تكرار الزيارات لبيت أبي، وبعد أن صارت هذا الزيارات شبه اسبوعية،

ذاب الجليد بيني وبين إخوتي، صار سلمان يشاكسني كما يفعل مع جود، وصارت زوجة أبي تتصرف أمامي على طبيعتها بلا تكلف وترتدي ملابساً منزلية بسيطة في حضوري..

كان أبي لطيف المعشر، حلو الحديث، بشوش الوجه، صرت أقرأ اسمه الملتصق باسمي بألفة.. شوق حامد، صرت أعرف من يكون حامد.. كما أعرف من تكون أمي نورة.

في بعض الأحيان كنت أتساءل إن كان أبي على حق في طلاقه لأمي، كنت أتخيل طريقة معاملتها له.. أكانت تزعجه وتتذمر أمامه طوال الوقت كما تفعل أمامي؟ أكانت تتشاجر معه كما تشاجرت مع جميع زملائها بالعمل قبل أن تتقاعد؟ أكانت تتهمه بما ليس فيه كما تتهم خالتي عنود؟

في داخلي جزء مني، جزء موجود ولو حاولت إنكار وجوده، جزء يدين أمي، ويشكك في نواياها وتصرفاتها، ويحملها الكثير من الخطايا في حقي وحق غيري.

كانت أمي تبتزني عاطفيا، كانت تتقن العزف بمهارة على أوتار مشاعري، تعرف كيف تجعلني أشعر بالذنب في أوقات فرحي، تعرف كيف تقلب سعادتي إلى ندم، وتعرف كيف تجعلني مجرد تابعة لها ولآراءها في الحياة.

عندما أكملت الثامنة عشرة من عمري، قرر أبي أن يقيم لي حفلة عيد ميلاد في بيته مع إخوتي، وقتها أخبرت أمي، فوافقت، وهمست في أذني: اطلبي منه أن يشتري لك سيارة ما دمت حصلت على رخصة القيادة.. فأنا لا أملك المال.

أومأت برأسي موافقة، كنت أعلم أن أبي سيوافق على طلبي، وسيشتري لي السيارة التي أريدها، لم يكن لدي أدنى شك بأنه سيفعل..

يومها ارتديت ثوبا جميلا بلون الورد وتزينت زينة خفيفة.. وأوصلني سائق جدي لمنزل أبي، كانت الصالة مزينة بالبالونات، وكعكة كبيرة تنتظرني مع شموع بعدد عمري الفتي.

قضيت وقتا هانئاً مع أخوتي الذين قدموا لي أجمل الهدايا وأرقها، اشترت لي جود عطراً، وقدم لي سلمان لوحة لفتاة تعيش في الريف، وأهدتني زوجة أبي سلسلة من الذهب تتدلى منها وردة بيضاء من الصدف، كانت تلك السلسلة جميلة للغاية فرحت بها جدا وارتديتها على الفور..

في نهاية الحفل العائلي الجميل احتضنني الجميع بحب غامر، وركبت مع أبي بسيارته ليوصلني لمنزل جدي..

التفت له قبل أن أنزل وقلت بخجل: أريد أن أطلب منك شيئاً، لكنني خجلة!

ابتسم أبي وقال: اطلبي كل ما تريدين حبيبتي..

ابتسمت لطيبته: أريد سيارة صغيرة، لا يمهمني نوعها أو ثمنها.. لكنني أحتاجها عندما أذهب للجامعة..

ربت أبي على رأسي بحنان وقال: حاضر..

فرحت بشدة، أشبعته تقبيلا، لم أكن أعرف وقتها أن أمي تطل علينا من نافذة غرفتها، وأن نار الغيرة قد اشتعلت في قلبها عندما رأتني في أحضانه حتى أحالته رماداً..

نزلت من سيارة أبي ودخلت البيت.. كان جدي جالساً في الصالة يشاهد التلفزيون.. ألقيت عليه التحية، وقبل أن أسمع رده علي، نزلت أمي الدرج وهي تولول: هذا جزاء أمك يا شوق؟ بعتي أمك من أجل رجل باعها؟ صار والدك الآن أقرب لك مني...

استرسلت أمي بالكلام دون أن تسمح لي بأن أستوضح الأمور منها، لم أستطع الرد عليها ولا أن أفهم سبب غضبها مني!

كنت قد ذهبت لمنزل أبي بموافقتها، وبناء على طلب منها أخبرته أنني أريده أن يشتري لي سيارة، قلت لها وأنا أرتعش: ماذا فعلت؟ أخبريني بم أخطأت؟

جنت أمي وشقت ثوبها وأخذت تلطم على خديها وهي تتهمني بالجحود!!!

تدخل جدي محاولا تهدئتها، انهارت على الأرض فأمرني جدي بالاعتذار منها على الفور! رغم أنني لم أكن أعرف عن ماذا أعتذر بالضبط..

اعتذرت منها باكية، خائفة، مرتبكة وأنا أسأل نفسي بم أذنبت؟

وقعت عيناها على السلسلة الراقدة على صدري، سألتني من أعطاني إياها، قلت بصدق غبي أنها من زوجة أبي.. شدتها أمي من رقبتي بقسوة، قطعتها.. ورمت بها على الأرض أمامي وسحقتها تحت نعلها ثم صارت تشتمني وتصفني بالعدوة! جريت من أمامها وأنا أبكي..

خاصمتني بعدها اسبوعاً كاملاً، تسبب خصامها لي بألم نفسي هائل لدرجة أنني لم أفرح أبداً عندما اشترى لي أبي سيارة فارهة جميلة.. خفت أن أركبها أو أقودها..

إلى أن تعطفت علي أمي وسامحتني.. وسمحت لي ببعض الفرح..

وصلت إلى جود، كانت تجلس على طاولتنا المفضلة، اقتربت منها وأنا أبتسم: كيف الحال؟

أشرق وجهها لرؤيتي وبدأنا نتحدث عن آخر أخبارنا وأنا أحمد الله بداخلي أن لي أختاً في هذه الحياة...

(3)

في مساء مختلف كنت أجلس مع جدي أمام التلفزيون..

نزلت أمي الدرج غاضبة وجلست وهي تسأل جدي: عنود تخطب لباسل وآنا آخر من يعلم؟

انقبض قلبي، شعرت بانكسار عظيم وأنا أسمع الخبر، قال جدي: أخبرتني بأمر الخطبة منذ أيام.

قالت معاتبة: ولم تخبرني؟ صرت تخفي عني أسرار العائلة؟ منذ متى يا أبي؟ أنت لا تثق بي! وعنود تعتبرني عدوة، تبلغني بخطبة ولدها كالغريبة، حتى أنها لم تأخذني معها للتعرف على العروس و..

انقبض قلبي أكثر وأنا أسمع لفظ العروس، كم تمنيت أن أكون عروساً لابن خالتي، زفرت بضيق فانتبهت لي أمي، قالت كأنها تولول: تخطب له فتاة غريبة وتترك ابنة أختها الوحيدة!

ضايقني كلامها، رغم أنني كنت أتمنى الزواج من باسل، قلت كاذبة: باسل مثل أخي، لم أكن لأوافق لو أنه تقدم لخطبتي..

أكملت أمي وكأن صوتي غير مسموع: الفتاة التي خطبتها كانت مخطوبة من قبل، وتركها خطيبها قبل الزفاف بأيام، تترك ابنتي لتخطب فتاة يعلم الله وحده ما تخفيه وراءها!

نهرها جدي وطلب منها عدم التحدث في أعراض الناس، حذرها بأن لها

ابنة، وكما تدين تدان، ومن الأسلم أن تتمنى لباسل السعادة وأن لا تتدخل فيما لا يعنيها!

صمتت أمي على مضض، لكن صمتها كان وقتياً فقط، ففي الأيام التالية لم يكن لها حديث إلا عن خالتي التي غدرت بنا ولم تخطبني لابنها.

تحدد موعد زفاف باسل، وفوجئت بأمي تدخل غرفتي لتقول: أريدك أن تكوني أجمل فتاة في الحفلة!

نظرت إليها بدهشة: لماذا؟

قالت: أريد أن يراك الناس، وأن تتم خطبتك لأكيد عنود، أريد أن أثبت لها خطأ اختيارها عندما خطبت لابنها فتاة غيرك!

قلت لأمي: تعرفين أن علاقتك بها متوترة، كيف تتوقعين منها أن تخطبني لولدها؟

لو كنت تريدين ابنها كان عليك مجاملتها وبناء علاقة لطيفة معها!

صرخت أمي: أنا لست منافقة، وما أفكر به أنطق به، أنا طيبة، قلبي صفحة بيضاء ولم أتشاجر مع أي أحد في حياتي، أختي طعنتني في ظهري وقهرتني وقهرت ابنتي الوحيدة، لكن لا، لن أسمح لها بأن تهزمني، يجب أن تتزوجي قريباً، يجب أن أكيدها!

هكذا كانت الحياة في نظر أمي، حياة كاملة تدور في فلك خالتي عنود وكيفية إغاظتها والانتقام منها!!!

اشترت لي أمي ثوباً غالياً لزفاف ابن خالتي، ثوباً أحمراً صارخاً كأنها تريد أن تعلن به ثورتها على هذا الزفاف وحجزت لي موعداً عند خبيرة تجميل

راقية ومشهورة..

أخذتني لسوق الذهب واشترت لي طقماً من الذهب المرصع بألماس صناعي، كان الطقم فخماً جميلاً، يبرق في الأضواء ليلفت الأنظار نحوي..

لم يخب ظن أمي بي في تلك الحفلة، أستطيع القول بتواضع أنني كنت أجمل فتاة فيها، قالت خالتي عنود عندما رأتني أمامها: شوق، تبدين رائعة، لم أكن أعرف أنك بهذا الجمال!

قالت أمي بغيظ: أعماك كرهك لأختك عن رؤيتها!

قالت خالتي بسرعة: سامحك الله يا نورة!! أنا أحبك كثيرا وأحب ابنتك!! ويشهد الله على ذلك، لكن كل شي نصيب، وسيأتي لشوق نصيبها إن شاءالله..

هكذا أحرجتني أمي، وأفصحت عما يدور ببالها بفظاظة كعادتها دون أن تراعي مشاعري أمام خالتي.. جلست بجوار أمي وأنا أحاول أن أتمالك نفسي..

حاولت أن أستمتع بالحفلة رغم كل شيء ورغم وجه أمي المكفهر الذي أراه أمامي كلما نظرت إليها، قررت أن أرقص وأظهر فرحتي بزواج ابن خالتي، حتى لو كانت الفرحة غائبة عني.

تحركت في القاعة كالفراشة، أتمايل على إيقاع الأغاني التي أحبها، تنظر لي الفتيات بحسد والأمهات بإعجاب، سألتني امرأة عن اسمي واسم أمي.. كنت جميلة كما لم أكن من قبل، وكأن الله صب هذا الجمال علي فجأة ليجبر خاطري.

دخلت العروس رغد على أغنية هب السعد، طلبت مني أمي أن أقف على الكوشة بجوار أخواتها، شعرت بالحرج أن أفعل، فأنا لا أعرفهن! والعروس نفسها لم تلتقي بي من قبل!

لكن أمي أصرت، اتجهت للكوشة ووقفت بين أخوات العروس وبدأت أصفق على إيقاع الأغنية ببطء وأنا أتأمل جمال رغد، كانت قصيرة القامة، خضراء العينين، لم أر أجمل من عينيها في حياتي.. شعرها أشقر داكن تتخلله خصل مصبوغة بلون أشقر فاتح، كانت ممتلئة الجسد بعض الشيء، لكنها جميلة.

بدت خالتي عنود فرحة بها، وكيف لا تفرح وهي عروس ابنها الوحيد، شعرت فجأة بالغيظ منها لأنها لم تخطبني لابنها، وأحسست أن أمي على حق في كرهها لها وكلامها عنها، زفرت لأطرد تلك الأفكار من رأسي، استعذت بالله من الشيطان الرجيم، وقررت أن أستسلم للنصيب الذي حرمني من أن أكون زوجة لباسل... ابن خالتي التي لطالما أحببتها رغما عن أنف أمي!

(4)

جلست أمام أختي جود والحيرة على وجهي.. قالت لي بلطف: ما المشكلة؟ يفترض أن تفرحي أن عريساً تقدم لك؟

لا أعرف لم خاصمني الفرح منذ اتصلت أم بشار لتخطبني لولدها بشار بعد أن رأتني وأعجبت بي في عرس ابن خالتي.

فرحت أمي بذلك الاتصال وصارت تزغرد بأعلى صوتها، صفقت وغنت وكأنني تزوجت فعلا!

قالت من بين زغاريدها: ستغتاظ خالتك، وستندم أنها فرطت بك!

كان بشار يكبرني بسبع سنوات، لم يكمل دراسته، ويعمل في مكتب أبيه العقاري، كان ميسور الحال، ولديه بيت يخصه وحده، كان البيت مؤجراً وسيتم إخلاءه في حال تم الزواج لنسكن فيه وحدنا.

أخبرت جود عن الضغط الذي تمارسه علي أمي منذ خطبة ابن خالتي، كانت تشعرني أن قطار الزواج فاتني، وأنني صرت عجوزاً لا يريدها أحد، تناست أنني في الثالثة والعشرين من عمري، وسأتخرج من الجامعة قريباً ليبدأ مستقبلي العملي وأتوظف.

لم يخطبني أحد قبل بشار، كان أول عريس يطرق بابي، قالت أمي: افرحي أن أم بشار اختارتك لابنها، أصبحتِ على وشك التخرج من الجامعة دون أن يخطبك أحد!

حكيت لجود عن موقف حصل معي عندما كنت في الثانوية، كانت معلمة

الرياضيات معجبة بي ولمحت لي أكثر من مرة عن رغبتها بخطبتي لأخيها.. كنت أشعر بالإحراج من تلميحاتها، وأشعر بالخجل أكثر لأنها معلمتي وأكن لها احتراماً كبيراً، أخبرت أمي وقتها عن الموضوع، ففرحت بشدة وطلبت مني أن أعطيها رقم هاتفها لتتفاهم معها على موضوع زواجي، ثار جدي وقتها ورفض، وأصر على أن أكمل دراستي أولاً قبل التفكير بالزواج، ولازلت إلى هذه اللحظة ممتنة له على ذلك.

قالت جود: غريب أن ترغب أمك بتزويجك رغم صغر عمرك وقتها..

قلت بضيق: ظلت تتحسر على ذلك العريس الذي طار من بين يدينا منذ وقت طويل..

قالت جود مبتسمة: خطبني ابن جيراننا منذ فترة، ربما أوافق عليه!

فرحت من أجلها وقلت بحماس: صحيح؟

قالت: نعم، أعرفه منذ الصغر، وأكن له الكثير من الود.. وأمي موافقة وأبي أيضا..

قلت وكأنني صرت ولية أمرها: ودراستك؟

قالت: كثيرات تزوجن خلال الدراسة، سأنظم وقتي، أنا متفوقة، وأستطيع ذلك..

انقبض قلبي وأنا أتخيل وقع الخبر على أمي عندما تتزوج أختي جود قبلي، سُتسمعني مر الكلام، وستعايرني بأن أختي أفضل مني وأذكى.. ربما كان من الأفضل أن أفرح ببشار، وأُحسن استقباله، وأحاول أن أتزوجه كي لا يفوتني قطار الزواج السريع!

(5)

كانت أم بشار التوأم الروحي لأمي، كانت تشبهها في طباعها إلى حد كبير، لم يتوقف الحديث بينهما قط منذ دخلت بيتنا، على عكس ذلك الحديث الذي لم نتمكن أنا وبشار من بدئه حتى!

كان بشار هادئاً إلى حد مريب، لم ينظر إلى وجهي أبداً منذ دخلت الصالة لأسلم عليه وعلى أمه، جلست على مقربة منه، في حين انشغلت أمي تماماً بالحديث مع أمه عن أزمة الخدم وقلة وفائهم هذه الأيام!

نظرت لبشار أتأمل ملامحه خلسة، لفتت نظري رموشه الطويلة، كان ينظر إلى حذائه طوال الوقت، لم يوجه لي حديثاً ولم يرفع عينيه إلى وجهي!

شعرت بإحباط شديد بعد أن رحل مع أمه دون أن يتبادل معي كلمة واحدة!

صرخت في وجه أمي أنني لا أريده، فصرخت في وجهي: الولد طيب وهادىء، وأمه رائعة، ستحبك، وستعاملك أحسن معاملة و..

قاطعتها: لا أريده، ثم أنني لن أتزوج أمه! لم يلتفت الرجل إلي ولم يكلمني أبداً، لا أريد رجلاً جامداً مثله، أريد رجلاً تضج منه الحياة!!

انتهى ذلك النقاش بعد أن تحول إلى شجار، وانهمرت دموعي إلى أن تدخل جدي ومسحها عن خدي كعادته..

وبعد اسبوع أصرت أمي أن أرى بشار ثانية، لم تقم برفضه كما طلبت منها، كانت متمسكة بأمه التي أحبتها وأعجبت بها وتريد أن تقدمني هدية لها!

في لقائي الثاني ببشار بدا واضحاً أن أمه قامت بالواجب معه وطلبت منه أن يتحدث معي وأن يتصرف بشكل مختلف عن المرة الأولى..

جلست أمامه غاضبة، لم أصفف شعري بالصالون ولم أرتدي أجمل ثيابي كما في أول لقاء، كنت محبطة، ولم أكن أريد الزواج من هذا الرجل ولا رؤيته ثانية، لكن إرادة أمي أقوى من إرادتي.

قال بشار بلطف بعد أن تنحنح قليلاً: آسف لأنني لم أتحدث معك في المرة الماضية، لكنني خجول بطبعي، لم أعتد الحديث مع النساء..

استغربت كلامه، قلت بجرأة لم تكن من طبعي: ظننت أنني لم أعجبك! لم عدت من جديد؟

نظر لي بدهشة وقال وهو يحدق بوجهي أخيراً: بالعكس، أعجبتني كثيراً، لقد سعدت بكِ! أنتِ فتاة يتمناها كل شاب!

لان قلبي فجأة أمام أول كلمة حلوة يقولها لي رجل، لم تكن لي مغامرات عاطفية، كنت دائماً فتاة عاقلة متزنة ومشغولة بدراستي وأحاديث أمي ومشاكلها التي لا تنتهي.

لم أكن أفكر بالأولاد في مراهقتي، كنت مستقيمة بطبعي، لم أُتعب أمي قط في تربيتي ومراقبتي ولم أشعرها بالقلق حيال سلوكي أبداً.

كان اللقاء الثاني مع بشار مجدياً وترك بداخلي أثراً أفضل من لقائنا الأول، صحيح أنه قليل الكلام، لكنه محترم لطيف، لفتت نظري ضحكته، كانت عيناه تختفيان عندما يضحك وتتحولان إلى خطين بشكل الهلال المقلوب!

ـوجدت في نفسي ميلاً نحوه، بدوت أكثر لطفاً مع أمي عندما غادر، وبدا

الانتصار واضحاً على ملامح وجهها..

قالت والفرحة ترن في صوتها: أخبرتك أنه شاب ممتاز، الحمدلله أنك أعطيته فرصة ثانية.

شكرتها على إصرارها على إعطائه هذه الفرصة واعترفت لها أنني تسرعت في حكمي عليه أول مرة..

نمت تلك الليلة وطيف بشار يختبىء تحت جفني، تخيلته عريساً يزف إلي في حفلة عرس كبيرة، تخيلته وسيماً بالبشت ثم تخيلت نفسي أعيش معه في بيت كبير ولدينا الكثير من الأولاد..

بدأ قلبي يخفق لفكرة الزواج وتأسيس عائلة، حلمت أحلاماً وردية جميلة، أحلاماً دافئة، كدفء لحافي الذي تدثرت به مع أحلامي البريئة.

(6)

مكتبة
t.me/t_pdf

أعلنت أمي خبر خطبتي من بشار في نفس اليوم الذي سمعت فيه بخبر خطبة أختي جود!

الحياة مع أمي تشعرك أنك في سباق!

تشعرك أنك تحتاج للجري دائماً لتسبق الآخرين وتثبت لهم أنك أفضل منهم.

لم يمض وقت طويل على معرفتي ببشار، في حين كانت مكالماتنا الهاتفية اليومية المتباعدة باردة للغاية، كان عاجزاً عن مسايرتي في الحديث، يصمت طويلاً فاضطر لإنهاء الاتصال والحيرة والإحباط يغمران قلبي.

كانت أمي فرحة أكثر مني بعريسي الصامت، كانت تسابق الوقت ليُعقد قراني قبل أختي، قالت والتحدي يلمع في عينيها: لن تتزوج ابنة ريم قبل ابنتي!

توقفت أمي عن مراقبة خالتي عنود وصارت مشغولة بمراقبة ابنة طليقها!

خابت مساعي أمي عندما تمسكت برأيي بخصوص موعد الزفاف، لن أتزوج قبل أن أتخرج من الجامعة، لا يهمني إن تزوجت جود قبلي.. لا آبه لو أن بنات العائلة تزوجن جميعاً وبقيت وحدي بلا زواج، أريد أن أحصل على شهادتي الجامعية أولاً، وإن كان بشار مستعجلاً فليبحث عن غيري!

اضطرت أمي لمسايرتي كي لا أتهور وأفسخ الخطبة برمتها بعد أن هددتها بذلك..

كانت تلك الخطبة أشبه بعربون صداقة تقدمه أمي لأمه، كانت تريد لهذا

الزواج أن يتم بشكل محموم، لم أفهم لم أحبت أمي أمه وأعجبت بها لحد التضحية بي.

وفي ليلة زواج أختي جود، أثارت أمي زوبعة من المشاكل المفتعلة لأنني لم أوافق على مخططاتها التي تقتضي بأن أتزوج قبل أختي الصغرى!

ذهبت إلى عرس جود متضايقة، كان الحزن يخيم على كل ملامحي، ارتديت نفس الثوب الذي ارتديته من قبل في عرس ابن خالتي، بدوت نفس الفتاة التي كنتها في عرس باسل، لم أجد ضيراً في ذلك فالعائلتين مختلفتين والمعازيم أيضاً..

لكن الاختلاف هذه المرة كان في اصبعي الأيمن الذي صار يحمل دبلة رفيعة قدمتها لي أم بشار لأرتديها ليعرف الناس أنه تم حجزي لولدها الصامت!

أوصلني سائق جدي للصالة التي يقام فيها العرس وأوصيته بأن يعود لأخذي عند الواحدة صباحاً.

كانت زوجة أبي جميلة وشابة وكأنها أخت للعروس لا أمها، بدت خالات العروس أنيقات رشيقات، سلمت عليهن بمودة، واخترت مكاناً قريباً من الكوشة..

نادتني زوجة أبي لاحقا وطلبت مني الذهاب لجود لأساعدها في ارتداء ثوبها فهي مشغولة بالمعازيم، شعرت بامتنان عميق لهذه البادرة الطيبة منها، فقد كنت أتوق لرؤية أختي قبل نزولها لكنني شعرت بالخجل من الذهاب إليها دون أن يُطلب مني ذلك.

طرقت باب أختي مبتسمة، دخلت بعد أن سمعت صوتها وهي تدعوني للدخول..

هالني وجهها المريع الذي تبدلت ملامحه الجميلة الناعمة بفعل المكياج الكثير الذي لطخت به خبيرة التجميل وجهها..

بدت جود سعيدة جدا، قالت بفرح: ما رأيكِ؟

كنت بين أمرين، الأول أن أخبرها أن شكلها مريع فترتبك وتحاول أن تحسن وضع تلك الأصباغ التي رسمت لوجهها وجهاً لا يشبهها فوق وجهها الحقيقي!

والثاني أن أجاملها فتظل سعيدة واثقة بنفسها طوال الحفل، خاصة وأن وقت نزولها للمعازيم قد اقترب، ولم يعد من الممكن إصلاح ما أفسدته خبيرة التجميل المبدعة!

ابتلعت ريقي لأنطق بأكبر كذبة كذبتها في حياتي: تبدين.. رائعة!

ابتسمت أختي بطيبة وحدقت في مرآتها، ربما اعتادت عينيها على شكلها الجديد، وربما كان هذا ذوقها الخاص في زينة عرسها، لم يكن لي الحق بإفساد ليلة عمرها، لكنني عاهدت نفسي أن أبدو طبيعية جداً في ليلة زفافي حتى وإن اضطررت للاستغناء عن مساحيق التجميل كلها لأظل كما آنا.. ولأعرف نفسي في مرآتي، وفي الصور لاحقاً!

صدحت أغنية هب السعد في القاعة..

هب السعد..

هبايبه لرياحي..

ويا شارية العباد..

وين صلاحي..

خطت جود أولى خطواتها لتنتصب واقفة بين عشرات العيون التي تقيم جمالها وطلتها، أحسست برهبة الموقف، تخيلت نفسي مكانها فارتعشت ركبتاي بخوف، إنه موقف مهيب صعب، أن تكون فتاة واحدة واقفة أمام حكم العشرات، بعضهن يحببنها وفرحات من أجلها والبعض الآخر تأكل الغيرة قلوبهن ويبحثن عن عيوبها بعين الكره والحسد.

كانت الحفلة مرتبة وسار كل شيء فيها على ما يرام، جلست زوجة أبي بجوار ابنتها على الكوشة لتلتقط لهما المصورة بعض الصور التذكارية، بدت حينها أصغر من جود سناً، وأكثر جمالاً، اكتشفت يومها أنني أعشق الجمال الطبيعي، أخرجت من حقيبتي مرآتي الصغيرة وتطلعت إلى وجهي، حمدت الله على أنني طبيعية تماماً، لا زينة مغيرة، ولا شفاه ووجنات منتفخة كالمخدات كأغلب المدعوات!

زف عريس أختي إليها، إنه وسيم، يليق بها في حالتها الطبيعية، شعرت أنهما سيكونان سعيدان معاً، فالفرحة في عينيهما كفيلة بأن تخبر الجميع أنهما متحابان وسعيدان بهذا الارتباط المبارك..

انتهى الحفل اللطيف، تصورت مع أبي وزوجته وأخي على الكوشة مع المعاريس، فرح أبي برؤيتي لدرجة أنه قبل رأسي، ربما أشفق علي! لا أعرف لم، لكنني متأكدة أنه فعل، لقد غلبته مشاعره نحوي، لابد أنه شعر بالأسى لأنني لم أتربى في حضنه ولم أكبر أمام عينيه..

لم تقم ريم بدعوة أمي لعرس جود ولو على سبيل المجاملة، لابد أنها خافت من المشاكل.. ورغم استياء أمي لم أستطع لوم ريم في داخلي، لقد فعلت الأسلم والأصلح بلا شك.

خرجت من العرس لأجد السائق بانتظاري، ركبت معه مرهقة وعلى الفور خلعت حذائي المزعج ذو الكعب العالي فشعرت بألم حاد يمتد من أسفل قدمي ليشمل كل ساقي..

تنهدت وأغمضت عيني، لا أعرف كم مر من الوقت تحديداً عندما شعرت بالسيارة تتوقف، خلت أننا وصلنا للبيت فتحت عيني فإذا بنا على جانب الطريق العام..

نظرت للسائق وسألته: ماذا حدث؟

قال سائقنا الكبير بالسن: السيارة لا تعمل!

فوجئت بما قال وقبل أن أرد عليه نزل من السيارة وأخذ يتفحص مكينتها..

بقيت مكاني قلقة، كانت الساعة قد اقتربت من الثانية فجراً، ولم يكن من اللائق أن تتعطل بنا السيارة وآنا في ملابس الحفل، والسائق معي وحدنا..

صحيح أنه سائق جدي منذ أكثر من عشرين عاما، وأننا نثق به ثقة عمياء، وأنه أكبر من أبي بالعمر، لكنني شعرت بالخوف ونحن وحدنا في الشارع وأنا بهذا الزي!

استعذت من أفكاري التي صورها لي التعب، قلت لنفسي أننا في شارع عام فلا داعي لأن أقلق.. فكرت بالاتصال بأمي، لكن ماذا ستفعل؟ أتأتي لتأخذني في هذا الوقت أم ماذا!

عاد السائق ليقول: السيارة لا تعمل!

زفرت بحيرة، وقبل أن أفكر بالحل، اقتربت منا سيارة جيب، وركنت بالقرب منا..

ونزل منها.. حبي الأول!!

(7)

أتاني الحب على غفلة مني في وقت كنت فيه مخطوبة لرجل لا أحبه ولا مقتنعة به..

دخل عيسى حياتي تلك الليلة، كان أسمر البشرة، ممشوق الجسد، نزل من سيارته الجيب ووقف أمام عيني فنظرت إليه بدهشة، شعرت بشيء يشدني لهذا الرجل، خالجني شعور مبهم لم أستطع تفسيره، أحسست أنني كنت أبحث عنه طوال عمري، فابتسمت!

فحص عيسى سيارتنا بمهارة، وخلال دقائق عادت السيارة للعمل، قال لي: خذي رقمي، اتصلي بي في حال تعطلت مرة أخرى خلال الطريق..!

أخذت رقمه وسجلته في هاتفي النقال، نظر في وجهي وابتسم وقال: اسمي عيسى..

لاحظت أنه يحدق في وجهي بإعجاب فشعرت بالخجل منه، فقد كنت في زينة عرس، لابد أنه عرف ذلك خاصة وأنني خارج بيتي بهذا الوقت المتأخر.

قال بسرعة: أتعرفين، سألحق بكم للبيت، لأتأكد أنكم وصلتم بأمان..

أومأت رأسي موافقة، وشكره سائقنا بحرارة لمساعدتنا..

لحق بنا عيسى إلى أن وصلنا إلى البيت، ظل واقفاً وأنا أنزل من السيارة حافية وأحمل بيدي حذائي الذي لم أطق حتى فكرة ارتداؤه من جديد..

التفت نحوه قبل أن أدخل، فلوح لي وهو يبتسم ضاحكاً لأنني بلا حذاء..

فابتسمت له ابتسامة كبيرة جداً، لدرجة أنني شعرت بالطلاء الجاف يتشقق فوق شفتي!

دخلت المنزل، وجدت أمي جالسة أمامي، ففزعت، كانت الصالة شبه مظلمة، ولم أتوقع أنها ما تزال مستيقظة!

قالت: كل هذا الوقت في العرس؟ أخبريني عن كل شيء، أريد أن أعرف كل التفاصيل..

تنهدت بإرهاق وقلت: غداً أحكي لك كل شيء بالتفصيل الممل، أنا متعبة الآن.. أريد أن أنام!

لكن هيهات، أصرت أمي على أن أتكلم، وبدأت معي تحقيقاً دقيقاً عن كل تفاصيل الحفل المجيد، شعرت بالضيق، كان دوي الأغاني لا يزال يصدح في رأسي، وجسدي كله يؤلمني وقد ضقت بفستان السهرة الذي أرتديه، شعرت برغبة ملحة بالدخول للحمام لأغسل وجهي وأريحه من كل المساحيق التي لوثته.. كانت بشرتي تختنق!

أحسست أنني مستعدة لعمل أي شيء لأعود على طبيعتي وأرتدي بيجامتي المريحة وأندس في فراشي الوثير بين وسائدي..

قلت فجأة: أريد أن أذهب لغرفتي..

وقفت وتحركت نحو الدرج لأصعد، فاجأتني أمي بقولها: عليكِ أن تحددي موعد عقد قرانك على بشار!

تجمدت ورددت عليها: لا.. اتفقنا أن يكون ذلك بعد التخرج، ولن أغير رأيي، أرجوك لا تضغطي علي، أنا لست بسباق مع جود.. ولا مع أي أحد!

مستقبلي يخصني وحدي وأنا من ستقرره!

قامت أمي فجأة وصرخت بأعلى صوتها: تكلمين أمك بهذا الاسلوب؟ أنتِ بنت عاقة و..

انهالت علي اتهاماتها دون أن أجد في نفسي القدرة على صدها، أتى جدي مفزوعاً على صوت صراخها، حاول تهدئتها دون جدوى، تحركت نحو غرفتي وصراخها يلاحقني وهي تتوعدني وتصرخ خلفي: ستتزوجين بشار، شئتِ أم أبيتِ!

(8)

خاصمتني أمي بعد زفاف أختي، كانت ترفض محادثتي تماماً وتترك المكان الذي أتواجد فيه وكان جدي يهز رأسه أسفاً على أفعالها التي يراها أمامه ويعجز عن تغييرها.

قررت أن أكون قوية لأجلي، كان بشار بعيداً عني بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى، صارت مكالماتنا متباعدة بشكل صريح، بدا التنافر بيننا واضحاً أكثر من أي وقت مضى، لم يكن يسأل عني، ولم أكن لأبادر أنا بالسؤال عنه، لم يعد يعنيني هذا الرجل البارد، لم أعد أريده لكن خصامي مع أمي جعلني أضطر لتحمل الوضع، كي لا تفسر تركي له في هذا الوقت بالذات على أنه تحدٍ لها.

في عصر يوم ما، خرجت من الجامعة بسيارتي، وتوجهت إلى أحد المقاهي لأشتري قهوتي المفضلة قبل أن أعود للبيت، أخذت عاملة المقهى طلبي الذي تعرفه، وبعد حديث قصير معتاد معها، التفت لأجد عيسى أمامي فانتفض قلبي!

عرفته فوراً رغم أنني التقيت به ليلاً في المرة السابقة، عرفته من نظرة عينيه العميقة التي كانت تعاتبني، سألني على الفور: لماذا لم تتصلي بي؟

ابتسمت.. جهزت قهوتي، فأخذتها، طلب مني أن أجلس معه لنتحدث فشعرت بالقلق، فأنا لم أجلس مع رجل غريب وحدنا في حياتي، لم أكن معتادة على هذه الأمور، حتى بشار خطيبي لم أره في مكان عام أبداً!

حسمت أمري وجلست أمام عيسى، أعاد سؤاله: لماذا لم تتصلي شوق؟

ابتسمت: تعرف اسمي؟

قال: أعرف الكثير عنك !

قلت: تعرف كل شيء؟

استغرب سؤالي: ماذا تقصدين!

قلت وأنا أزفر: أنا مخطوبة!

بدت الصدمة على وجهه.. فأردفت مسرعة لأخفف وقع الصدمة عليه: لكني سأترك خطيبي قريباً، لسنا متفاهمان وأنا لا أريده!

لانت قسمات وجهه الوسيم، وحكيت له باختصار عن وضعي مع بشار، بدا متفهماً ومرتاحاً أن قراري هذا لا علاقة له به، وواقعا، لم يكن لعيسى علاقة برغبتي بترك بشار فعلاً، فأنا لا عرفه بشكل وطيد، لكن إعجابي به جعلني أتيقن أن بشار لا يملأ عيني ولا مستقبل لي معه.

بدأت أحادث عيسى بالهاتف من يومها، كان حديثه شيقاً، عرفت أنه يعيش مع والدته، والده متوفي، ولديه أخت تصغره بالعمر وهي مطلقة وعندها ولدين.

كانت منطقة سكنه قريبة من منطقة سكني، أحسست به قريباً مني، كان عيسى يستطيع أن ينسيني العالم عندما يحادثني، كان يهوى التصوير، ولديه العديد من الكاميرات المتطورة، وفاز في عدة مسابقات محلية وخارجية.

ذهلت عندما أرسل لي بعض صوره، لديه حس مرهف، إنه فنان مبدع،

كان يعمل في إحدى الوزارات صباحاً ويمارس التصوير كهواية، لديه شهادة جامعية من مصر التي درس فيها، تفاجأت عندما أخبرني عيسى أنه في الثلاثين من عمره، ظننت أنه يقاربني في العمر، فشكله أصغر من عمره.

في عطل نهاية الاسبوع كان عيسى يذهب لشاليه أصدقائه، ويبيت فيه معهم.. كنت أغار من هؤلاء الأصدقاء الذين يخصص لهم عيسى كل ذلك الوقت، ألا يزال الوقت مبكراً على الغيرة؟ صحيح.. لكنني كنت أشعر كما لو أنني أعرفه منذ زمن.

طال خصامي مع أمي، ارتحت من شجارها وصراخها وافتعالها للمشاكل، ولأنني لم أكن أريد أن أكون فتاة خائنة اتصلت ببشار لأنهي موضوع ارتباطي به..

فرصة أن أتركه وأضع أمي أمام الأمر الواقع، لأنها بكل الأحوال لن تقبل بتركي له..

قلت له بلطف على الهاتف: أنت شاب محترم تتمناك أي فتاة، لكنك لم تُخلق لي!

قال والصدمة تهز صوته: لم؟ إذا كنت قد ضايقتك فأنا لم أقصد! أخبريني ماتريدين وسأفعله من أجلك!

قلت بيأس: لن تستطيع تغيير نفسك من أجلي، لن تستطيع تغيير شخصيتك وطباعك، وستجد من تحبك وترضى بك دون أن تتغير، صدقني، هناك نصيب لك مع فتاة أخرى، وستلتقي بها في يوم ما..

قال بانفعال لم أتوقعه منه: لكنني أريدكِ أنتِ.. لا أريد فتاة غيرك!

ورغم أن كلامه أثار غرور الأنثى بداخلي، لكنني لم أكن أريد أن أخدعه فقلت: أنا حقاً آسفة، يجب أن ننهي ارتباطنا.. وسأبلغ أمي بقراري لتتحدث مع أمك.. أتمنى لك التوفيق في حياتك.. مع السلامة!

أنهيت الاتصال بسرعة دون أن أسمع رده، وحظرت رقمه من الاتصال بي كي لا يصل إلي في حال فكر بذلك.. كنت متأكدة من قراري، وكنت أعيش قصة حب جديدة مع رجل خلب لبي وسرق مني قلبي..

استجمعت شجاعتي وقمت لأخبر أمي الغاضبة علي بالخبر الذي سيغضبها أكثر بلا شك، لكن لا مجال للتراجع، عليها أن تعرف.. يجب أن تعرف قبل أن تتصل أم بشار بها.

كانت أمي تجلس أمام التلفزيون مع جدي، أتيت وجلست في المقعد المقابل لها، نظرت لي خلسة وصدت عني إلا أنها لم تغادر مكانها هذه المرة..

تنهدت وأنا أطلب من الله القوة لأكمل ما أتيت من أجله..

قال جدي بطيبته المعهودة: شعرك طال يا شوق، لا تقصيه، تبدين أجمل به.

ابتسمت له ووعدته: لن أقصه، لا تقلق..

ابتسم لي جدي الحبيب.. شعرت وقتها كم أحب هذا الرجل المسالم الذي عشت في كنفه، الرجل الذي لم يصرخ في وجهي يوماً ولم ينهرني أبداً.

شعرت بالشجاعة تغمرني، سيقف جدي في صفي، لابد أنه سيفعل..

استجمعت جرأتي..

قلت فجأة: أمي، هناك أمر يجب أن تعرفي به..

انتبهت لي وقالت وهي تنظر في وجهي: لن أقبل اعتذارك.. الأم عندما تطرد أبناءها من الباب عليهم أن يقفزوا لمراضاتها من الشباك! الجنة تحت أقدام الأمهات يا شوق..

زفرت: صحيح، أنتِ أمي، وجنة حياتي، ولا غنى لي عنكِ..

بدأت أمي تلين: الآن فقط تذكرت أن لكِ أم؟

قلت بسرعة: أنتِ التي تقومين من مكانك كلما دخلت عليك.. الحمدلله أن جدي هنا ليشهد بنفسه، صحيح ما أقوله يا جدي؟

قال جدي: صحيح يا ابنتي، قومي يا شوق وقبلي رأس أمك!

قمت من مكاني وضعت يدي على كتف أمي وانحنيت لأقبل رأسها، لاحظت ارتعاشة يدي، كنت خائفة مما سيحدث قريباً بعد أن تعرف أنني فسخت خطبتي..

قبلت رأسها بشفتين مرتعشتين فاتسعت ابتسامتها ومدت لي يدها..

انحنيت وقبلت يدها أيضاً كما تريد.. لم أكن لأرفض تقبيل يد أمي، فهي أمي مهما حصل بيننا وأنا أحبها رغم صعوبة طباعها وشراستها.

جلست مكاني أخيراً وبدا الوضع طبيعياً، لاحظت أن هاتف أمي لم يكن بجوارها فارتحت، لدي بعض الوقت قبل أن تكلمها أم بشار..

شاهدنا حلقة من مسلسل عائلي جميل وعندما بدأ جدي يتثاءب قررت أن أفجر قنبلتي قبل أن ينسحب للنوم فأظل وحدي في مواجهة قذائف أمي.

تنحنحت وقلت أخيراً: لدي خبر أريد أن أقوله لكم!

التفتت أمي نحوي بلا مبالاة وكان جدي يفرك عينيه..

قلت وأنا أحاول أن أبتسم فبدوت بلهاء: آنا وبشار، تركنا بعضنا!!

لم أستطع أن أقول أنني تركته، ففضلت أن أجمل الحقيقة قليلاً، على الأقل في البداية..

شهقت أمي: ماذا تقولين!!!! لماذا؟؟؟ ماذا حدث؟ تشاجرتما؟

قلت: لم نتشاجر، إنه قرار اتخذناه في ساعة صفو وبعد تفكير عميق، نحن لا نصلح لبعضنا.. أنا لا أريده!

صرخت أمي: إذن أنت التي فسختِ الخطبة صحيح؟

أم بشار حادثتني هذا الصباح وأخبرتني أن ولدها سعيد بك ويتمنى أن يتم عقد قرانكما بأسرع وقت، أنتِ خربت كل شي!

لا أريد أن أذكر التفاصيل، لكن ما خشيته وتوقعته قد حدث، تحول الصلح الذي حصلت عليه للتو بعد جهد جهيد إلى شجار كبير، تجاهلت أمي كلام جدي عن حقي باختيار شريك حياتي والانسحاب من زواج لن يسعدني ولست مقتنعة بإتمامه.

صرخت أمي وشقت ثوبها وكأن بشار آخر رجل في العالم، كالت لي الشتائم والتهم، قالت إنني ابنة عاقة ولن أرتاح إلا عندما أقتلها قهراً!

حاولت أن أوضح لها أنني وبشار متباعدان، البرود هو سيد علاقتنا، لا يوجد أي توافق بيني وبينه، لا أستطيع تخيل نفسي زوجة له، لم علي أن أجني

على نفسي من أجل رجل أمي معجبة بأمه وتصر على صداقتها ومصاهرتها!!

لم تنتهي الليلة على خير، فوجئت بأمي تدخل غرفتي وتفتح دولابي لترمي ملابسي على الأرض وهي تطردني من البيت...

دخل جدي خلفها، حاول تهدءتها دون جدوى، أصرت أن تطردني في هذا الوقت المتأخر غير آبهة بكرامتي ومشاعري..

بكت وهي تدعو علي وعلى نفسها وتلعن اللحظة التي أنجبتني فيها، أقسمت أن تقتل نفسها إن لم أخرج فوراً من بيتها!!

اتصلت بأبي كي ينقذني، أخبرته على عجل بما حدث وأنا أبكي، كان صراخ أمي مسموعاً..

فطلب مني أن أجهز نفسي لأنه سيأتي ليقلني.

لا تعرفون كم شعرت بالمهانة يومها وأنا أخرج من بيتنا بلا ذنب، شعرت أنني أكثر المخلوقات تعاسة على وجه الأرض..

وعندما ركبت بجوار أبي انهمرت دموعي ألماً وخوفاً.

ربت أبي على رأسي وقال: ستهدأ وستعودين إليها، امنحيها بعض الوقت..

كدت ألومه على اختياره لها، فلولا أنه تزوجها لما كنت في هذا الوضع الآن!

تمنيت وقتها لو أن أمي امرأة هادئة، لو أنها استطاعت احتوائي وتفهمي، لم أكن أستوعب كيف هنت عليها إلى هذا الحد.

وصلنا إلى منزل أبي، وجدت ريم زوجة أبي بانتظاري، كانت تتصرف

بطريقة طبيعية وكأنها لا ترى حالي ودموعي، أخذتني لغرفة أختي جود التي سافرت لشهر العسل بعد زواجها..

كانت الشراشف معطرة والغرفة في حالة رائعة من النظافة، وضعت رأسي على وسادة أختي باكية.. تمنيت لو أنها معي، تسمع شكواي وتحمل معي همي..

شعرت كم أنا وحيدة في هذه الدنيا، غرقت في نوم أشبه بالإغماء تخللته أحلام مزعجة بين الواقع والخيال..

صحوت في صباح اليوم التالي متورمة العينين، والحزن يجثم على قلبي..

جلست في سريري وأنا أفكر، لم أكلم عيسى ولم أنظر لهاتفي النقال منذ الأمس..

أمسكت هاتفي فوجدت عدة اتصالات من عيسى وعدة رسائل منه فكتبت له: تركت خطيبي البارحة، وثارت علي أمي، سأحادثك لاحقاً عندما تهدأ الأمور.

أرسلت له رسالتي فرد علي على الفور، يبدو أنه كان قلقاً علي، كتب لي: هل أنتِ بخير؟

كتبت له: لا تقلق، سأكون بخير..

رن هاتفي قبل أن أتركه فإذا به رقم منزلنا، لابد أنه جدي من يتصل، لم أستطع السيطرة على انفعالي فانهمرت دموعي دون أن أرد عليه..

(9)

عندما يخرج المرء من بيته بعد شجار عنيف، يشعر بانهزام لا يطاق، كنت أحتاج للكثير من حاجياتي، فقد وضبت أغراضي على عجل، أحسست أنني تائهة غريبة، وأخذت الوساوس تتقاذفني نحو مستقبل مخيف أكون فيه خارج بيتي لوقت طويل أو ربما للأبد.

أتى أخي سلمان لرؤيتي وهو سعيد جدا بأنني موجودة عندهم، أخذ يضحك ويلهو ويختار أفلاماً يريد مشاهدتها معي، كان متحمساً.. لكنني كنت مكتئبة..

فكرت بأن علي أن أقضي وقتاً أكثر في منزل أبي وأبات عندهم لكن في أيام الوفاق لا في أيام الشجار والشقاق.

أتت ريم تحمل لي صينية فطوري، كانت تتصرف بطريقة محايدة طبيعية وكأن وجودي في بيتها أمر معتاد، لم تكن تريد التحدث معي عن شجاري مع أمي ولا تقصي تفاصيل ذلك الشجار الدامي، احترمت في ريم دماثة خلقها واحترمت فيها تلك الحدود الواضحة والحاسمة التي وضعتها لنفسها بين إنسانيتها وفضولها.

أتى أبي مبتسماً، فاعتدلت بجلستي، كانت ريم موجودة وأخي أيضاً..

قال أبي: أمك بالأسفل، أتت من أجلك!

فتحت فمي دهشة!!! بهذه السرعة أتت أمي!!! معقول؟؟؟

رمشت بعيني مراراً لأتأكد أنني لا أحلم!

أردف أبي: تبدو منهارة لأنك خرجت من البيت، إنها أول مرة تفارقك فيها!

قلت بسرعة: هي التي طردتني وأصرت على خروجي من البيت، لم أفعل هذا بنفسي..

قامت ريم لتنسحب، فناداها أبي: ابقي يا ريم.. أحب أن تبدي رأيك بالموضوع..

نظرت له ريم بعتب، كان من الواضح جدا أنها لا تريد التطفل على خصوصياتي..

فصمتت.. قال أبي: عليكِ مقابلتها يا شوق.. وسأكون موجوداً معكِ...

قلت بارتياح: ما دمت معي، سأقابلها لكن لا تتركني معها وحدي..

ابتسم لي بعطف، كنت أبدو مثيرة للشفقة بلا شك، بعد ليلة عصيبة وشجار مؤذٍ.

دخلت الحمام لأغسل وجهي وأرتب هندامي، غسلت وجهي ووضعت القليل من معجون أسنان أختي على اصبعي لأنظف أسناني فقد نسيت إحضار فرشة أسناني معي..

هالني منظري المريع، لم أكن قد أحضرت مساحيق التجميل الخاصة بي لأحسن من طلتي.. تمنيت أن أبدو أقوى أمام أمي، تمنيت أن أظهر لها أنني أستطيع احتمال بعدي عنها وعن بيتها الذي طردتني منه وأهانتني.

تعطرت بعطر جود الذي وجدته في الحمام.. نظرت إلى فوطتها المعلقة على الحائط، تمنيت لو أغتسل لأطرد التعب عن جسدي ورأسي، لكن لا وقت لذلك.

نزلت مع أبي لأرى أمي، كانت جالسة على الأريكة عندما دخلت، شعرت بارتعاشة ركبي أمامها، قامت واقفة، وقد ارتدت ثوب المسكنة الذي لا يناسبها، قالت وهي تبكي بدموعها الغزيرة التي تستطيع استحضارها متى أرادت: هكذا تفعلين بأمك يا شوق؟ تتركين البيت وتأتين لمنزل أبيك بعد كل تضحياتي من أجلك!!

نظرت لها بدهشة، أكانت أمي تجيد التمثيل لهذا الحد!!!

قلت لها بنبرة عتب لم أستطع إخفاء صداها في صوتي: أنتِ طردتني!!

قالت باكية: لأنني خائفة عليكِ، لأنكِ فرطت بعريس جيد، أنا أحبك كثيراً وأريد مصلحتك، لكن بما أنك لا تريدينه، اعتبري الأمر منتهٍ، وعودي معي إلى البيت..

نظرت لها غير مصدقة، ونظرت إلى أبي الذي قال: حضور أمك لعندك أمر كبير، عليك العودة معها يا شوق، وبخصوص العريس، لا أحد يستطيع إرغامك على الزواج من رجل لا تريدينه، لا أنا ولا أمك سنفعل..

أكدت أمي على كلامه بليونة: طبعا، صحيح!!

كنت أشعر بوهن شديد في جسدي، شعرت أنني متعبة أكثر من أي وقت مضى..

فلم أناقشها أكثر.. تحركت من مكاني كشبح صامت..

صعدت لأحضر حاجياتي القليلة التي أخذتها معي، ركبت مع أمي في سيارة السائق..

وأغمضت عيني وادعيت النوم كي لا تحادثني خلال الطريق..

خلال إغماضي لعيني انهمرت دموعي رغماً عني على خدي، مسحت دموعي بظاهر كفي، وفجأة شدتني أمي إلى حضنها وقبلت رأسي وصارت تبكي معي..

بكينا طويلاً، لاحظت أن السائق صار يبكي أيضاً، كان الموقف مؤثراً، عجيب هو حضن الأم، فمهما قست علينا أمهاتنا نشعر بالانتماء لأحضانهن، وكأن لهذه الأحضان القدرة على مداواة كل الجروح، حتى لو كانت هذه الجروح بسببهن.

وصلنا لبيتنا، كان جدي يقف وهو يتكيء على عصاه أمام باب البيت، بكى بمجرد أن رآني أمامه، شعرت وقتها أنني محبوبة في عائلتي الصغيرة وأن هذا البيت الذي احتواني صغيرة، لن يعجز عن احتوائي وأنا كبيرة، مهما كانت الظروف... فأحسست ببعض الأمان يقتحم قلبي الحزين.

(10)

انتهت قصتي مع بشار، ولم تعد أمي تثير الموضوع أبداً بعد كل ماحصل، ولم أعرف ما الذي آلت إليه صداقتها مع أمه..

وبدأت أتعلق بعيسى أكثر، صار عيسى عالمي، صرت أحبه بجنون، إنه الحب الأول في حياتي، والحب الأول حب عزيز غامر، لأنه أول تجربة لقلب الإنسان وأعظم اندفاعاته.

تخرجت من الجامعة، وأختي جود صارت حاملاً، جدي تتأرجح صحته بين التعب والعافية، وأمي يتأرجح مزاجها بين الغضب والهدوء..

كان كل شيء حولي كما هو، إلا قلبي الذي كان يمتلىء حباً يفيض على حياتي بالفرح والسعادة، سجلت اسمي في ديوان الخدمة المدنية بعد تخرجي، وجلست في البيت أنتظر الوظيفة..

كانت أمي تضيق بوجودي في البيت، تقول كلما رأتني أمامها: لو كنتِ متزوجة لكنتِ الآن في بيت زوجك بدل بقائك هنا بلا عمل!

كنت أستغرب كلامها، كانت تشعرني في تلك الأيام أنني صرت عالة عليها، فطبيعي أن أنتظر الوظيفة كغيري، ولم يطل هذا الانتظار أساساً لتعايرني به!

صرت أتحاشى الخروج من غرفتي، وانقلب نهاري ليلاً وليلي نهاراً، وكان عيسى يساندني دائماً ويؤكد لي أنني سأتوظف عاجلاً أم آجلاً.

في يوم زرت أبي، بدا لي منشرح الأسارير رائقاً، أخبرني أن جود بشرته أن مولودها القادم ذكراً وستسميه حامد على اسمه.. فرحت من أجله، بدا كطفل

كبير، كانت الفكرة تروق له وتسعده بشكل واضح، تخيلت لو أنني نويت في يوم من الأيام أن أسمي ابني على اسم أبي، لابد أن أمي كانت ستقتلني بمجرد أن أقترح ذلك!

أخبرت أبي أنني متضايقة لأنني لم أتوظف بعد، قلت له أن الملل يكاد يقتلني، وأنني لا أفعل شيئاً طوال الوقت سوى الأكل والنوم..

اقترح أبي أن أتوظف بدوام جزئي في محل صديقه لبيع العطور، كان المحل في مجمع كبير، أخبرني أن صديقه يبحث عن مساعدة لأن الموظفة التي عنده سافرت في إجازة، قال مبتسماً: ستنشغلين وتتعلمين الكثير، ستكون تجربة مميزة وجديدة..

أحببت الفكرة جداً، لكن أمي رفضت اقتراح أبي بشدة، قالت: يريدك أن تعملي بمحل؟ أنتِ مهندسة! يريد أن يعرضك للناس!

قال جدي: العمل الشريف ليس عيباً، دعيها تشغل وقتها بما يفيد!

وكالعادة، لم نستطع أن نقنع أمي لكن الأسوأ، أنها اتصلت بأبي وتشاجرت معه لأنه يريد توظيف ابنتها في محل للعطور بدلاً من تدليلها ومعاملتها بطريقة ملكية كما يعامل أولاده من ريم!

التقيت بعيسى أمام البحر، كان الوقت غروباً، كنت غاضبة وحكيت له عن مشكلتي الجديدة مع أمي، فمن لي غيره لأشكو له حالي؟

فهو رجلي وحبيبي وأعز الناس على قلبي..

قال ضاحكاً: أمك معها حق وأنا أوافقها الرأي، لم أكن سأوافق على عملك في ذلك المحل!

استغربت كلامه: لم؟

قال: لأنني أغار عليكِ، ولا أتحمل فكرة عملك في محل عام بمجمع مزدحم.

وفرحت، قبلت رفضه بفرحة، رغم أنني استنكرت رفض أمي، شعرت أنني عزيزة غالية عنده، وهذا الشعور أسعدني، شعرت أن غيرته علي جميلة، وأن عيسى صار مسؤولاً عني، ليته يخطبني! كم أتمنى أن يتزوجني، لكن كيف ألمح له بالزواج!!

ربما من الأفضل أن أنتظر الوظيفة أولاً، وقتها سأكون مستقلة أكثر وقوية أكثر وجاهزة أكثر.. سأخبره صراحة وقتها أنني أريده أن يخطبني، لن أتردد، وسنتزوج، قطعاً سنتزوج!

اتصل بي عيسى ذات مساء وأخبرني أنه يريد أن يعرفني على أخته غادة!

شعرت وقتها أنه نبت لي جناحين، فرحت وكأن عيسى أتى لخطبتي فعلاً، فما معنى أن يعرفني على أخته إلا إن كانت نواياه جدية نحوي وأنه ينوي إقحامي في عائلته قريباً؟

ارتبكت وأنا أختار ثوباً مناسباً، أردت أن أبدو جميلة، أردت أن أثير إعجاب أخته، طلبت من عيسى أن يحدثني عن غادة بإسهاب لأعرف ما الذي يعجبها، ضحك وطلب مني أن أكون على طبيعتي، لكنني أصريت على معرفة بعض المعلومات عنها.

قال عيسى: غادة في الثامنة والعشرين من عمرها، جميلة، محجبة، طويلة القامة، تعمل معلمة للغة الانجليزية في مدرسة للبنات، مطلقة ولديها ولدين، زيد وجاسم.

كان قلبي يخفق بفرح عندما سألته: أخبرتها عني؟

قال: أكيد، أنا وغادة متقاربان جداً، أخبرتها عنكِ وهي التي تريد التعرف عليكِ، ستحبينها كثيراً.. صدقيني..

قلت باندفاع: أكيد سأحبها لأنها أختك!

كانت إجابتي العفوية توضح كم صرت متعلقة به، ولم يكن يهمني أن يعرف عيسى عمق هذا التعلق، كنت أحبه.. وكان يعرف كم أحبه.

في اليوم الموعود، ارتديت ثوباً في لون الليمون، سرحت شعري وربطته كذيل حصان وتركته يتأرجح متماوجاً خلف ظهري، ارتديت قرطاً من الماس اشترته لي أمي عندما تخرجت من الثانوية وهو أغلى مقتنياتي، وارتديت حذاء عالي الكعب رغم أنني أكره هذه الأحذية بشدة، بدوت جميلة متألقة وكأن في وجهي نوراً، نور الحب والأمل.. نور التوقعات الجميلة والتفاؤل بالقادم.

أخبرت أمي أنني ذاهبة لزيارة أختي جود في شقتها، وخرجت بسيارتي لأقابل عيسى وأخته في أحد المطاعم..

دخلت المطعم الهادىء، وعلى الفور وكأن في قلبي بوصلة دلتني على مكان حبيبي، وقعت عيناي على مكان جلوسهما..

اقتربت منهما وأنا أتظاهر بالثبات في حين كان قلبي يخفق بشدة..

قامت غادة واقفة، ابتسمت لها من قلبي.. تهلل وجهها لرؤيتي وقالت: لم أكن أظنك جميلة هكذا! صورك تظلمك، أنت بالطبيعة أجمل بكثير..

ارتاح قلبي لإطرائها، فشعرت بثقة عظيمة في نفسي، جلست بجوارها، وكان عيسى يجلس أمامي مباشرة والحماس يشع من عينيه..

تبادلنا أحاديث عابرة، كانت غادة جميلة رشيقة، أصابعها طويلة رائعة وبشرتها صافية ناعمة كالأطفال مع غمازتين عميقتين تظهران وسط خديها كلما ضحكت.

أحببت غادة، وبدا أنها أحبتي أيضاً، لم نتطرق لقصة طلاقها، لكنني أحسست أن من يطلق امرأة جميلة مثلها غبي أحمق!

لهذه الدرجة صرت في صفها، لقد أحببتها كثيراً منذ أول لقاء لي بها.

سار اللقاء على ما يرام، تناولنا طعامنا بشهية واضحة، وطلب لنا عيسى عدة أنواع من الحلويات، أكلنا وشربنا القهوة.. لم نشعر بمرور ساعتين ونحن لا نزال معاً.. وأخيراً دفع عيسى الحساب.. وقمنا لنرحل..

وقفنا عند الطاولة وصافحتني غادة بحرارة وقبلتني، وأخذت منها رقم هاتفها النقال، مد عيسى يده ليصافحني فتركت يدي في يده لبرهة.. كانت عيناه تشيان بالكثير وكنت أنا في أسعد حالاتي..

التفت لأتحرك باتجاه باب المطعم، فشهقت!

كانت خالتي عنود تجلس مع زوجها عماد في الطاولة التي أمامي وهي تنظر لي بدهشة شديدة!

(11)

جلست أمام خالتي في حديقة بيتها وحدنا، سألتني بلطف رغم الاتهام الذي يختفي خلف لطفها كذئب ماكر: أخبريني من يكون ذلك الرجل الذي كنت تجلسين معه؟

قلت بارتباك: أخته صديقتي، رأيتهما صدفة ودعتني للجلوس معهما!!

قالت خالتي: أخته صديقتك؟ لا تكذبي علي يا شوق، رأيتك تصافحينه وتتركين يدك في يده رأيت نظراتك إليه، رأيت كل شيء..

نكست رأسي بخجل.. ولم أتكلم..

قالت وهي تتنهد: حبيبتي شوق، أنا خالتك الوحيدة، خالتك التي تحبك.. وتهمها مصلحتك..

كدت أصرخ في وجهها: لو كان هذا صحيحاً لكنتِ خطبتني لباسل!

ابتلعت صرختي، لقد تأثرت بكلام أمي، لم أكن أعرف أنني متأثرة بها لهذا الحد!!

قالت خالتي: أعدك أنني لن أخبر أمك..

نظرت إليها بشك، فأقسمت على ذلك، وصدقتها، لم أكن أريد إشراك خالتي بسري، لكنني وجدت نفسي مضطرة لذلك..

قلت لها أنني على علاقة بعيسى وأنني أحبه! وأنه أراد أن يعرفني على أخته..

سألتني بحذر: تكلم معك بخصوص الزواج؟

هززت رأسي صادقة: لا.. لكن لِمَ يعرفني بأخته إن كان لا يريد الزواج مني؟

أيدتني: صحيح، لكن عليك وضع النقاط على الحروف، الرجل في الثلاثين، مما يعني أنه ناضج، وبما أنه يعمل فذلك يعني أنه يستطيع الزواج.. لا شي يمنعه من التقدم لك حبيبتي..

كانت على حق تماماً فلم أجد ما أقوله لها فأخبرتها أنه قد يفعل عندما أتوظف!

قالت مستنكرة: ما علاقة وظيفتك بالزواج؟ لستِ من ستصرف على البيت!!

كانت محقة فعلاً، شعرت أن هناك حلقة مفقودة في قصتي مع عيسى، لكن قصتي معه لم تكن طويلة، لم نكمل السنة بعد على تعارفنا، ربما كان يريد أن يتأكد من مشاعره نحوي، من حقه أن يتروى بموضوع الزواج، وقلت لخالتي ذلك، لكنها لم تقتنع، كانت خائفة علي ولا يمكنني لومها فهي لا تعرف عيسى لتثق به لكنني أثق به، رغم أنني أتمنى أن يتحدث معي بموضوع الزواج أيضاً.

طلبت مني خالتي أن أخبره أنها رأتنا اليوم، قالت أن ردة فعله هي التي ستوضح نواياه الحقيقية نحوي، شعرت بالخوف من وضع عيسى أمام الأمر الواقع، خفت أن يكون حبنا مجرد سراب أجري أنا خلفه وحدي.

خرجت من بيت خالتي لأصادف باسل وزوجته عند الباب، كانت رغد جميلة متألقة وهي تتأبط ذراع ابن خالتي الوسيم، سلما علي بحرارة، لم أكن

بمزاج يسمح لي بالمجاملات، لم أطق رؤيتهما معاً، ولا احتملت لطفهما المبالغ به ونفاقهما الواضح!

ركبت سيارتي وزفرت بحرقة، علي أن أخبر عيسى بكلام خالتي، عليه أن يخبرني إلى أين نسير معاً، خفت أن يتركني، كان يعني لي الكثير، ولم أكن مستعدة للاصطدام بالواقع في حال تملص من الزواج مني..

ففي الحياة نتعمد أحياناً الهروب من المواجهات التي قد تكلفنا خسارة الطرف الآخر، نوهم أنفسنا أننا آمنين معهم، لكننا في الحقيقة لا نعرف حقاً من نكون بالنسبة إليهم.

عدت إلى البيت مرهقة، كانت أمي تنتظرني في الصالة..

قالت فور رؤيتي: تقدم لكِ عريس!

صدمني الخبر أيما صدمة وكأن كل شيء قد تواطأ ضدي!

نظرت إلى أمي التي تكاد تطير من الفرحة وهي تقول: إنه مهندس مثلك، يعمل في الطيران المدني، وسيم، لديه أربعة إخوة و...

لم أسمع الباقي، سرحت في همي، يجب أن أتكلم مع عيسى يجب أن أعرف إن كان يريدني أم لا..

(12)

خاصمتني أمي شهراً كاملاً لأنني رفضت العريس الجديد ورفضت مقابلته..

صرت أتهرب من خالتي عنود وأتجاهل اتصالاتها لأنني لم أكن أعرف بم أجيبها..

أخبرني عيسى أنه يحبني ويريد الارتباط بي فعلاً، لكن ظروفه العائلية الحالية تمنع هذا الارتباط، كانت حججه واهية!

تحجج بوضع أخته غادة وأنه يعتبر نفسه مسؤولاً عنها منذ طلاقها ومسؤولاً عن ولديها، قال لي بمسكنة أن ولديها صغيران، يريد أن يكبرا قليلاً ويعتمدا على نفسيهما كي يطمئن عليهما فلا يشغله الزواج عن رعايتهما!

أخبرته أنني مستعدة للعيش معهم في نفس البيت والاهتمام بأولاد غادة أيضاً، مستعدة لفعل أي شيء من أجله، ومن أجل أن نجتمع في بيت واحد بالحلال..

كنت أرخص نفسي أمامه، أجري وراءه وأستجديه ليتزوجني.. وكان يقسم لي أنه سيرتبط بي لكنه يحتاج المزيد من الوقت!

كان قلبي يتمزق حناناً عندما أسمع أولاد غادة ينادونه بابا، كان الأمر مؤلماً ومؤثراً أن يحرم طفلين من والدهما الذي لا يريد رؤيتهما، فصارا يظنان عيسى أباهما.

اتصلت بي غادة معتذرة، وطلبت مني أن أصبر على عيسى، قالت أنه مرتبك،

فمن ناحية هو يشعر بالمسؤولية عن الولدين، ومن ناحية أخرى أنه أكمل الثلاثين من غير زواج ويجد صعوبة باتخاذ هذا القرار المصيري بهذه السرعة..

قررت أن أتمسك بعيسى مهما كانت العواقب، فأنا لازلت صغيرة، لا ضير إن فاتتني بعض فرص الزواج من أجل انتظار رجل أحبه وأتمناه..

المشكلة الكبيرة في حياتي كانت أمي، أمي التي تجن فرحة وتلمع عينيها عندما يأتي ذكر موضوع الزواج أمامها فتنظر إلي بحسرة وكأن الشيب صار يملأ رأسي!

أصرت خالتي عنود على لقائي واضطررت لملاقاتها في أحد المقاهي، أخبرتها أن حبيبي جاد وسيتقدم لي بعد أن تستقر أمور أخته المطلقة، لم يعجبها رده، وبطبيعة الحال شككت بنواياه نحوي، لكنني لم أهتم، وأكدت لها أنني أصدقه وأثق به..

قالت خالتي: رؤيتي لك معه حملتني مسؤولية كبيرة، ماذا لو عرفت أمك أنني كنت أعرف؟ كيف أبرر لها إخفائي الأمر عنها؟

قلت لها: لا تخبريها بشيء ولن أفعل أنا، انسي أنك رأيتني معه..

كانت خالتي قلقة، وكنت أنا غاضبة، غاضبة لأنها أقحمت نفسها في حياتي العاطفية، وغاضبة أكثر لأنها لم تخطبني لولدها وبحثت له عن عروس أخرى، لقد تخلت عني وتتظاهر الآن أنها خائفة على مستقبلي!

ما دخلها بي وبمستقبلي أساساً؟

في المشاعر الإنسانية كم هائل من التناقضات.. كم شخصية يملك المرء وكم وجه لديه؟

كنت عاشقة لعيسى، وفي نفس الوقت ناقمة على خالتي لأنها لم تزوجني لباسل!

وصارت علاقتي بعيسى أقوى مع الأيام، صرت أحادثه في كل الأوقات إما عن طريق المكالمات أو الرسائل الهاتفية، كان دائماً معي وموجوداً لأجلي.

رزقت أختي جود بمولودها الأول حامد، صرت خالة، وفرحت بهذا اللقب وكأنه تم تتويجي كملكة جمال المنطقة!

خالة شوق، كنت أضحك من قلبي كلما تخيلت ذلك الطفل الجميل الذي يذكرني بالقطط يناديني بخالتي..

تأزمت أمي لأن ريم صار لها حفيد قبلها، قالت بحسرة: أخذت كل شيء وانتصرت علي طوال المشوار!

لم يهزني كلامها، ولم أناقشها فيه لأنني أعرف أنه سيكون نقاشاً عقيماً بلا فائدة..

اشتريت هدية جميلة لابن جود، لحافاً مطرزاً باسمه باللون الذهبي.. كانت هدية مميزة شكرتني عليها أختي كثيراً عندما رأتها.

حضرت استقبال أختي في المستشفى وأشاد الكل بطلتي وأناقتي، كنت قد اكتسبت بعض الوزن نتيجة جلوسي بالبيت دون عمل، وكان لتلك الكيلوجرامات الزائدة تأثيراً إيجابياً على وجهي ونضارته.

وحصلت على الوظيفة، ظهر اسمي ضمن المرشحين للعمل في البلدية، زغردت أمي بفرح لأن ابنتها صارت موظفة، صالحتني بعد خصام طويل، وأخذت تنصحني بما يخص طريقة صرفي لراتبي، أوصتني بفتح حساب

للتوفير أستقطع فيه مبلغاً شهرياً ثابتاً، وأوصتني بالتصدق من أول راتب لي ليبارك الله لي في مالي.

تم تعييني في إحدى الإدارات المميزة التابعة لبلدية الكويت، كان مقر عملي يطل على البحر، والدوام يبدأ في الثامنة صباحاً حتى الواحدة ظهراً فقط، فرحت بساعات عملي المريحة، وفرحت أكثر عندما عرفت أن في قسمي موظفتين في نفس عمري تقريبا.

كان مديرنا رجل محترم، عرفني على المكان في اليوم الأول أنا وزميلاتي الجدد، وبدأت إحدى الموظفات القدامى بتدريبنا على العمل..

كنت أبدو جميلة في يومي الأول، وبالتأكيد بدوت متكلفة أيضاً لأنني بالغت في زينتي واهتمامي بنفسي..

أردت أن ألفت انتباه الجميع نحوي، وأن أترك انطباعاً جيداً عن نفسي..

كنت أحدق في ملامح زميلاتي خلسة فأحس بالارتياح، بدون لي طيبات ومرحات..

في القسم المجاور لنا إدارة يعمل بها ثلاثة موظفين، لفت نظري بينهم شاب سمين، ابتسم لي ابتسامة كبيرة وهو يراني لأول مرة، اقترب مني وعرفني بنفسه دون تكلف: اسمي فوزي.. مبروك الوظيفة، إن احتجت لأي شيء تذكري أنني موجود بالخدمة، اعتبريني أخاكِ هنا..

أثر بي لطف فوزي بشدة، فرحت أن لي زميلاً طيباً لهذا الحد، ابتسمت له وشعرت بالألفة نحوه، وفي الأيام التالية صار فوزي أقرب زميل لي..

كان يصبح علي كل يوم، يأتيني بالقهوة التي عرف أنني أحبها، يساعدني

عندما أعجز عن استيعاب تعليمات مديري، وفي بعض الأحيان كان يصر على إكمال ما أقوم به من عمل كي يخفف عني..

ومضت عدة أشهر على عملي، اعتدت على المكان والزملاء، وصارت أيامي متشابهة بروتين متكرر..

عيسى كان يحتل مساحة كبيرة من يومي، أصحو لأوقظه من النوم، أذهب لعملي وأنا أحادثه خلال الطريق، أعود من العمل قبله فأحادثه أيضاً وهو في دوامه، أتناول غدائي مع أمي وجدي، أنام فترة العصر أو أخرج للنادي الذي اشتركت فيه مؤخراً ثم أعود مساء لأتعشى أيضاً مع أمي وجدي، وأحياناً أقوم ببعض الواجبات الاجتماعية برفقة أمي، أحادث عيسى لساعة أو ساعتين ثم أنام على صوته فينهي المكالمة والسماعة لا تزال عالقة بأذني.

كنت أقارن بين حياتي وحياة أختي جود التي كانت تخطط لحياتها بالمسطرة والقلم كما يقولون، كل شيء عندها محسوب، أحسست أني عكسها، فأنا أعيش علاقة لا وضوح فيها، عيسى يحبني وأنا أحبه، لكن هناك أمر أجهله، أمر يمنعه من التقدم لخطبتي رغم أنه جاهز للزواج مثلي، لم أصارح أختي بحكايتي مع عيسى، خفت أن تشي بي لأمها، ثم يعرف أبي بالموضوع فآثرت إخفاء سري عنها.

كانت غادة تتواصل معي بين حين وآخر على الوتساب وكنت أفرح برسائلها وكأنها تباشير الفرح لخطبتي المرتقبة.. لكن غادة لم تكن تتكلم معي أيضاً عن نوايا عيسى نحوي فظللت أدور في نفس الدائرة إلى أن أتى اليوم الذي تغير فيه كل شيء..

(13)

دعتني جود على العشاء ذات ليلة في منزل أهل زوجها.. كانت تلك الدعوة بمناسبة سكنهم في منزل جديد..

لم أتردد بتلبية الدعوة فأنا أحب أختي، وأسعد برؤيتها، صحيح أنها انشغلت عني بعد زواجها وإنجابها لحامد الصغير، لكن مكانتها لم تتغير عندي.

ارتديت ثوباً جديداً اشتريته من راتبي، وحقيبة غالية اشتريتها من راتبي أيضاً، نظرت لي أمي متفحصة: كل هذه الأناقة من أجل دعوة عشاء؟

كانت تستكثر علي أن أشتري الكماليات لنفسي، تريدني أن أدخر راتبي كله ولو كان الأمر بيدها لأخذته مني وأعطتني مصروفاً!

أخبرت أمي أن علي أن أرتدي أجمل الملابس، قلت لأحرك مشاعرها وحماسها: قد يتقدم لي أحد إن بدوت جميلة أنيقة!

لمعت عينيها فرحاً ووافقتني: معك حق، يجب أن تبهري الجميع بأناقتك.. تفكيرك صحيح يا ابنتي..

كنت محرجة من الذهاب لتلك الدعوة دون أن أحضر معي هدية بمناسبة السكن الجديد، لكن أمي أصرت أن أذهب فارغة اليدين، قالت إنني لازلت صغيرة على تقديم الهدايا للآخرين، فالفتاة لا تقدم الهدايا إلا بعد الزواج!

كانت قوانين أمي طاغية، قوانين تخصها وحدها، ولا يتم تطبيقها إلا على الأهل الذين يكونون من طرف أبي.

خرجت من البيت، وقررت الذهاب لشراء نوع من الحلويات، خجلت من

الذهاب دون أن أحضر معي شيئاً، كلمني عيسى خلال الطريق، وقرر أن يأتي لرؤيتي في المحل..

نزلت من سيارتي بعد أن ألقيت نظرة على زينتي، دخلت المجمع الصغير حيث يقع المحل الذي أريده، شعرت بنظرات الناس تلتهمني ففرحت، وغمرتني الثقة بنفسي، أحسست وقتها أنني سعيدة ومحظوظة جداً، لدي وظيفة جيدة ولله الحمد، جمالي يلفت الأنظار عندما أهتم به، حبيبي رجل رائع، بقي فقط أن ينتقل لخانة الزوج لتكتمل حياتي وتستقر.

دخلت المحل واخترت ما أريد، دخل عيسى خلفي، ابتسم لي بإعجاب عندما رآني، صفر بشفتيه، فضحكت، اقترب مني وحدق في وجهي: لم أكن أظنك جميلة لهذه الدرجة..

ضحكت: يبدو أن نظرك ضعيف..

ضحك معي: يبدو ذلك!

كان عيسى يرتدي ملابساً رياضية، حدقت في وجهه، ولأول مرة لاحظت خطوط التعب حول عينيه، بدا لي مرهقاً، ابتسم لي، وهمس: أنا محظوظ بكِ شوق..

ابتسمت له: إذن حافظ على حظك!

ناولتني البائعة كيساً كبيراً فحمله عيسى عني، اقتربنا من سيارتي، ووضع عيسى الكيس بالخلف، باغتني وجلس بجواري في السيارة..

نظرت له: ماذا الآن؟ آخذك معي لمنزل أختي؟

ضحك ملئ فمه: خذيني لأي مكان تريدينه.. لا تتركيني شوق، أبداً لا تفعلي.

قلت بحنان: أخاف أن تتركني أنت..

رد باستنكار: أنا؟؟

قلت بعتب وحزن: أشعر أنك لا تريد الزواج مني!

قال مؤكداً: ثقي أن أكثر شيء أريده في هذه الدنيا هو الزواج منك..

سألته بحيرة: لكن؟

قال: لكن الظروف تعاندني، في يوم ما ستعرفين كل شيء..

لم أكن أعرف أن هذا اليوم كان قريباً جداً، أقرب مما كنت أتصور!

وصلت لوجهتي بعد أن أرغمت عيسى على النزول من سيارتي كي لا يأخرني أكثر..

سلمت على الحضور بلباقة وجلست أراقب النساء من حولي..

نظرت إلى جود وهي تساعد أم زوجها، بدت أكبر سناً من عمرها فقد اكتسبت بعض الوزن بعد الولادة، كما أن طريقة ارتدائها لملابسها اختلفت فبدت أكبر مني، وظن الجميع ذلك فعلاً.

جلست ريم زوجة أبي بجواري، تحدثنا عن أمور عامة، تهللت أسارير ريم وهي تنظر لامرأة دخلت علينا، فوقفت ريم لترحب بها بحرارة، نظرت إلى تلك المرأة فخفق قلبي، إنها غادة! أخت عيسى!!

فوجئت غادة برؤيتي، وارتبكت بشدة، صافحتني بيد باردة وابتسامة مرتعشة في حين كنت أنا سعيدة جداً بها، همست لها: تعرفين أهل زوج أختي؟

قالت بصوت هربت نبراته: أنا من أقرباء زوج أختك! في الحقيقة لم أكن أعرف أن جود أختك فأنا لم أحضر عرسها، كنت مسافرة! لم أكن أعرف أن لك أختا أصلا، ظننتك وحيدة!

جلست غادة بعيدة عني، وقامت ريم لتجلس بجوارها، لاحظت أن غادة تسترق لي النظر خلسة، وأنها غير مرتاحة، ما الذي يحدث؟ لم ارتبكت لهذا الحد عندما رأتني؟

لاحظت غادة وهي تمسك هاتفها النقال وتتحدث هامسة ثم تكتب رسالة ما خمنت أنها لعيسى!

رن هاتفي النقال بعدها وكان عيسى هو المتصل، فلم أستطع الرد عليه، وجدته على الوتساب يكتب لي: شوق، الأفضل أن تعودي للبيت، الوقت تأخر، لا أحب أن تقودي السيارة وحدك في هذا الوقت!

استغربت رسالته، كانت غادة تنظر لي بارتباك واضح، هناك أمر لا أفهمه.. أمر علي اكتشافه، كتبت لعيسى: غادة هنا.. إنها أمامي!

كان عيسى يكتب مطولاً، بدا أنه متردد لأنه لم يرسل رسالته التالية بسرعة، كتب لي: شوق، اخرجي الآن وعودي للبيت!!

تركت هاتفي في حقيبتي وقد بدا علي التصميم.. هناك سر، وعلي أن أعرفه..

وقفت غادة فجأة وخرجت من المكان وكأنها تهرب!

قمت من مكاني وسألتُ ريم: من هذه التي خرجت للتو؟

قالت ريم ببساطة: تقصدين غادة؟ هي قريبة لزوج جود، فتاة لطيفة جداً وأحبها كثيراً..

سألتها بحذر: هي مطلقة صحيح؟

صُدمت ريم وقالت: لا، لم يسبق لها الزواج! لكنها مخطوبة لابن عمها، وحسب علمي ستتزوج قريباً!

قلت لها: كأنني رأيتها من قبل مع أولادها!! وجهها ليس غريباً علي!

صار قلبي يخفق بشدة وأنا أنتظر الكلمات لتخرج من فم ريم لتبدد الضباب عن عيني اللتين أعماهما الحب: لابد أنهم أولاد أخيها، عندها أخ واحد، وهو مطلق وأب لولدين، وحسب علمي غادة متعلقة بهما كثيراً!!!

وقذفتني الأقدار إلى شاطىء الحقيقة، بعد أن كاد بحر الكذب أن يغرقني..

(14)

لماذا نكذب في الحياة؟

إننا نكذب لأننا نخاف..

نكذب لأن الحقيقة قد تغير صورتنا أمام من يهمنا أمرهم..

ونكذب لنمنح لأنفسنا فرصاً نظن أننا نستحقها..

نكذب لنبني لأنفسنا حياةً نتمناها،

نكذب لننال أشخاصاً لم نكن لنصل إليهم لولا كذبنا..

أحياناً نكذب مضطرين لأن الحقيقة لا تُقال، وأحياناً نكذب متعمدين، لعل أمد الكذب يطول، فنحصل على ما نريد قبل أن ينقطع حبل الكذب القصير.

كذب علي عيسى، جلست أمامه والدموع في عيني لأسمع تبريراته، قال أنه لم يستطع مصارحتي بوضعه الاجتماعي، خاف أن يخسرني، خاف أن أتركه وأرفض الارتباط به إن عرفت أنه مطلق وعنده ولدين..

تزوج عيسى من تهاني بعد قصة حب عاصفة، لم يكن أهلها يريدون لهذا الزواج أن يتم بسبب فروقات اجتماعية بين العائلتين، تمسكت تهاني به وأصرت على الارتباط به..

وتزوجا رغماً عن الأهل وفي حفل زواجهما المقتصر على المقربين كان الجميع غاضباً سواهما، كانا سعيدين، فرحين بأن الحب انتصر على التقاليد، والزواج صار واقعهما السعيد.

بعد عام أنجبت تهاني جاسم وبعد عامين آخرين أنجبت زيد، كانت الحياة تسير بالزوجين بشكل متذبذب، وبين الشجار والوفاق تأرجحت سفينة الزواج بينهما.

لم تكن الحياة وردية مع عيسى كما تخيلتها تهاني، كان هناك الكثير من الاحباطات والمشاكل في علاقتهما، وبدأت تهاني تمل هذه الحياة المحبطة، عيسى راتبه بالكاد يغطي احتياجاته، وتهاني قد تعودت على الحياة الباذخة في منزل أبيها، لم تكن تريد أن تعمل، ولا أن تساهم معه في مصاريف البيت، انتقل الزوجين هرباً من دفع الإيجار الشهري الذي كان يلتهم نصف راتب عيسى، وعاشا في منزل أهله مع غادة وأمه.

بدأت مشاكل من نوع جديد عندها، مشاكل تهاني مع أمه التي تتهمها بالغيرة منها، والأم التي تتهم تهاني بالدلع وقلة الاحترام أما غادة فكانت دائماً محايدة، فهي صديقة أخيها ودائماً في صفه..

كانت تسانده في كل شيء حتى أنها كثيراً ما أعطته المال ليستطيع الوفاء بطلبات تهاني التي لا تنتهي..

تأزمت الأمور وتفاقمت المشاكل بين الزوجين، هرب الحب من قفصهما الذهبي، وصار الشقاق سيد الموقف، تأزمت الأمور أكثر عندما حملت تهاني للمرة الثالثة وقامت بجهد بدني هائل بنية إجهاض نفسها..

بعد أن حصل الإجهاض كرهها عيسى، اتهمها بقتل طفله، واتهمته هي بتدمير حياتها..

حصل الطلاق، وتركت تهاني الولدين عنده، رحلت إلى منزل أهلها،

أخذتها أمها في رحلة استجمام خارج البلد لثلاثة أشهر كاملة كي تنسى ما عانته خلال زواجها من عيسى!

لم تتصل تهاني بأولادها ولو لمرة واحدة خلال تلك الشهور الطويلة، صارت غادة مسؤولة عن الولدين، تحملت مسؤوليتهما رغماً عنها، لكنها تحملت كل ذلك بحب ورضا.. خاصة وأن والدة عيسى أصيبت بالمرض ولم تعد بحالة صحية تسمح لها برعايتهما.

عادت تهاني من السفر امرأة أخرى، عمليات تجميل لأنفها وشفتيها، عملية شد لبطنها وشفط للدهون التي خلفتها تجربة الإنجاب.. صارت أجمل من قبل وأكثر شباباً وحيوية، وخلال ذلك العام تزوجت من رجل ثري في عمر أبيها.. وعاشت معه في قصره حياة الرفاهية التي كانت تتمناها..

بدا عيسى محطماً بعد أن انتهى من سرد قصته مع طليقته، قال بصوت حنون: كرست حياتي ووقتي لتربية الولدين، ربطت على قلبي ولجمته، قررت أن أكفر بالحب والزواج بعد كل ما مررت به، إلى أن رأيتكِ في طريقي..

نظرت إليه ودموع العتب في عيني، فقال: أعجبت بك منذ وقعت عيناي عليكِ في تلك الليلة التي تعطلت فيها سيارتكم، شعرت بأن قلبي خرج من صدري وركع عند قدميك..

أردت أن أبتعد عنكِ فلم أستطع، شعرت أنك مكافأة الحياة لي بعد كل ما أصابني!

قلت بأسى: مكافأة لك! وعقوبة لي! ما ذنبي لتكذب علي؟ لم كذبت!!

قال بألم: لأنني خفت أن أخسرك..

كان ذلك عذراً أقبح من ذنب، لكنه كان عذراً وكان علي أن أتخذ قراراً، إما بالصفح، أو بالهجر ومحاولة النسيان، وكلاهما صعب.. ومستقبله غامض..

قال عيسى: أجبرت غادة على الكذب عليكِ، لم تكن تريد أن تفعل، كانت تحس بالذنب ناحيتك، فأنتِ طيبة نقية، كنت أتناقش معها كل يوم حول الحقيقة التي يجب عليكِ معرفتها، وكلما وعدتها بأن أصارحك بوضعي، كنت أتراجع أمام نظرة عينيك.. أحبك شوق، صدقتي ذلك أم لم تصدقي، أحبك أكثر من أي أحد، وأكثر مما أحببت أي امرأة في حياتي كلها، مستعد للتقدم لخطبتك الآن لو أردتِ، مستعد لمحاربة العالم من أجلكِ، وأعرف أن أهلك قد يرفضون هذا الزواج، لكنهم قد يرضخون بالنهاية في حال عرفوا قوة تمسكنا ببعضنا.

كنت غاضبة لأنه كذب علي وأشعر بالمهانة لأنه أقحم أخته في الأمر وكذبت هي علي أيضاً، عاملني كلاهما كغبية مغفلة، وكان ذلك الإحساس يؤلمني ويشعرني بالمهانة.

قمت من مكاني، فوقف عيسى وهو يرجوني: سامحيني شوق، لا تتركيني أرجوكِ..

نظرت إليه، تجاهلته ومضيت نحو سيارتي وأنا أسابق دموعي..

(15)

الإنسحاب من علاقة عاطفية أمر صعب..

التناسي والإصرار على موقف واحد..

التظاهر بالقوة رغم هشاشة القلب..

والتظاهر بالترفع رغم انكسار الجوهر..

واستجداء الصبر ليغلب الشوق..

مكتبة
t.me/t_pdf

كنت أتعذب وأنا أتجاهل رسائل عيسى على هاتفي، لم يجرؤ على الاتصال بي، لكنه كان يكتب لي عشرات الرسائل كل يوم، وكنت أقرأ تلك الرسائل دون أن أرد عليه، لم أستطع منع نفسي من قراءتها، كان لتلك الرسائل مفعول المخدر على الألم، كنت أشعر أن عيسى موجود رغم أنني قررت هجره.. إنني أحبه، رغم خداعه وكذبه.. إنني أحبه فعلاً.. وأتألم لبعدي عنه وأشعر بالخواء من بعده.

كان يرجوني بأن أسامحه وأعذره، يقول أنه لا يريد مني شيئاً أكثر، وما فائدة السماح والغفران إن لم يكن هو لي؟

عرفت كم أحبه في تلك الأيام واكتشفت كم كان يعني لي، عرفت أن مشاعر الإنسان ليست في يده وأن للحب سطوة على المرء، كان عيسى حباً كبيراً، وكنت أتساءل في لحظات ضعفي والتي صارت تتكاثر مع مرور الأيام، أيمكن أن أسامحه حقاً؟ أيمكن أن أتزوجه؟

لم أكن أمانع الزواج من رجل مطلق مع ولدين، صارت الفكرة تطرق

رأسي بإلحاح وكانت نفسي تتواطيء مع قلبي لترسيخها.

ما المانع إن تزوجت عيسى؟ سأحب ولديه وسأعاملهما أفضل معاملة، لن أتقمص شخصية زوجة الأب الشريرة، بل على العكس، سأحب ولديه كما أحبه..

سرى في جسدي تياراً جعلني أنتفض عندما فكرت كم اشتقت له..

ذبل وجهي، صرت نحيلة الجسد، لم أعد أهتم بزينتي ولا بهندامي، لم أعد أزور أبي ولا أرد على اتصالات جود إلا في أضيق الحدود.

لاحظت أمي حالتي، سألتني أكثر من مرة عن سبب ذبولي، لكنني لم أخبرها شيئاً وتعذرت بأعذار واهية لأطمئنها علي..

مر شهر على فراقي لعيسى، شهر يبست فيه روحي حتى كادت تتفتت عطشاً..

كنت في عملي ذات يوم عندما رأيت غادة أمامي، رمشت بعيني كأنني لا أصدق رؤيتها، بدت خجلة وهي تطلب التحدث معي على انفراد..

خرجت معها لأحد المقاهي القريبة، انهمرت دموعي رغماً عني وأنا أستمع إليها، اعتذرت، قالت أنها لم تكن تريد الكذب علي، لكن عيسى أرغمها، قالت أنها فعلت ذلك من أجله، لأنها المرة الأولى التي يُقبل بها على خوض علاقة عاطفية منذ انفصاله، أقسمت لي أن عيسى يحبني.. أخبرتني أنه منهار تماماً منذ تركته، حكت لي عن مرضه وألمه النفسي، ووصفت لي ضياعه من بعدي..

قالت غادة: إن كان أخي يعني لك شيئاً، سامحيه..

سألتها: وماذا بعد السماح؟

قالت: يتقدم لخطبتك، عليكِ أن تخوضي معركتك، وبالنهاية سيتنصر الحب.. إن كنتِ قوية كفاية...

لم أتكلم.. لم أعرف بم أجيبها..

قمت من مكاني واتجهت للمواقف، وعند سيارتي كان عيسى يقف بانتظاري، انهمرت دموعي بغزارة عندما رأيته، رباه.. إنه يبكي أيضاً..

وانهارت مقاومتي، عدت له..

(16)

كان علي أن أرتب أموري وأختار من أصارح أولاً، أمي أم أبي؟

كنت أشعر بأن التعامل مع أبي أسهل، فقررت أن أفاتحه بالموضوع أولاً، ذهبت لأزوره في بيته، جلست أمامه لأتحدث معه عن موضوع ارتباطي برجل مطلق..

فانعقد لساني! وخرجت من عنده دون أن أتفوه بشيء!

كنت خائفة، والخوف كبلني ولجم اندفاعي.. خفت من ردة فعلهما، خفت أن أقنع أحدهما فأعجز عن إقناع الآخر، وبداخلي كنت أعرف أن أبي هو الأسهل إقناعاً.

لجأت لخالتي عنود، كنت أريد أن أستشير أحداً كبيراً وأشركه في أمري، أردت سنداً ودعماً ولم يكن أمامي سوى خالتي الوحيدة.

بدت خالتي عنود سعيدة بزيارتي الغير متوقعة لها، بدا واضحاً علي أنني أريدها في أمر خاص، بشرتني بأن رغد حامل، لم أهتم للخبر، كنت مشغولة بمشكلتي الخاصة تماماً..

وأخيراً تكلمت، أخبرت خالتي كل شيء، فتحت فمها دهشة عندما أخبرتها أن عيسى مطلق وعنده ولدين.. وضعت يدها على رأسها وهي تسمعني.. كانت الصدمة بادية عليها..

قالت خالتي عندما أنهيت حديثي: شوق، أنتِ متأكدة أنك مستعدة للزواج من رجل لديه أولاد؟ إنها مسؤولية كبيرة، وأنت لازلت في أول عمرك، هذا

الرجل كذب عليك، الأفضل برأيي أن تتركيه..

هززت رأسي: مستحيل، أنا أحبه ولن أتزوج غيره.

طلبت منها مساعدتي، أخبرتها أنني خائفة من أمي، أخاف من ردة فعلها، أخاف أن ترفض تزويجي ممن أحب.

بدت خالتي متعاطفة معي رغم أنها لم تكن مقتنعة بأمر زواجي من عيسى، لكنها أبدت استعدادها لمساندتي.

كانت الخطة كالآتي، تأتي خالتي لمنزلنا، نجلس مع أمي، نصارحها بموضوع عيسى وتقوم خالتي بإقناعها في حال رفضت الموضوع..

قالت خالتي: توقعي أن ترفض بالبداية لكنها ستلين مع الوقت وستقبل بالنهاية، هي تحبك أنتِ ابنتها الوحيدة ولن تكسر بخاطرك.

كانت خالتي واثقة أن أمي لن تكسر قلبي، ليتني أثق بذلك مثلها، كنت أرى أمي قاسية، لم أكن أشعر أنني مميزة مدللة لأنني وحيدتها بل على العكس، كنت دائماً مضطرة لتحمل طباعها وقسوتها وحدي.

في مساء اليوم الموعود أتت خالتي عنود لزيارتنا، كان جدي قد خرج للمقهى الشعبي..

جلست خالتي بجواري أمام أمي التي قالت متهكمة: غريب أن تأتين لرؤيتي وأبي خارج البيت؟ عادة تهتمين بزيارته هو.. وكأن لا أخت لك!

تعذرت خالتي بظروف العيش ومشاغل الحياة، وأخبرت أمي أنها تشتاق إليها دائماً وتحب رؤيتها، قلبت أمي شفتيها بشكل واضح وهي تستمع لأكاذيب خالتي وكلامها المعسول..

كنت مرتبكة متوترة فصببت الشاي الساخن على يدي وأنا أضيّف خالتي، جريت للمطبخ لأستخدم مرهم الحروق، وعدت لأجلس أمام أمي ورائحة المرهم المزعجة تملأ أنفي.

نظرت لي خالتي مشفقة، وقالت أخيراً وهي تخاطب أمي: نورة، تعرفين أنني مقربة من شوق، وأنني خالتها الوحيدة، بصراحة هناك موضوع نريد أنا وشوق التحدث معك فيه.. وأرجو أن تكوني هادئة لنتناقش بهدوء ودون ضجة..!

نظرت لي أمي مستغربة: وما هو الموضوع الذي أخبرتِ به خالتك قبلي؟ تكلمي!

لم أنطق بحرف، تدخلت خالتي: هناك رجل يريد التقدم لخطبة شوق..

ابتعلت ريقي وقلت كاذبة: أنا أعرف أخته، وهي التي تريد خطبتي له!

زفرت أمي: كم عمره؟

قلت: في بداية الثلاثينات..

لوت أمي شفتيها: أهو جامعي؟ وماذا يعمل؟

هززت رأسي: جامعي، ويعمل في وزارة حكومية.. وظيفته جيدة، ودخله معقول.. وكما تعرفين أنا أيضاً موظفة وأستطيع المساهمة في مصاريف البيت.

نهرتني أمي: لأنك غبية! عليك أن تعودي زوجك على أن يصرف وحده على البيت، هكذا يقول الشرع.. لا تسمحي له بأن يستغلك!

أيدتها لأكسب ودها: صحيح، لن أصرف فلساً على البيت، أعدكِ!

قالت أمي: ما اسم عائلته؟

أخبرتها ببعض المعلومات التي أرادت معرفتها، أخبرتها بكل شيء إلا بالطامة الكبرى التي ستثير غضبها وجنونها..

قالت أمي: لتتصل بي أمه، لا مانع عندي من استقباله..

ساد بعض الصمت بيننا، نظرت إلى خالتي أستنجد بها، تنحنحت خالتي عنود وقالت: نورة هناك أمر يجب أن تعرفيه قبل أن يتقدم عيسى لشوق.

سألت أمي باهتمام: ماهو؟

وأخيراً فجرت خالتي القنبلة المنتظرة: عيسى مطلق ولديه ولدين يعيشان معه!

وجن جنون أمي..!

(17)

لازلت أرتجف كلما تذكرت ردة فعل أمي تلك الليلة، كان أسوأ كوابيسها قد تحقق وهي ترى خالتي بصفي وهي تحاول إقناعها بزواجي من رجل مطلق وأب!

قالت أنني نكست رأسها أمام خالتي، وسمحت لها بأن تشمت بها! اتهمتني بالغباء لأن خالتي أكثر من يريد لي الشر لذلك أتت معي وهي تدعي الطيبة بحجة مساعدتي..

صرخت أمي بوجهي: ما الذي ينقصك لتتزوجي من رجل مطلق وعنده أولاد؟

قلت لها وأنا أحاول أن أحبس دموعي: الرجل لا يعيبه شيء، لا توجد أية مشكلة في أنه مطلق!

صرخت أمي بصوت أعلى وهي تلعن غبائي: تزوجي من رجل لم يسبق له الزواج، لم ترضين بتربية أولاد غيرك؟ هذا الرجل لا يصلح لك، سأزوجك من هو أفضل منه، لن أرمي بك إلى التهلكة بيدي ولن أسمح لعنود بالتشمت بي!

لم أكن أفهم ما مشكلة أمي مع خالتي، فخالتي أساساً متزوجة من رجل متزوج ولديه أولاد! لم ستشمت بي أصلا إن تزوجت أنا برجل مطلق ولديه أولاد!

بدأت الأمور تختلط علي، وشعرت أن إقحامي لخالتي في موضوع زواجي كان غلطة فادحة أتت بنتيجة عكسية تماماً..

أخبرت أمي جدي بالخبر، صفق جدي يداً بيد وأخذ يعاتبني على اختياري الخاطىء لشريك عمري، طلب مني التريث لنسأل عن عيسى ولنعرف من الناس سبب طلاقه لزوجته الأولى، استغربت كلام جدي، أأصدق الناس وأكذب عيسى؟ بمن يجب علي أن أثق أكثر!

سأل جدي معارفه عن عيسى وأهله، كانت سمعته طيبة، لم يكن هناك أي عائق سوى كونه مطلق وأب.

قررت أمي أن يتدخل أبي بالموضوع، اتصلت به وأخبرته أنني على علاقة برجل سبق له الزواج، قالت له كأنها تتهم زوجته وابنته: الرجل قريب لزوج ابنتك جود!

أثار كلامها شكوك أبي، وبطبيعة الحال عرفت ريم بالأمر وبعدها عرفت جود، اتصلت بي جود وعاتبتني، قالت أنني وضعتها في موقف محرج أمام أبي عندما سألها عن علاقتي بعيسى قريب زوجها وهي لا تعرف شيئاً عن الأمر، قالت أن أبي لم يصدقها واتهمها بالتخادن معي، كان موقف جود غريباً، شعرت أنها مستاءة جدا لأنني أريد الزواج من قريب زوجها!

كانت سعيدة في حياتها لدرجة أنها شعرت بالخطر يهددها عندما اقتربت من أهل زوجها!

شعرت أنها أنانية، شعرت أنها لا تريدني أن أصبح جزءاً من عائلتها الجديدة!

لم تكن متعاطفة معي قط وكان في صوتها اتهاماً واضحاً لي وكأنني أريد تخريب حياتها بشكل ما!

في المواقف العصيبة تظهر معادن الناس، نكتشف مدى أنانيتهم، ونعرف قيمتنا الحقيقية عندهم، هكذا أحسست يوم اتصلت بي أختي، قالت لي وهي تحذرني: إذا كان هذا الزواج سيجلب لنا المشاكل فمن الأفضل أن تصرفي النظر عن عيسى!

أردفت أختي العزيزة: سيتقدم لك رجل آخر أفضل منه، لا تستعجلي، أبي أيضاً غير موافق على زواجك من رجل مطلق!

انتهى اتصال جود بي وانتهت معه أيضاً ثقتي بها، شعرت أنها لا تحبني كما أحبها..!

أمي كانت على حق عندما حذرتني كثيراً من زوجة أبي ريم وابنتها!!!!

لم يقف معي أحد في معركتي، لم يتعاطف معي أحد، الكل اعتبر قراري بالزواج من عيسى قرار متسرع وخاطىء، شعرت أن الطلاق وصمة عار على الإنسان، الكل كان يستكثرني عليه، رغم أنه رجل محترم لم يتخلى عن أولاده ويريد الزواج بي بالحلال وأمام كل الناس.

خاصمتني أمي كعادتها، كانت تتعمد الكلام أمامي والدعاء علي واتهامي بأنني ابنة عاقة لم أجلب لها إلا المصائب والفضائح!

ثم قررت أن تغير طريقتها معي علها تؤثر بي، صارت تكلمني بلين وتتودد لي وتنصحني بطريقة حنونة مؤثرة، لكنني لم أصدقها ولم أسمح لها بالتأثير على قراري لأنني أعرفها جيداً وأعرف الهدف من لطفها ولينها.

مر شهر، شهرين، ثلاثة شهور دون تغيير، أبي كان غاضباً مني وأبلغني أكثر من مرة أنه لن يوافق على زواجي من رجل مطلق، أحسست أن لريم وجود

يد في رفضه، لم تكونا تريدان أن أقحم نفسي في عائلة زوج أختي، لم يكن مرحب بي عندهما وهو أمر لم أحسب له حساباً ولم أتوقعه أبداً.

أجهضت رغد مولودها، لم يكتمل الحمل، ذهبت لزيارة خالتي فوجدتها تبكي على الحفيد الذي لم تكتب له الحياة..

تكلمت مع خالتي بيأس، طلبت منها المساعدة، لكنها كانت غارقة بمشاعرها الخاصة..

أحسست أنني وحيدة جداً في تلك الفترة، لم يعد لي سوى عيسى، هو وحده حبيبي، هو وحده من يهتم حقاً لأمري، صرت أحبه أكثر، وتعلقت به أكثر من أي وقت مضى في علاقتنا، أقسمت أنني لن أتزوج غيره، سأنتظر معجزة تجمعني به.. ومهما طال انتظاري سأبقى وفية له مهما حصل..

(18)

تحدد موعد زواج غادة، كان الحفل سيقام في أحد الفنادق، أخبرني عيسى أن غادة تريد دعوتي للحفل ففرحت بالبادرة الطيبة، شعرت أنني صرت جزءاً من أسرته حتى وإن كان أهلي يرفضون ارتباطي به.

أرسلت لي غادة بطاقتي دعوة، واحدة لي وواحدة لأمي، دخلت على أمي وأخبرتها أننا مدعوتان للعرس فثارت ثائرتها كالعادة بل كادت تمزق بطاقات الدعوة..

صرخت متحدية بأنني سأذهب في كل الأحوال، فالعرس يضم كثيرين ولن يعرف أحد لم أنا مدعوة بل على العكس لدي حجة مقنعة، فأختي كنة تلك العائلة وسيظن الناس أنها من قامت بدعوتي.

اتصلت بخالتي عنود وطلبت منها أن تأتي معي للعرس، ارتبكت في البداية، وخافت من أمي، لكنني أكدت لها أنني ذاهبة حتى لو اضطررت للذهاب وحدي.

اتصلت خالتي بأمي وتكلمت معها، وأقنعتها بالذهاب معي لحراستي! قالت لها أن عليها أن تحتويني وأن لا تتركني أتخبط وحدي في موقف كهذا..

وافقت أمي على الذهاب لعرس غادة، شعرت بتلك الموافقة وكأنها موافقة على زواجي من عيسى، كان حضورها خطوة إيجابية تقربني من الزواج من حبيبي، على الأقل ستلتقي بأهله، وربما تشعر بالحماس لمصاهرتهم رغم كل شيء.

لم أخبر جود أنني مدعوة للعرس، لم أكن على اتصال بها، كانت علاقتنا متوترة، والأمور بيننا سيئة، حتى أبي لم يعد يكلمني أو يدعوني لرؤيته.. كان الجميع في حرب ضدي من أجل مصالحهم الشخصية!

اشتريت ثوباً برتقالياً للعرس، ثوب جميل جدا، زاهي اللون والتصميم، كان الثوب يكشف عن كتفي، ويضيق عند خصري ثم يأخذ بالاتساع حول جسدي بطبقات متناسقة من الشيفون الناعم الجيد الصنع، كان الثوب تحفة فنية، اشتريته براتب شهر كامل على حسابي الخاص، صرت أستطيع أن أصرف على نفسي، لم أعد أحتاج لأحد، إنني حرة نفسي، ومستقلة عن أبي وأمي.

قصصت شعري الطويل لمنتصف ظهري، وتركته متماوجاً حراً على كتفي، صبغت شفتي بلون برتقالي صارخ، بدوت جميلة جداً، أجمل مما ظهرت في أي مناسبة سابقة..

نظرت لي أمي بإعجاب وهي تراني أنزل أمامها على الدرج، تنهدت بحسرة: يا خسارة كل هذا الجمال برجل مطلق وعنده أولاد!

زفرت بضيق لكنني قررت أن لا أسمح لها بإفساد مزاجي وفرحتي بجمالي وتألقي، ركبت معها في سيارة السائق وانطلق بنا إلى الفندق الذي يقام فيه العرس..

كنت سعيدة متحمسة، وكأنني زوجة أخ العروس فعلاً، كنت أشعر بالإثارة لرؤية غادة في فستان الزفاف، تمنيت لو أنني تزوجت من عيسى قبلاً، لكنت أظهرت للناس مدى حبي لغادة واهتمامي بكل تفاصيل زواجها، لكنت رقصت طوال الحفل، ووضعت ذراعي بذراع عيسى على الكوشة وقت التقاط الصور..

كان خيالي يأخذني لأمور أتمناها، تنهدت وأنا أتخيل نفسي عروساً أزف إلى عيسى.. كان ذلك أعظم أحلامي على الاطلاق..

كانت أمي تراقبني بصمت، وخلال نظراتها لمحت بعض العطف، ربما رق قلبها على حالي، ليتها تعرف كم يعني لي هذا الرجل وكم أحبه..

وصلنا إلى الحفل، كنت واثقة بنفسي بشدة، سعيدة بجمالي وطلتي المميزة، دخلت مع أمي واخترنا مكاناً قريباً من مدخل القاعة..

كان الحماس يضج في صدري، وكأن حضور أمي معي يعني موافقتها المبدئية على زواجي ممن أحب، كنت ممتنة جداً لأنها تنازلت وأتت معي..

دخلت أختي جود مع أمها، بدت جميلة، وبدت خالتي ريم أنيقة للغاية، همست لي أمي: ما أثقل دمها! خاطفة الرجال!

جلست أختي وأمها أمامنا في الجهة المقابلة..

وبمجرد أن لمحتنا جود، فغرت فمها دهشة..!

لوحت لها بعفوية وأنا أبتسم.. فصدت عني!

استغربت صدها، كانت تنظر لي خلسة بغضب وغيظ، لم أكن أعرف أن لها وجهاً لا أعرفه! وجهاً غيوراً أنانياً قاسياً! أموراً لم أكن أتخيل أن أختي تتصف بها.

رقصت جود مرتين قبل دخول العروس، كان الجميع يسلم عليها بحفاوة، بدت محبوبة في عائلة زوجها، وكلما التقت عيني بعينيها كانت تصد عني وتتجاهل وجودي..

كنت مشغولة بمراقبة جود في حين كانت أمي مشغولة بمراقبة ريم التي ظلت تنظر إليها بغيرة وانزعاج، قالت أمي فجأة: يجب أن أنزل وزني، سأزور عيادة التغذية...

كم قاسية هي المقارنة، نقارن أنفسنا بالغير فنشعر بالاضمحلال والخسارة وأسوأ ما نخسره هو تقديرنا لذاتنا وتقبلنا لما نحن عليه..

جميل أن نسعى للأفضل، لكن دون أن نجحد ما لدينا ونشكر الله عليه، لا أحد كامل أبداً، فالكمال لله وحده، ولكل شخص مميزاته وعيوبه، حتى الأكثر جمالاً والأفضل شكلاً لديه نواقص لا نراها ولا نعرف بها.

كانت أمي تغلي من الداخل، وكنت أنا منزعجة من تجاهل أختي لي، لم نكن في أفضل حالاتنا قطعاً، إلى أن حان موعد دخول العروس، صدحت أغنية هب السعد من جديد، وكأنني موعودة بسماعها في جميع الأعراس التي أحضرها..

سألتني أمي فجأة: أين هي أم العروس؟

قلت لها بحزن: صحتها سيئة، لا تستطيع حضور العرس..

قالت أمي بسخرية: تعرفين ظروفهم كاملة إذن؟

لم أرد على أمي.. تنهدت من أعمق أعماقي، فهؤلاء القوم هم أحب الناس إلى قلبي..

ظهرت غادة عند مدخل القاعة، كانت جميلة كالملاك بفستانها الأبيض الضيق الذي يظهر اتساق جسدها الممشوق، بدت راقية، زينتها خفيفة جداً وابتسامتها الهادئة تجمل وجهها أكثر من أي زينة.

خطت بثقة وهي تسير مرفوعة الرأس بين الحضور بلا غرور أو تكبر، كانت بسيطة، وجميلة جداً، همست لي أمي: أيشبهها أخاها؟

ابتسمت: سترينه عند دخول الرجال، لا تستعجلي..

شعرت بحب جارف نحو غادة، حب يمتزج بحبي لأخيها، شعرت أنها تخطو فوق قلبي لا على الأرض، تمنيت لها حياة جميلة وسعادة لا حد لها ولا نهاية..

كنت طيبة، ومخلصة، كنت مستعدة لأن أفدي عيسى بروحي، عيسى وكل من يعز عليه، ورغم أن غادة كذبت علي من قبل، إلا أنني لم أكن أحمل لها أي ضغينة في قلبي.

جلست غادة على الكوشة، لمحت جود وهي تقف مع بنات العائلة تصفق على نغمات الأغنية الجميلة، رقصت بعض الفتيات، شدت إحداهن جود لترقص معها ففعلت..

تمنيت لو أرقص أنا أيضاً، لكن لم تكن لي صفة رسمية لأفعل.. تنهدت وأنا أرى جود تتحرك بالقاعة كالفراشة.. حسدتها على حظها وسهولة حياتها، تمنيت لو تأتي لتطلب مني أن أرقص معها، وأن تأخذني لأتصور مع غادة الجميلة، خيبت أختي ظني بشدة، كنت أظنها سنداً فإذا بها تصبح عدوة بلا سبب!

قررت أن أقوم من مكاني، علي أن أفرض وجودي، لم آت لهذه الحفلة كي أجلس بجوار أمي طوال الوقت وأسمع تعليقاتها عن دناءة ريم ومكرها!

قمت كتحفة جميلة نُفض التراب عنها بعد طول انتظار..

وقفت وابتسمت، رفعت رأسي الجميل وخطوت أرقص على أغنية أحبها لراشد الماجد، تمايلت بين الفتيات وحُسني يلفت نظر الجالسات نحوي، رأيت أكثر من امرأة تشير نحوي وتسأل من أكون، التقت عيني بعيني جود وهي ترقص أمامي فصددت عنها، لم أكلف نفسي حتى عناء المحاولة، لن أتسول الحب، لا وألف لا، وأخت كهذه لم تعد تلزمني!

سرت في جسدي قوة رهيبة، فالضغوط والخيبات التي تعرضت لها في الفترة الماضية علمتني الكثير، لن أستجدي حب أحد ولا مساعدة أحد، سأحصل على كل ما أريد، وسأتزوج عيسى رغم أنف الجميع!

اقتربت من الكوشة، رأتني غادة فاتسعت ابتسامتها، اقتربت منها، جلست بجوارها.. فمدت يدها وأمسكت يدي، كانت جميلة جداً عن قرب، تأملت ملامحها وتناسق الألوان على وجهها، امتدحت طلتها، صورتنا المصورة معاً عدة لقطات بطلب من غادة نفسها..

فوجئت بجود تأتي وتقف خلفنا وهي تقول ضاحكة: أريد أن أتصور معكما!

نظرت إليها باستنكار! وكأنها تبدلت بفتاة أخرى غير التي كانت تتصدد عني طوال الحفل!

لم أكترث لجود التي أحست بسخافة وجودها بعد التقاط الصورة، خاصة وأنني تجاهلتها تماماً، هممت بالذهاب فطلبت مني غادة أن أبقى بجوارها أكثر، كانت تعاملني بلطف واضح..

لابد أن الجميع صاروا يظنون أنني صديقة مقربة لها..

أتت ريم مع جود بعد برهة.. بدت مضحكة وهي تتأرجح على كعبها العالي، ساعدتها جود بصعود الكوشة، قالت ريم: مبروك حبيبتي غادة، ألف مبروك!

ثم التفتت نحوي وقالت متملقة: شوق، تبدين رائعة اليوم!

كان الموقف يحتم علي أن أقف لتجلس زوجة أبي مكاني لتتصور مع العروس، ودون أن أرد على ريم نزلت من الكوشة، ومشيت متجهة لمكان جلوسي قرب أمي وأنا أرفع رأسي بكبرياء عظيم.

اقترب موعد دخول الرجال للقاعة، تعلقت عيناي بالباب وأنا أنتظر ظهور عيسى، أرسلت له رسالة لأخبره بمكان جلوسي، كان قلبي يخفق بشدة وكأنه سيزف إلي، وعندما دخل الرجال لم أنظر قط لزوج غادة، ولم أتذكر شيئاً من ملامحه في تلك الليلة، كان كل تركيزي على عيسى، حبيبي الوسيم الذي يطغى وجوده على وجود كل رجال الأرض.

ابتسم لي عيسى، فظهرت أسنانه المرتبة كصف من اللؤلؤ، همست لأمي: هذا عيسى..

نظرت له أمي باهتمام.. حاولت أن أستشف رأيها به لكنها كانت غامضة، لم أستطع التكهن برأيها به أبداً، كانت صامتة تماماً وجمود وجهها يخفي ما يعتمل بداخلها.

نظرت لعيسى وهو يحتضن غادة، إنه ولي أمرها، فوالده توفي في صغره، كانت تعتبره أخاها وأباها في الوقت نفسه، فدمعت عيناي وأنا أراه يقبل رأس أخته ويضمها إلى صدره، تنهدت وأنا ألمح ولدين صغيرين يرتديان

الدشداشة.. أحدهما في حوالي السابعة من عمره والثاني في حوالي الخامسة.. إنهما جاسم وزيد، ولدا عيسى.

كان جاسم يشبه والده بشده، في حين كان زيد مختلفاً، لابد أنه يشبه أمه.. ابتسم لي عيسى وهو يشير لي نحوهما فهززت رأسي أنني عرفتهما.

لكزتني أمي: ما هذه المهزلة! ولده يكاد أن يبلغ طوله! أنت متأكدة من عمر هذا الرجل؟

يبدو لي أنه في الأربعين!

تنهدت: لا، لا يزال في بداية الثلاثينات..

كنت مخطئة في ذلك أيضاً، فعيسى صارحني بعدها ونحن نتحدث بالهاتف أنه في الخامسة والثلاثين من عمره!

قمت مع أمي لنتناول العشاء فقفزت جود من مكانها فجأة وتقدمت للسلام من أمي!

فاجأني تصرفها الغير متوقع، فشعرت بالارتباك، إنها تتخبط بوضوح.. ولم أعد أستطع تحمل نفاقها عندما قالت بلطف كاذب: مرحبا خالتي، أنا جود أخت شوق!

رحبت بها أمي ببرود، همست لي جود بطريقة طبيعية: تبدين جميلة جدا الليلة..

نظرت في عينيها معاتبة، ولم أرد على إطراءها..

في طريق العودة ظلت أمي صامتة، فلم أتجرأ على قطع صمتها، على الأقل

الصمت أكثر راحة من الشجار والنقاش، لم أرد أن ينتهي هذا اليوم الجميل بالصراخ والبكاء.

وصلنا للمنزل وصعدت لغرفتي مسرعة بعد أن شكرت أمي على حضورها معي..

بدلت ثيابي وجلست انتظر اتصال عيسى ككل ليلة، تحدثنا عن تفاصيل العرس بفرح في تلك المكالمة، وعندما أخبرته أن والدتي ظنته بالأربعين، قالت مرتبكاً أنه في منتصف الثلاثين! فثارت ثائرتي: ما الذي تخفيه عني أيضاً؟

لم أكن أحتمل المزيد من المفاجآت، في حين لم يكن هو يشعر بأي مشكلة بأنه أنقص عدة أعوام من عمره!

ضايقني عيسى بكذبه علي، فقد كذب أولاً بخصوص وضعه الاجتماعي، وثانياً بخصوص عمره!

سألته بوضوح: إن كنت قد كذبت علي في أي أمر آخر، أرجو أن تخبرني به الآن..

أقسم لي أنه لم يكذب بأي شي آخر وأنه لم يعد يخفي عني أي شيء..

أكنت أستطيع أن أفعل شيئاً سوى أن أصدقه؟

لا.. كنت أحبه، وأحب أخته، وأحب حتى ولديه..

كنت أريد الزواج به مهما كان الثمن، ومستعدة للصبر عليه حتى آخر مدى..

حتى لو خسرت أبي، وعلاقتي بأختي، ورضا أمي على زواجي..

كانت الحياة بالنسبة لي هي هذا الرجل، ولا أحد سواه..

(19)

ومر عام لم يتغير فيه الكثير.. ظلت أمي على عنادها وظللت أنا على عهدي لعيسى..

أصبحت خالتي عنود جدة..

رُزق باسل بولد، وكان جدي الأكثر فرحاً بهذا الخبر لأن الله مد في عمره وبلغه برؤية أبناء أحفاده.

الوحيدة التي لم تفرح كالعادة كانت أمي، أخذت تندب حظها الذي جعل لها ابنة مثلي، ابنة ترفض الزواج، وتحرمها من أن تصبح جدة!

كنا في طريقنا للمستشفى لزيارة رغد، لم تتوقف أمي عن الكلام، قالت بقسوة: ابقي على حالك، ضيعي حياتك من أجل رجل مطلق وابقى بلا زواج، احرميني من أن أصبح جدة كجميع صديقاتي اللاتي في عمري، أنت بنت قاسية، أنت بنت ظالمة و..

زفرت، صرت أحفظ هذا الكلام الذي تردده دائماً كاسطوانة لا تنتهي..

صرخت فجأة: توقفي أرجوكِ لقد سئمت!!!

خافت أمي من تعكر مزاجي، خاصة عندما لمحت الدموع وقد بدأت تتجمع في عيني..

صمتت على مضض كي لا أفسد ذهابنا لاستقبال الولادة الذي أقامته خالتي لكنتها..

كنت أعرف أن صمتها مؤقت وأنها ستصر على جلدي بكلامها القاسي عندما نعود للبيت..

تمنيت معجزة تحدث، معجزة تغير واقعي وحالي وتنقذني من عذابي كله!

لم أكن أعرف أن أمنيتي ستستجاب بسرعة شديدة، وأنني على موعد مع ما سيغير حالي تماماً بعد قليل!

وصلنا إلى المستشفى، شعرت بصداع فتاك بمجرد أن وضعت قدمي على الأرض، شعرت بأن الدنيا تدور بي، حاولت أن أتمالك نفسي فلم أستطع، فشعرت بنفسي أتهاوى على الأرض بين صرخات أمي..

فتحت عيني بعد برهة لأجد نفسي بغرفة الطوارئ، كان المغذي موصول بذراعي من خلال الإبرة المخيفة التي أكره رؤيتها.. شعرت بالإعياء، سمعت الطبيب يطمئن أمي: لا تقلقي، انخفاض في ضغط الدم، يبدو أنها لم تأكل شيئاً اليوم!

كانت أمي تنظر لي بقرف، قالت بحدة: ارتحتِ الآن؟ أفسدتِ علي الاستقبال! ستظن عنود أنني غرت منها لأنها أصبحت جدة قبلي وتعمدت عدم الحضور لاستقبال حفيدها!

قلت بضعف وأنا أحاول ألا أبكي: يمكنك الذهاب، أنا بخير، أنتهي من المغذي وأعود مع السائق للبيت..

تأففت أمي وتذمرت ثم قامت من مكانها وذهبت للاستقبال وحدها دون أن تعبأ بي!

انهمرت دموعي، أخذت أنشج بصوت مكتوم، شعرت بأنني مظلومة مضطهدة، وآلمني هذا الشعور بشدة..

اقتربت مني الممرضة وقالت جزعة: أنتِ بخير؟ هناك شيء يؤلمك؟

بكيت أكثر وأنا أتمنى لو أستطيع أن أحكي لها عن همي، كدت أشير نحو قلبي لأخبرها أنه هو من يؤلمني ويوجعني، لكنني لم أفعل، فالهم أسوأ من المرض، وأنا قلبي صار مريض بالهم والحزن.

أغمضت عيني، سمعت صوت عيسى وهو يهمس: كيف حالك الآن؟

ابتسمت في سري، كان صوته لذيذاً، ياه كم أحبه..

قال عيسى: الحمدلله، الطبيب يقول أنكِ بخير..

تنهدت، جميلة هي أحلام اليقظة، وجميل هو صوت عيسى بقربي..

لكن مهلاً، إنني أسمع صوته فعلاً، لعله صوت قريب من صوته؟

لم أستطع تمييز الكلمات التي كان يقولها ذلك الصوت المألوف..

إنه عيسى فعلاً، أنا متأكدة أنه هو خلف الستار الذي يفصل بيني وبين السرير المجاور في جناح الطوارىء!!!

معقول أنه هو!!!

مددت يدي دون أن أفكر.. سحبت الستار بقوة، فتحت عيني بأقصى ما أستطيع، التقت عيناي بعيني عيسى..

كانت الدهشة مرتسمة على كل شيء فيه، عيسى.. الكاذب الكبير، أكبر كذاب عرفته في حياتي..

كان عيسى يقف بجوار السرير وهو يمسك بيد امرأة لا أعرفها، كانت المرأة متعبة، نظرت إليها، كانت تحمل ملامح شرق آسيا.. فتاة من بلد آسيوي، بيضاء شاحبة... وشعرها الناعم يحيط بوجهها..

تلعثم عيسى وارتبك.. سألته بصوت مختنق: من تكون هذه؟

قال بخجل: هذه لورا، زوجتي!!!!!!

(20)

أتعرفون ما هو أسوأ من الكذب؟ الغدر..

الغدر مؤلم أكثر من الكذب، الغدر يشعرك بشعور غريب، يشعرك بأنك كنت مجرد دمية تافهة في يد الآخرين، يشعرك بأنك لا شيء، مجرد حشرة صغيرة وضيعة سحقها الغادرون في طريقهم دون اكتراث!

هكذا شعرت يوم عرفت أن عيسى متزوج من لورا..

فتاة آسيوية تعمل في صالون المنطقة التي يسكنها عيسى، كانت تلك الفتاة تأتي لتصفف شعر غادة وتصبغه في البيت، تزوجها عيسى بالسر لإشباع رغبات رجولته كما قال، لم تكن تعني له شيئاً، كان يحبني.. ذلك الحب الغبي المضحك طبعاً، والذي لا يمكن أن يكون حباً، تعبت لورا يومها، أحضرها للمستشفى، وشاء القدر أن ينقطع حبل أكاذيب عيسى أخيراً ليظهر على حقيقته أمامي..

لورا حامل، أقسم عيسى أنه سيطلقها بعد أن تلد، أو أنه سيحاول إقناعها بالتخلص من الجنين مقابل مبلغ مادي يكفل لها حياة طيبة في بلدها.. أقسم أنه يحبني، تحدث عن أمور لم أفهمها، كل ما عرفته وقتها أنني كرهت ذلك الكاذب الجبان، وأن الوقت قد حان لأتخلص من علاقتي المريضة به..

نسيت أن أخبركم أنني عرفت لاحقاً أنه غير جامعي ولم يدرس في مصر كما أخبرني، ويعمل في الوزارة بشهادة الثانوية!

كان عيسى أكبر مقلب في حياتي..

لم يكن حبي الصادق له سوى سراب أمام حبه المليء بالأكاذيب..

أأحبني عيسى؟ ربما، لكن مفهوم الحب عندي مقترن بالصدق والوفاء، ومفهومه عنده مقترن بالكذب والخداع.

قررت أن أنساه، قررت ذلك بصدق، لم أخبر أمي بما حصل معي، خفت أن تشمت بي، وأن تعايرني بأنني لم أستمع لنصائحها، لم أخبر أحداً بقصة فشلي وانفصالي عنه، كنت وحيدة كما لم أكن أبداً، وحيدة بمعنى تلك الكلمة، لا صديقة تحتوي ألمي وتخففه، ولا أخت تساندني وتمنحني رفاهية الفضفضة..

كتمت حزني في قلبي، حظرت رقم عيسى من هاتفي، وحجبته في جميع مواقع التواصل الاجتماعي التي كانت تجمعنا، وكذلك فعلت مع غادة..

لم أعد أريد أي شيء يذكرني بهما.. هزلت ونحفت، أصبح وجهي شاحباً وهالات السهر السوداء ترتسم بوضوح تحت عيني، لاحظت أمي هزالي فهمست لي ذات يوم: إن كنتِ مصرة على الزواج من ذلك الرجل المطلق، سأوافق من أجلك!

كدت أن أسقط مغمى علي، ياللسخرية، وافقت الآن بعد أن تركته، لكنني حمدت الله أنها لم ترضخ لي وتوافق على هذا الزواج قبلاً، لكنت وقعت في حفرة لن أستطيع الخروج منها، فهذا الرجل كاذب بالفطرة، ينطق بالكذبة دون أن يهتز له جفن، ورجل مثله لن أسعد معه بالتأكيد ولن أثق به أبداً..

رجل أحمد الله كل يوم لأنني لم أتزوجه وإلا كنت سأعيش معه في جحيم حارق طوال عمري.

وفي يوم كنت فيه في العمل، جلست في مكتبي وحدي أشرب قهوتي المرة كحياتي، كنت متباعدة عن زميلاتي بشكل عام، لم أكون أية صداقات معهن فقد كنت مشغولة دائماً بعيسى..

لم أكن أملك الوقت لأية صداقات لأن عيسى كان صديقي الوحيد وذلك خطأ فادح وقعت فيه، كان من الممكن أن تكون حياتي أجمل لو كان لي صديقات أشاركهن همي.

أتى زميلي فوزي يحمل بعض الحلويات، وقف أمامي، ابتسمت له بإعياء، قال بقلق: ما بك شوق؟ عندك مشكلة تتعبك؟

نظرت إلى فوزي، ذلك الطيب السمين، إنه سمين جدا، مترهل الجسد، يبدو ككرة كبيرة دافئة، ودشداشته تضيق عليه دوماً ناحية البطن.

كنت أعرف أن فوزي ألطف رجل في العالم، كنت أشفق عليه، لأنه يتفانى في وظيفته، ولا يمانع أبداً بتحمل المزيد من الأعباء في العمل، حتى أنني كنت أطلب منه أحياناً أن يكمل عملي كي أستطيع الرحيل مبكرة عن موعد انتهاء الدوام المعتاد وكان يفرح بمساعدتي، ويقوم باللازم على أكمل وجه بل ويشكرني على ثقتي به..

كنت أعتبر فوزي رجل على هامش الحياة، رجل تمر به السعادة فتغمره بوفرة، وتمر به التعاسة فيتخطاها ببساطة..

إنه رجل يشبه الأطفال..

صحيح أنه غير وسيم، لكنه مميز فهو طيب نقي كالملاك..

قال بإلحاح: أخبريني ما الذي يضايقك، اعتبريني أخاً لكِ، ثقي بأنني

مستعد لسماعك ومساعدتك مهما كانت مشكلتك عويصة!

نظرت إليه ودون أن أقرر، وجدت نفسي أبكي بحرقة أمام نظرة الحنان التي رأيتها في عينيه، لم يكلمني أحد بهذه النبرة مطلقاً، شعرت أن الدنيا لا تزال بخير مادام فيها أشخاص مثل فوزي..

وحكيت له قصتي مع عيسى، كان وجهه يتغضن بألم وأنا أخبره عن أكاذيبه، أخبرته كم أحببته وكم تمنيت الزواج منه، أخبرته كل شيء، لم أخجل منه وأنا أظهر أمامه كمغفلة، اكتشفت أن قصتي تثير الشفقة لأن فوزي كاد أن يبكي معي وهو يسمعها!

انتهت دموعي، وانتهت معها قصتي التعيسة، بدا لي أن فوزي يقاوم ببسالة كي لا ينهار معي، قال أنني محظوظة لأن الله أنقذني من هذا الرجل المخادع، وأنني اكتشفت حقيقته قبل الزواج، طلب مني أن أنظر للموضوع بإيجابية، قال: لكل إنسان تجاربه الخاصة، وحتى إن كانت هذه التجارب مريرة، فإنها تصنعه، وتجعل منه شخصاً أقوى وأفضل.

شعرت ببعض الأمل وأنا أفكر بكلامه، عدت إلى المنزل ساهمة، نظرت لي أمي بحسرة، سألتني: شوق، أخبرتك أنني سأزوجك لمن تريدين، فلم كل هذا الهزال والحزن؟

نظرت إليها كأنني أنظر إلى سراب، قلت بصوت أجهدته الأحزان: تركته، لم أعد أريده..

صدمت أمي، سألتني بفضول: لم؟ ماذا حدث؟

أخبرتها دون تفاصيل: تركنا بعضنا، انتهت قصتنا معاً..

قمت من مكاني كي لا أضعف أمامها فأخبرها كل شيء، لن أقع في الفخ، أعرف كم ستلومني وتقوى علي أكثر إن عرفت ما عرفته عن عيسى.

في اليوم التالي ذهبت للدوام وأنا بمزاج أحسن، وضعت الكحل في عيني لأنعشها، شعرت أنني عدت إلى الوراء، إلى وقت لم أكن فيه مكبلة بالخيبة، كانت قصتي الحزينة مع عيسى قد استنزفتني تماماً.

وصلت إلى مكتبي، وجدت باقة ورد رقيقة على الطاولة، وبطاقة كتب فيها: كوني قوية، فقصتك لم تنتهي بعد..

ابتسمت، إنها من فوزي، جلست وأنا أتأمل الورد بحنان، لقد منحني الله صديقاً، والصديق أكثر من نحتاج إليه وقت الضيق.

أتى فوزي لاحقاً لزيارتي، أحضر لي معه فطيرة جبن، ضحكت وأنا أرى الفطيرة الشهية أمامي..

قال بلهفة: إنها ساخنة، تفضلي.. يجب أن تأكلي جيداً..

كان لطيفاً دون تصنع، وطيباً للغاية، يتحدث بعفوية، يأكل كثيراً، إنه يجد في الأكل سعادته، وبدأت أتعرف على فوزي أكثر وأكثر..

مرت أيام كثيرة صرنا فيها أكثر قرباً، وجدته في ليلة ما يبعث لي برسالة على الوتساب، فأجبته على الفور، ارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهي وأنا أتخيل وجهه الكبير وهو يتلقى رسالتي بفرح..

كان فوزي يشعرني بأنني شيء كبير، كان يشعرني بأني كثيرة، كثيرة جداً وجميلة..

إنه يعاملني كملكة، ينبهر بجمالي ويطريه بحماس، لا يخفي أعجابه بما

أرتديه ويشيد بذوقي باختيار الألوان، حتى زينتي كان يلاحظها ويعلق عليها يومياً..

وجدت نفسي أتخيل تعليقاته اللطيفة وأنا أتجهز للذهاب للعمل كل صباح فأبتسم..

ومع الوقت بدأت ذكرى عيسى تبتعد عني.. ابتعد كل ماضيي معه، صارت قصتي معه مجرد ذكرى أليمة تذكرني بالفشل، وكنت أهرب من تلك الذكرى المزعجة إلى عالم فوزي البريء، ونسيت أن فوزي رجل، وأن له قلباً قد يحب..

تجاهلت فكرة أنه قد يحبني، تركت نفسي أنجرف معه كصديقة وزميلة، لم أقدر عواقب تعلقه بي، ولا التوقعات التي قد يبنيها بسبب طريقة معاملتي الودودة له.

أحياناً نتصرف بلطف زائد، يصبح وجودنا كطعم السكر في الفم، نصبح ذو أثر لذيذ ممتد، نسمح لمن حولنا بالتشبع بلطفنا حتى وإن كنا نعرف أنهم مجرد أصدقاء بالنسبة إلينا ولا يمكن أن يكون لهم مكانة أكبر في قلوبنا..

في علاقتي مع فوزي كنت أطرد أية فكرة تحذرني من أنه قد يحبني، تجاهلت نظرات عينيه الهائمة، وحرصه الشديد على إرضائي وإسعادي، لم أكن أستغله، بل على العكس، كنت أريد صداقته وحنوه وطيبة قلبه، كنت أحتاج التواجد في عالمه النقي النظيف..

لكنني لم أكن أريد منه أكثر، ولم أكن أتخيل نفسي مرتبطة به على نحو آخر.

ودق ناقوس الخطر عندما عدت من العمل ذات يوم لأجد أمي فرحة مستبشرة، كانت تنتظرني في حوش المنزل، قالت مهللة: ألف مبروك! اتصلت بي والدة زميلك في العمل لتخطبك له!!!

لجمت الصدمة لساني، رمشت بعيني غير مصدقة، مهلاً، قد يكون زميلاً آخر غير فوزي!

سألت أمي بحذر: أي زميل؟

قالت وهي تكاد تزغرد: اسمه فوزي!!

وشهقت!! لم فعل ذلك دون أن يخبرني أولاً، ياله من غبي!! فكرت بداخلي.. ثم عضضت على شفتي ندماً.

لاحظت أمي استيائي، قالت مستغربة: ما بك؟ لم لستِ سعيدة بالخبر..

قلت بضيق: هو سمين!

قالت بسرعة: يمكنه أن ينزل وزنه!

قلت وأنا أزفر: إنه سمين جداً ويعشق الطعام، لن يستطيع أن ينزل وزنه..

قالت ببساطة: نشترط عليه إجراء عملية تكميم قبل الزواج!

قلت غاضبة: نعرض حياته للخطر من أجلي؟ ماذا إن حصل له مكروه بسبب العملية؟

قالت أمي: كثيرون أجروها، ولم يحصل لهم شيء!

تناقشت مع أمي قليلاً ثم تركتها لأذهب لغرفتي، صادفت جدي في الممر فابتسم لي..

نظرت إليه بحيرة، فتح لي ذراعيه، فارتميت في أحضانه.. كانت رائحته جميلة، بخور معتق، وطيب عربي محبب..

تمنيت لو يتوقف بي الزمن هكذا، محمية هانئة في أحضان جدي، حيث لا قلق ولا ألم.. ولا تحديات تشعرني بالعجز وقلة الحيلة.

دخلت غرفتي وأقفلت بابها خلفي، أخرجت هاتفي النقال، وأرسلت لفوزي رسالة: أريد أن نلتقي لنتكلم!

أجابني على الفور: متى؟

كتبت له: في السابعة، سأرسل لك عنوان المكان..

تركت هاتفي قبل أن أتلقى جوابه، وما سيكون جوابه غير الرضوخ؟

شعرت بضيق لا حد له، لمت نفسي لأنني عاملته بلطف وسمحت له بالاقتراب من عالمي إلى هذ الحد، نسيت أن فوزي رجل، وأنه لا صداقة مع الرجال من دون عواقب، قد تتحول الصداقة بالتدريج إلى حب، ولم يكن فوزي يستحق أن أسحق قلبه..

كان ألطف من أن ألحق به الأذى، علي أن أشرح الأمر له، عزيز هو عندي، أقدره وأحترمه بشدة، لكن من المستحيل أن أتزوجه. لا يمكنني فعل ذلك.. لا أستطيع!

جلست أمام فوزي وأنا في أسوأ حالاتي، لم أختر ملابسي بعناية، ارتديت أول شيء وقعت عليه عيناي، بدوت متعكرة المزاج وبلا زينة تقريبا، حاولت أن أخفف من توتري فلم أستطع فبدأت يداي ترتجفان في حجري.

كان فوزي سعيداً، لم يكن يرى فيّ كل ذلك القلق، كان يظن أنه أسعدني بمفاجأته الغبية المتسرعة..

قلت بهدوء مزيف: يجب أن نتحدث..

قال بفرحة: أسمعك..

قلت: كان عليك التحدث معي أولاً قبل أن تطلب من أمك التحدث مع أمي بشأننا..

أرخى عينيه بخجل وقال: أردت مفاجأتك، أنا أحبك كثيراً شوق، أكثر مما تتصورين، أنت العالم بالنسبة لي، أحببتك منذ رأيتك، ولم تكوني تشعري بي، وبعد أن توطدت علاقتنا أكثر، عرفت أنك تحبينني أيضاً..

صرخ صوت بداخلي: ياللمخدوع المسكين!! فأنا لم أحبك أبداً!

انلجم لساني، نظرت إليه وسألت نفسي، ماذا أخذت من الحب؟ وماذا فعل بي الرجل الذي أحببته؟ تذكرت قولاً لا أذكر أين سمعته، ارتبطي بمن يحبك لا بمن تحبينه..

صوت ما بداخلي حذرني من التفريط برجل مثل فوزي، رجل طيب، سليم النية، واضح ككتاب مفتوح، رجل لن يجرحني أبداً ولن يخيب ظني به، صحيح أنه غير وسيم، لكن ما الذي نالني من وسامة عيسى سوى الأسى!

مع رجل مثل فوزي سأكون نفسي، لن أتجمل ولن أقلق حيال أي شيء، لن أخاف التقدم بالعمر، ولن أخاف أن يخونني مع غيري، لن أغار عليه، ولن أتجسس عليه أبداً أو أراقبه، أحسست بالراحة تغمر قلبي فجأة وأنا أنظر إليه، لم يكن منفراً، بل على العكس كان وجهه لطيفاً وملامحه مريحة، أنفه صغير

وعيناه عسليتان، وبشرته البيضاء مشربة باللون الأحمر للصحة والعافية..

أحسست فجأة أنني مستعدة للزواج من صديقي، ولم لا؟

رجل يعاملني كأميرة، لم لا أتزوجه لأرتاح طوال عمري؟

رفع فوزي يده ووضعها على الطاولة، تخيلت يده فوق يدي، تخيلت نفسي ألبسه خاتم الخطوبة، لابد أنه سيكون خاتماً كبيراً جداً، نفرت من الفكرة، انزعجت، لا، لا أستطيع المجاملة في حياتي، أنا لا أريد الزواج من فوزي، لا أريد الراحة!

لا أريد الحب النقي الجارف والمريح!

مكتبة
t.me/t_pdf

قلت بلطف وأنا أشعر بحزن لا حد له: أنت صديق رائع، وزميل لن تتكرر، لكني لا أستطيع الزواج منك..

فغر فوزي فمه وقال ببلاهة: لكن.. شعرت أنك تحبينني كما أحبك!

قلت بقسوة حاولت أن أخففها قدر المستطاع: أنا لا أحبك.. أعتبرك أخاً لي.. أنت خلطت الأمور، لو كنت سألتني قبل أن ترسل أمك لخطبتي لكنت وفرت علينا كل هذا الحرج.. لقد أخطأت فوزي، ولا ذنب لي إن كنت عجولاً لهذا الحد!

وكسرت قلب أطيب رجل عرفته في حياتي..

(21)

انتقل فوزي إلى فرع آخر للوزارة كي يهرب مني..

لم يعد يريد رؤيتي، ولم أكن ألومه، فرؤيتي كانت تسبب له الكثير من الألم، لقد جرحته، تعاملت معه بدناءة، لم أقدر مشاعره، وتركته يتعلق بي، كنت أعرف أنه يحبني، وسمحت له بأن يظن بأنني أبادله نفس الشعور، ثم رميت به من السماء إلى الأرض!

كنت أشعر بالسوء حياله، تألمت لأجله وأحسست أنني فتاة طالحة، أمي كادت تجن لأنني رفضت الزواج منه، أخبرتها أنني لا أريده لأنه سمين جداً، وأنني أبلغته شخصياً برفضي..

لكنها ظلت تندب حظها كالمعتاد وكأنها هي التي خسرت العريس وليس أنا!

ساندني جدي كالعادة، قال لي بلطف: ترفقي بنفسك شوق، لا ترغمي نفسك على الزواج من رجل لست مقتنعة به مهما كانت الظروف.

كان كلامه بلسماً لجروحي، لاحظت أن فوزي قد حجبني من برامج التواصل، ولم أهتم، معه حق، لم أكن ألومه على غضبه مني.

أعترف أنني افتقدته، افتقدت صداقته كثيراً، صارت أيامي في العمل مملة جداً من غيره، حاولت بناء علاقة طيبة مع زميلاتي، لكن الوقت قد فات، لم أستطع كسر الجمود بيني وبينهن، لأنني تباعدت عنهن لفترة طويلة ويبدو أنهن لم يعدن راغبات بصداقتي.

وحدث أمر مفاجيء، تطلقت أختي جود من زوجها!!!!!

سمعت بالخبر من أمي، كانت نبرة الشماتة واضحة في صوتها وهي تقول: أمها تسببت بخراب بيتي وها هي ابنتها الآن تدفع الثمن! يقولون أن زوجها على علاقة بامرأة أخرى!

احترت بشعوري، لكن الحزن على مصير أختي كان أقوى بكثير من غضبي منها.

أرسلت رسالة لجود فطلبت مني أن آتي إليها في منزل أبي..

دخلت المنزل وكأنني لم أغب عنه قط، فالمصائب تنسينا الخلافات، بكت أختي على صدري وريم أيضاً كانت تبكي بصمت، قال أبي: لم نكن نعرف أنه زير نساء!!

ازداد نحيب أختي، قلت لها: لم لا تصبرين عليه؟ تغاضي عن خيانته لأجل ولدك، فالحياة صعبة دون أب، سيحرم حامد الصغير من أبيه بلا ذنب.

نظر لي أبي بعتب، لأنه شعر أنني أقصده، لكنني لم أكن أقصد معاتبته، فتلك كانت الحقيقة فعلاً..

فأنا عشت في كنف أم مطلقة وأعرف كيف تكون الحياة قاسية في غياب الأب وتشتت الأولاد بين والدين منفصلين.

قالت جود: يريد الزواج علي! لا زلت في عز شبابي، ماذا سيفعل إذن عندما أكبر وأشيخ؟

قالت ريم: اتركيه الآن أفضل مادام عندك ولد واحد، غداً تتركينه وعندك أربعة أولاد!

استغربت منطق ريم، لكنني لم أعلق، فأنا أعرف حدودي، أعرفها جيداً للأسف..

رفضتني أختي عندما كنت سأتزوج من أهل زوجها، وعندما تركها بحثت عني لتجد في مواساتي عزاء لها، ظالمون من يريدوننا وقت المشاكل ويتنكرون لنا وقت الفرح، وما أكثرهم في هذه الحياة!

كان طلاق أختي نقطة تحول في حياتها، لم أكن أعرف أن هذا الطلاق سيكون نقطة تحول في علاقتي بها أيضاً فقد عدنا مقربتين كالسابق..

وجنت جود بعد طلاقها، صبغت شعرها باللون الأشقر، غيرت طريقة ملابسها وكلامها، صارت تريد الخروج معي ومع صديقاتها طوال الوقت تاركة ولدها في رعاية أمها.

تزوج طليقها من حبيبته الجديدة، فازداد جنونها أكثر، أخبرتني أنها تعرفت على رجل مطلق، وأنها بدأت تخطط للزواج منه انتقاماً من زوجها السابق!

نصحت جود بالتريث، أخبرتها أن ما تفعله خطأ وأن اختيارها لأي رجل وهي في هذه الأزمة سيكون خاطئاً لا محالة، عليها أن تهدأ أولاً وتشفي جروح قلبها ثم تخطط لحياتها من جديد..

لم الاستعجال؟ لم عليها الزواج لتنتقم؟ وهل يكون الانتقام فقط بالارتباط بشخص آخر؟

إن أفضل انتقام برأيي هو أن نحيا بصورة جيدة بعد الانفصال، لا أن نسعى لعلاقة جديدة ونحن لا نزال ننزف من جرح علاقة فاشلة.

لم أستطع الحد من اندفاع أختي، كسرها طلاقها المبكر، وهز ثقتها بنفسها،

فصارت متخبطة، أصبحت تعيش مراهقة جديدة في غير وقتها وهي التي كانت أفضل البنات في مراهقتها.

كنت مكتئبة في تلك الأيام وأشعر بالثورة والتمرد على طريقة معاملة الجميع للبنات، نعامل وكأننا خلقنا لنتزوج فقط وعندما نفشل أو لا نجد الزوج المناسب يتم معاملتنا كناقصات أو كقليلات حظ!

قلقت على جود، خفت أن تنجرف في طريق الخطأ، حاولت التقرب منها أكثر، خصصت الكثير من وقتي لأنتشلها وأساعدها في أزمتها، خفت عليها خوفاً حقيقياً بلا ضغينة، فمهما تصرفت معي بشكل سئ في السابق ستبقى أختي، لا شيء يغير هذه الحقيقة..

لقد وجدت في قلبي مجالاً للصفح والغفران.. والحمدلله على ذلك.

كثيرون يعجزون عن الصفح عمن آذوهم، يتعلق الأمر بتركيبة الإنسان النفسية وبقدرته على تحمل الأذى واجتيازه، لم أكن فتاة قوية، لكنني كنت متسامحة، وذلك أجمل خصالي.

(22)

في عيد ميلادي الخامس والعشرين ولولت أمي لأني وصلت لمنتصف العشرينات دون أن أتزوج!

قالت لي قبل أن أطفىء شموع عمري: عليكِ الانتباه، صرتِ في منتصف الطريق للثلاثين، ستتغافلك الأيام وتصلين فجأة للأربعين وتجدين نفسك وحيدة و..

لم أحتمل كلامها القاسي وكدت أبكي أمام كعكتي المسكينة..

قاطعها جدي جزاه الله خيراً وطلب مني أن أنفخ على شموعي لتنطفىء وأنا أتمنى أمنية!

تمنيت وقتها أن أتزوج، أريد فعلاً أن أتزوج لأرتاح من تلك الضغوطات التي تمارسها علي أمي والتي تشعرني أنني عجوز وأنا لا زلت في العشرينات من عمري!

شعرت أمي بالذنب نحوي لاحقاً، فأتت لغرفتي قبل أن أنام، اندست في سريري وضمتني بين ذراعيها فتنهدت، كانت تلك اللحظة من اللحظات القليلة الحانية التي تجمعنا.. فلحظات الخلاف والشجار كانت أكثر بكثير من لحظات الحب والصفاء بيننا.

وأخيراً فجرت أمي مفاجأتها وهي تخبرني أنها ستشتري لي سيارة جديدة!

فرحت بمبادرتها، فسيارتي صارت قديمة وقد كثرت أعطالها مؤخرا،

ارتسم الفرح على وجهي، فقالت أمي: نذهب غداً لوكالة السيارات لتختاري السيارة التي تعجبك..

وفت أمي بوعدها واشترت لي سيارة جميلة لونها أبيض كقلبي، أحببت سيارتي الجديدة بشكل لا يوصف، لدرجة أنني كنت أحتضنها كل صباح قبل أن أركبها..

دفعت أمي ثمنها بالكامل من مالها الخاص، كنت سعيدة بهذه السيارة لأنها أشعرتني بحب أمي لي، وتعاطفها معي ورغبتها بإرضائي وهي أمور كنت من النادر أن أشعر بها..

كنت أحس بالتباهي يغمرني وأنا أخبر الجميع: أمي اشترت لي سيارة هدية لعيد ميلادي!

تضايق أبي من الأمر، وكأنه شعر بالغيرة من أمي، قال لي بعتب: كان عليك إخباري لأساهم في ثمنها!

قلت له بصدق: أمي أصرت أن تشتريها لي بالكامل من مالها الخاص..

فسكت وهو ممتعض والضيق واضح على وجهه..

كدت أكتم فرحتي، فوالدي يتنافسان لإرضائي، لم أشعر قط أنني مدللة لهذه الدرجة!

كانت أمي تتباهى أيضاً بتلك السيارة البيضاء، قالت لخالتي عنود وهي في زيارة عندنا لجدي: شوق ابنتي الوحيدة وكل ما أملك رهن إشارتها!

نبتت لي أجنحة عندما نطقت أمي بتلك الكلمات!

فللكلام الطيب أثر عظيم في نفوس الأبناء، أثر قد يؤثر في شخصياتهم ويغير نظرتهم لأنفسهم..

لا يجب على الوالدين الاستهانة بأثر الكلام الذي يوجهونه لأبنائهم فقد يصنع منهم قادة وعظماء أو يجعلهم مضعضعين ومهزوزين.

ومرت عدة أشهر..

صرت أشعر بالفراغ يملأ حياتي، صارت أيامي متشابهة بشكل مخيف وكأنني أعيش اليوم نفسه مراراً وتكراراً، أذهب للعمل، أتغدى مع أمي وجدي، أستمع لنصائح أمي الخاصة بالزواج والتقدم بالعمر، أنام فترة العصر، أذهب لنادي رياضي صغير اشتركت فيه على مضض لأنني أكره الرياضة وأتكاسل عنها، أعود قرابة التاسعة من النادي، فأتابع بعض المسلسلات على المنصات المعروفة، ثم أنام..

في عطل نهاية الاسبوع كنت أزور أبي وأتناول الغداء في بيته، كنت أصعد بعد الغداء إلى جود في غرفتها لتوافيني بآخر أخبارها العاطفية! تحولت أختي لفتاة مندفعة مجنونة، تغير فيها كل شيء لدرجة أنها طلبت من طليقها أن يأخذ منها ولدها!

لمتها على هذا التصرف فقالت بلا مبالاة: عليه أن يربي ابنه، لا أملك الوقت له ولا أريد أن أتحمل مسؤوليته وحدي!

لم أكن أصدق أن هذه الفتاة المتهورة هي نفسها أختي الهادئة التي كانت تخجل من أن يرتفع صوتها أو أن يرتفع صوت ضحكتها، تحولت ضحكتها الهادئة الخجلة إلى ضحكة مجلجلة أشبه بالصراخ!

كنت أنصحها من صميم قلبي، لم أكن أريد لها أن تتأذى وأن تكتوي بنار الندم بعد أن تصحو من غيبوبة جنونها، لكنها لم تكن تسمعني..

ريم زوجة أبي كانت تشعر بما تمر به ابنتها، كلمتني على انفراد وطلبت مني مساعدتها بإنقاذ أختي، قالت لي بحسرة: ابنتي ضاعت!

أثرت بي تلك الكلمة كثيراً، فمن الصعب على أي أم أن تقف عاجزة أمام جنون ابنتها.

قررت أن أكسر رتابة أيامي بتعلم شيء جديد، فكرت بداخلي، ما الذي يستهويني؟ أريد أن أطور هواية جديدة تشغل وقتي وتملأ فراغي..

وبدأت أبحث عن هواية، لم أكن أحب الرسم ولا أتقنه، فكرت بتعلم الحياكة ثم فكرت بتعلم الطبخ، صحيح أنني أعرف الأساسيات لكني لم أكن طباخة ماهرة..

شجعتني أمي على تعلم الطبخ وقالت بحماس: الآن صرت تفكرين بشكل صحيح، تعلمي الطبخ كي تطبخي لزوجك المستقبلي، فالطريق لقلب الرجل معدته!

هكذا هي أمي، تربط كل شيء بموضوع الزواج!

سجلت اسمي في دورة للطبخ تقدمها طاهية كويتية معروفة، كانت تلك الدورة مخصصة لتعلم صنع المعجنات..

في اليوم الأول للدورة انتابني حماس عجيب عندما بدأ الدرس..

كنت أجلس بين عدة سيدات من أعمار مختلفة..

ركزت انتباهي مع الطاهية المعلمة بشدة كي لا يفوتني شيء من كلامها، لكنني بعد أقل من ساعة فقدت شغفي بتعلم طريقة صنع المعجنات!

داهمني ذلك السؤال فجأة، ما الذي أتى بي إلى هنا؟

لم أنا هنا أساساً، أحسست أنني لا أنتمي لهذا المكان، ولا أريد تعلم الطبخ ولا أملك الصبر لحضور بقية أيام الدورة التي وجدتها مملة للغاية!

أحبطني ذلك الشعور، انتهى الدرس أخيراً وأنا أصارع ضجري وحملت معي ما صنعته من معجنات صغيرة بائسة مثلي وركبت سيارتي..

قدت سيارتي لأعود للبيت، تخيلت أمي وهي تشمت بي عندما أخبرها أنني لا أريد إكمال هذه الدورة، تنهدت بإحباط.. لا شيء يسير معي كما يجب.. إنني قليلة الحظ بشكل فطري! كلمت نفسي بتلك اللغة السلبية وقسوت عليها.. وكأن القسوة ستغير من حالها!

قررت تذوق قطعة من معجناتي وأنا أقود سيارتي العزيزة، فمددت يدي وتناولت قطعة بيتزا صغيرة من صندوق الفلين الأبيض الذي يضم المعجنات..

قضمت منها قضمة صغيرة فلم أستطعم مذاقها، قربتها من فمي لأقضم القضمة الثانية فوقعت البيتزا مني وارتطمت بقدمي..

انحيت بطريقة بطريقة تلقائية لأنقذ النعمة التي سقطت من يدي، حدث الأمر كله في ثانية، ثانية واحدة كانت الفاصل في حياتي، أمسكت قطعة البيتزا الطرية بانتصار ورفعتها إلى فمي لأقبلها مستغفرة، اعتدلت جالسة على مقعد القيادة فشعرت بارتطام قوي، اصطدمت بسيارة مسرعة خرجت أمامي فجأة من طريق جانبي...

تحول كل شيء للون الأحمر في عيني وسائل ساخن لزج يسيل من رأسي..

شعرت بألم قاتل لم أستطع تحديد مكانه، تراءى لي وجه أمي وهي تبتسم..

ثم غبت عن الوعي..

(23)

أذكر تلك الزغللة الراقصة في عيني عندما فتحتهما لأول مرة في المستشفى بعد الحادث..

صورة المكان تهتز بشدة فأغمضت جفني بقوة، أصوات متداخلة تقتحم أذني فأشعر بالانزعاج يهز كياني، أنفر من الضوضاء حولي فأنكمش على نفسي، لا أستطيع تمييز أصحاب تلك الأصوات، شعرت بخوف لا أفهمه، صوت رجل غريب يتكلم: اهدؤوا أرجوكم إنها تستفيق!

كان يقصدني حتماً، لكن لم لا أريد أن أستفيق؟

لم أصر على إغماض عيني وأتشبث ببقائي بعيداً حيث كنت!

أحسست بأصابع يدي اليمنى التي تمسك ملاءة السرير تتشنج، لابد أنني في المستشفى، صور ضبابية تطوف في مخيلتي، سيارتي البيضاء، البيتزا الصغيرة، ثم الارتطام القوي فانتفضت وأنا أميز صوت أمي وهي تقول: اسم الله عليكِ حبيبتي..

رق قلبي، علي أن أستفيق من أجلها، شعرت في صوتها برنة رجاء لامست قلبي، أشفقت عليها من فقدي، لكن أيمكننا اختيار الرحيل حين يكتب الله لنا عمراً جديداً؟

فتحت عيني لأستقبل عمري الجديد بأكبر صدمة تلقيتها في حياتي، إنها يدي اليسرى، لا أستطيع الإحساس بها!!!!

شعرت بارتباك لا حد له وأنا أسمع تفاصيل ما أصابني من ضرر، أسفر

الحادث عن شلل أحادي في يدي اليسرى حيث تسبب ارتطام رأسي بمقود السيارة بمشكلة في النخاع الشوكي في رقبتي، مما أثر على أعصاب يدي.

كانت يدي ترقد بجواري بلا حراك، عرفت أنني خضعت لعملية جراحية فور وصولي للمستشفى، هالني منظري عندما تطلعت في المرآة، كدمات زرقاء متفرقة تشوه وجهي بسبب خروج كيس الهواء لسيارتي بعد الارتطام القوي، يدي متدلية، لا أشعر بها بتاتاً وكأنها خرقة بالية يلفها الشاش..

كان الأمر مفزعاً للغاية، أتت الممرضة لتعلق يدي في رقبتي، شعور مخيف أن لا تشعر بأحد أعضاء جسدك، كأنه مفصول عنك، كأنه لم يعد ينتمي إليك..

جلست أبكي في سريري وأمي تبكي بجواري، قالت بحسرة: يقول الطبيب أنك قد تحتاجين لعملية أخرى إن لم تستطيعي تحريك يدك خلال أيام.

أتى أبي لزيارتي، جلس بجواري ليخبرني أن السيارة التي خرجت من الطريق العام كانت تقودها فتاة حديثة العهد بالقيادة فقد حصلت على رخصة القيادة منذ أيام قليلة..

كانت تقود بسرعة، خرجت إلى الشارع الرئيسي دون أن تنتبه للسيارات القادمة، وكنت أنا غافلة أبحث عن البيتزا التي سقطت من يدي، فلم أستطع تفاديها، كان الخطأ خطؤها بلا شك، لكنني كنت أعرف في قرارة نفسي أنني مخطئة أيضاً.

قال أبي أن الموضوع سيتحول إلى قضية قد يطول الحكم فيها، لم يكن يهمني الحكم ولا التعويض ولا أي شيء آخر سوى يدي التي تخلت عني وتركتني!

أتت خالتي عنود لزيارتي، بكت عندما رأتني بهذا الحال، تعاطفت معي في حين كانت أمي تنظر لها خلسة كأنها تكذب ما تظهره أمامنا من مشاعر.

لم تعد تلك السخافات تهمني، كنت قلقة ويدي المتدلية من رقبتي تشغل فكري وتعذبني.

ماذا لو عابت يدي؟ ماذا لو فقدت الإحساس بها إلى الأبد؟

سأصبح عاجزة عن أداء الكثير من الأمور، يالها من مصيبة لم أحسب لها حساباً ولم تخطر لي على بال!

أتت جود لزيارتي فملأت جو الغرفة مرحاً، كانت تتصرف وكأن لا شيء تغير بي، لم تشر إلى وضع يدي أبداً، قالت ببساطة: ستكونين على ما يرام.

أحسست بالراحة لوجودها بقربي، تمنيت لو أنها تبقى معي طوال فترة بقائي في المستشفى لكن أمي ضايقتها، ونطقت بتلميحات لا معنى لها، وأسئلة ليست في محلها عن موضوع طلاقها، لا أعرف لم تفعل أمي ذلك، كانت تضايقني أكثر مما تضايق الآخرين، ألا تكفيني معاناتي؟

لم تأت جود لزيارتي بعدها هرباً من أمي بالطبع، فازداد همي وحزني..

بقيت أسيرة بجوار أمي التي كانت تولول طوال الوقت على مصيبة يدي التي صارت بلا فائدة!

لم تكن الرحمة من طباعها، ولم يكن الصبر من طباعي في تلك الظروف، انفجرت أكثر من مرة بالبكاء وأنا أرجوها أن تكف عن إخافتي ومضايقتي بكلامها السلبي الذي يكاد يخنقني، لكنها لم تتوقف.. استمرت كما هي.

فرحت من كل قلبي عندما أتى جدي لزيارتي في المستشفى، وأثناء وجوده وصل الطبيب ليفك الرباط عن يدي ويختبر أعصابها.

كان قلبي يدق كالطبل في صدري، دعوت بإخلاص أن تكون نتيجة العملية مبشرة فلا أحتاج لغيرها، لكن ذلك لم يحدث، عرفت أن العملية فشلت بمجرد أن نظرت إلى وجه الطبيب.

في اليوم التالي اجتمع حولي مجموعة من الأطباء، كانوا يتحدثون بالانجليزية، وكنت أفهم بعض حديثهم، لكن تلك الملامح الحائرة في وجوههم لم تكن تبشر بالخير.

عرفت أن حالة يدي معقدة، وعرفت أيضاً أن أحد أطباء العظام حاول إعادة عظامي لمكانها بحركة خاطئة وأنا فاقدة الوعي، وأن ما فعله أثر على يدي كثيراً وأفقدني فرصة استعادتها من جديد ربما.

كنت غارقة في بحر من اليأس، حزينة لما آل إليه حالي..

وصلتني رسالة هاتفية لطيفة من زميلي القديم فوزي، أخبرني أنه سمع بما حصل لي، ويزيد الاطمئنان علي، بكيت وأنا أقرؤ رسالته ندماً لأنني رفضته، ليته كان بقربي الآن ليواسيني ويبعد عني شبح الوحدة والخوف بأحاديثه الشيقة وحنانه الغامر.

لم أندم في حياتي على شيء قدر ندمي على التفريط به، كان رجلاً طيباً، ومثله قلة في هذا الزمن، رددت عليه برسالة لطيفة فكتب لي أنه خطب ويستعد للزواج من غيري.

انهارت معنوياتي أكثر، لم يعد لي مكان في حياته، ولن يفيدني الندم.

كنت ضعيفة في تلك الأيام، وكانت أعصابي متعبة هشة، كنت أشعر بإحباط لا حد له..

ولم يكن هناك من يساندني لأخرج من حالتي تلك.

حدد الأطباء موعداً لعمليتي الثانية ليدي التي بدت ميتة بجواري، كنت أحاول تحريكها بعقلي بلا جدوى، كنت أستجديها لتتحرك، أرسل لها إشارات لتفعل، لكنها لم تكن تستجب لي، كنت أكلمها كصديقة قديمة آلمني تركها لي، لكنها كانت صديقة خائنة، تخلت عني وتجاهلت كل نداءاتي لها بأن تعود.

قبل العملية الثانية جاء جدي، وقف بقرب سريري ووضع يده على رأسي وبدأ يتلو علي آيات من القرآن الكريم فاستكان قلبي الخائف بين ضلوعي، شعرت بالطمأنينة تسري في جسدي المتعب وروحي المنهكة.

شعرت بالأمل يداعب فكري، قد تنجح هذه العملية وأعود كما كنت، يجب أن أثق بالله وأن أتيقين أنه سيستجيب لدعائي ودعاء جدي لي.

ودخلت غرفة العمليات، غبت عن الوعي بتأثير البنج وأنا أتخيل نفسي أحرك يدي الهامدة فابتسم..

(24)

مر عام منذ تعرضت للحادث، عام لم أتوقف فيه يوماً عن الذهاب للمستشفيات ومراكز العلاج الطبيعي فقد صارت حياتي عبارة عن معاناة مستمرة.

تحسنت يدي، صرت أستطيع تحريك أصابعي لكنني لم أكن أستطيع الإمساك بالأشياء دون أن تقع مني، لم أكن أستطيع تحريكها إلا بشكل مستقيم، لم تكن تنثني، كانت تشبه قطعة خشب يابسة ملتصقة بي.. لجأت للعلاج الطبيعي، خضعت لعشرات الجلسات في الكثير من المراكز المختلفة والتي أعطوني فيها وعوداً من الوهم، وصرفت فيها أموالاً كثيرة دون فائدة تذكر.

لم أعد أستطيع قيادة السيارة فأحضرت لنفسي سائقاً، واشترى له أبي سيارة من ماله الخاص لأن السيارة التي اشترتها لي أمي تحطمت بعد الحادث فبعتها كسكراب.. وحتى إن كان هناك أملاً بإصلاحها لم أكن لأتحمل ركوبها بعد الحادث الشنيع الذي دمرني.

كنت حزينة على ما أصابني، لكنني تأقلمت على وضعي الجديد، لم أفقد الأمل باسترجاع يدي كما كانت.. لكنني كنت أمر بلحظات يأس مظلمة وخلال تلك اللحظات كنت أجري لأطلب من جدي أن يقرأ على رأسي القرآن الكريم الذي صار ملاذي والدواء الوحيد لوجع روحي.

كنت محظوظة لأن الإصابة أتت بيدي اليسرى، على الأقل أستطيع الكتابة والعمل..

في تلك الأيام تزوجت أختي جود من رجل ثري بالسر، ولم تخبر أحداً عن هذا الزواج سواي، حكت لي عن الأموال التي يوفرها لها، وعن المجوهرات الثمينة التي يهديها إليها، لم تكن أمها تسألها من أين لها كل هذا، لقد فقدت الأمل فيها، فتركتها تفعل ما يحلو لها، أما أبي فكان متباعداً عنها، ولم يعد يدقق في أمورها.

كانت أختي تعيش حياتها بالطول والعرض، وكانت أمي تحسدها على حظها بالحياة، لاحظت أمي علامات الثراء على جود عندما أتت لزيارتي مرة في بيتنا، وخمنت أنها على علاقة برجل ثري، وندبت حظها وحظي لأنني منذ ذلك الحادث المشؤوم لم يتقدم لي أحد، وصار الجميع يعرف أنني شبه معاقة، وأن يدي بها خلل قد لا يصلحه الطب والزمن وأن أختي من أبي صارت أفضل مني في كل شيء رغم طلاقها وخراب بيتها!

ماذا تفعل البنت التي لا يرحمها أهلها؟ والذين يعتبرون أن سبب وجودها الوحيد في هذه الحياة هو أن تتزوج؟

ماذا تفعل إن لم يأتها النصيب؟ أو إن أصابها عيب أو عطب يحول بينها وبين الزواج؟

ماذا تفعل أمام إلحاح أمها وكأن الأمر في يدها؟

ماذا تفعل إن لم يكن مكتوباً لها أن تتزوج في مجتمع يرى أن المرأة ناقصة دون رجل، وأنها فشلت في أهم مهمة خُلقت من أجلها؟

لا يعرف معاناة الفتيات سواهن، ولا يشعر بما شعرت به إلا من اكتوت مثلي بنار الإلحاح والضغوط التي لا تجلب سوى النحس وبُعد المنال.

وفي ليلة شتوية باردة كنت مستلقية في سريري وقد جافاني النوم، تقلبت مراراً وأنا أستجدي النوم ليريحني بلا فائدة.

قمت من مكان متمللة، نظرت من شباك غرفتي إلى الشارع الغارق في الظلام، كان زجاج نافذتي بارداً، وضعت يدي عليه ونفخت، فتكثف بعض البخار عليه، كتبت بإصبعي كلمة لا معنى لها، أحبك..

ابتسمت لنفسي بحزن، لم يعد هناك مجال للحب في حياتي..

تذكرت عيسى، الرجل الوحيد الذي أحببته، سمعت أنه تزوج من قريبة له، إنها امرأة مطلقة مثله ولديها ولد وبنت، أخبرتني جود بالأمر فانزعجت، شعرت بالغيرة رغم أننا افترقنا منذ زمن وذكرت نفسي أنني أنا التي تركته، وذكرتها أيضاً أنني صرت معيوبة وأن لي يداً لا تتحرك كما يجب.

رفعت يدي اليسرى، شعرت أنني أكرهها، حدقت بها طويلاً إلى أن رق قلبي فجأة، علي أن أرحمها، إنها مسكينة جداً ومعطلة عن أداء وظيفتها، علي أن أترفق بها، رفعتها لشفتي وقبلتها بحنان..

فامتلأت عيني بالدموع..

أجننت؟

كانت أحاسيسي غريبة، خرجت من غرفتي، مررت بغرفة جدي فسمعت صوته يتلو قرآن الفجر..

طرقت بابه ودخلت، لم يقطع قراءته، فجلست عند ركبتيه، مد يده المرتعشة

ووضعها على رأسي.. أكمل قراءة آيات الله الكريمة من سورة يوسف:

(ولا تيأسوا من روح الله، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)..

صدق الله العظيم..

شعرت بالهدوء يغمرني وبراحة عظيمة تجتاح نفسي، رفعت رأسي إلى جدي، سحبت يده من على رأسي وقبلتها بامتنان، همست له: أحبك جدي..

قال لي: كوني قوية، لا تضعفي أبداً.. عديني بذلك..

ابتسمت له.. ووعدته: سأكون قوية، أعدك..

مد يده وأمسك يدي المصابة، ودعا لي بالشفاء: اللهم اشف حفيدتي، شفاءً لا يغادر سقماً إنك أنت العزيز القدير.

ثم قبل جدي يدي المريضة.. فانهمرت دموعي تأثراً..

قام جدي لينام، لم أشعر بالرغبة بالعودة لغرفتي، أحضرت لحافي ومخدتي ونمت على المقعد الكبير في غرفة جدي، غرقت في نوم هادىء لم أنم مثله منذ مدة طويلة وأنفاس جدي المنتظمة المحببة تخترق أذني.

(25)

وحدثت معجزة، تقدم لي عريس!

تصوروا فرحة أمي بالخبر، كادت تزغرد بالهاتف عندما تلقت اتصال أخته، بل كادت تحدد موعد زفافي له قبل أن نراه ونعرفه!

أنهت أمي الاتصال وبدأت ترقص..

ضحك جدي، وضحكت معه، كان شكلها مضحكاً وهي ترقص السامري وتغني، وتضحك مليء قلبها سعادة بالعريس الجديد..

اسمه هاني، في الأربعين من عمره، لا بأس بفارق العمر طبعاً، ففرصي بالزواج قليلة، مطلق، ولديه ابنة واحدة تعيش مع أمها، لم يعد موضوع زواجي من رجل مطلق يشكل فرقاً في الوقت الحالي أيضاً، ياه كم تغيرت المقاييس عن السابق!

كان العريس يملك محلاً شهيراً لبيع الهواتف النقالة، إنه رجل ميسور الحال ويعيش في بيت وحده، لماذا يريد الزواج مني رغم حالة يدي؟ قالت أخته التي اتصلت تخطبني من أمي أنه لا يمانع، مادمت لا أزال في العشرينات من عمري ولم يسبق لي الزواج.

أتى هاني مع أخته لرؤيتي، شعرت وقتها بارتباك لاحد له، ارتديت ثوباً واسعاً من الحرير مع حزام ضيق يظهر جمال قوامي، تركت شعري على طبيعته متماوجاً بنعومة خلف ظهري وكأنه يربت علي ليخفف عني كل ما أصابتني به الحياة من خيبات وآلام.

وضعت زينة خفيفة وأصرت أمي على أن أرتدي حلقاً من الماس كنت أرتديه في الأعراس عندما كنت أرتادها.

بدوت جميلة، وبدت يدي عادية لمن يراها، لم يكن خللها واضحاً، لكن حركتها لم تكن طبيعية ولم أكن أستطيع استخدامها مثل يدي الأخرى.. يد سليمة واحدة خير من لا شيء، الحمدلله على كل حال، هناك من يرغب بي، كانت معنوياتي مرتفعة، وكنت سعيدة أنني خُطبت، فقد أعاد لي هذا الحدث بعض الثقة في نفسي وبعض الأمل في أيامي.. والكثير من الفرح في قلب أمي.

لم يكن هاني وسيماً، كان طويل القامة، بوجه خالٍ من التعابير وكأنه تمثال!

لم يبدو عليه أنه أعجب بي، كان اللقاء أشبه بمقابلة وظيفية بأسئلة جافة، كأنه يريد أن يعرض علي عملاً عنده، لم أرتح له أبداً ولم يعجبني أسلوبه العملي البارد.

سألني أخيراً عن حالة يدي بفظاظة قائلاً: سمعت أن يدك عاجزة، يهمني أن أعرف إلى أي مدى يصل هذا العجز!

ضايقني اسلوبه، وجرحتني كلماته، وبدا ذلك واضحاً على وجهي فقال: أحب أن تكون علاقتنا مبنية على الصراحة.. كي لا نتفاجأ بأي شي في المستقبل!

نظرت إليه بتحدٍ، رفعت يدي المتخشبة وقلت: لا أستطيع ثنيها أو استخدام أصابعها بشكل جيد، كل الأشياء تسقط مني..

سألني: يمكنكِ الإحساس بها؟

قلت بصراحة: ليس تماماً، لكنني أستطيع تحريكها.. بشكل مستقيم!

ساد بعض الصمت وهو يحدق بيدي المصابة، فأردفت: يمكنك اعتبارها كديكور، فهي بلا فائدة وعلى فكرة، أنا لا أستطيع قيادة السيارة، وبالكاد أستطيع ارتداء ثيابي وحدي دون مساعدة الخادمة، وأمر آخر، يدي الثانية صارت أقوى لأنني صرت أعتمد عليها أكثر، ولا أظن أن هناك أمل بعلاج يدي المريضة.. عليك أن تعرف ذلك.. عن إذنك!

وجدت نفسي أقوم دون تفكير وأترك هاني وحده!

صُدمت أمي فقامت خلفي مسرعة..

دخلت غرفتي وأنا أبكي، أطلقت دموع قهري وحزني وأخذت أمي تلومني وتطلب مني النزول ثانية لضيوفنا فرفضت بحزم.

لم أكن أستطيع العودة لذلك اللقاء المهين، أشعرني هذا الرجل أنني معروضة للبيع، كرهته ولم أكن لأرضى بالزواج منه ولو كان آخر رجل في العالم.

بعد يومين اتصلت أخته لتخبر أمي أنه اعتذر عن إتمام زواجه مني، فأخبرتها أمي غاضبة أنني أيضاً لا أريده، أخيراً ثارت ثائرتها من أجل كرامتي، والحمدلله أنها تعاطفت معي ولم تلمني.

لقد تغيرت حياتي فعلاً، أمور كثيرة صرت أعجز عن فعلها مثل الذهاب للنادي، فصرت أحرص على رياضة المشي لأرفه عن نفسي، كنت أمشي لساعتين كل يوم، ساعتين كاملتين أنفصل فيهما عن نفسي، كنت أمشي على البحر، أراقب الأمواج المتلاطمة وأسترخي لصوتها المحبب..

كنت أحرص على المشي مهما كانت حالة الجو، صارت هذه الرياضة ملاذي..

والنشاط الوحيد الذي أحرص عليه خلال أيامي المملة..

إلى أن جاء يوم، كنت أمشي فيه بهمة وحماس فسمعت صوت قطة تموء، نظرت للصخور المنحدرة التي تفصل بيني وبين ماء البحر..

كانت قطة صغيرة جداً، وقد انحشرت بين الصخور فصارت عاجزة عن الخروج من مكانها، نظرت إليها بعتب: ما الذي جاء بك إلى هنا!

نظرت حولي فلم أجد أحداً، ودون أن أفكر، صعدت على الحاجز الاسمنتي، ووضعت قدمي على الصخور بحذر لأنزل للقطة المسكينة فأخلصها من مأزقها.

كانت الصخور ثابتة، وكان حذائي الرياضي جيد الصنع فلم أنزلق، وصلت لمكان تلك المخلوقة الجميلة الضعيفة، انحنيت وحاولت إزاحة الصخرة التي تسد عليها طريق الخروج بيدي السليمة فلم أستطع، كانت الصخرة ثقيلة، تنهدت، مددت يدي الأخرى فإذا بها تتخشب وهي تضيع الهدف، لا فائدة، همست لنفسي، أحتاج للمساعدة.. قلت للقطة: اهدئي، سأعود..

فأصدرت مواءً كأنها تفهمني وتستحلفني بأن لا أتركها!

صعدت على الصخور من جديد بصعوبة وأنا أحرص على أن أحافظ على توازني كي لا أقع..

اجتزت الحاجز الاسمنتي بقفزة سريعة، وتلفت حولي، كان بعض الأولاد الصغار يلعبون الكرة على مسافة قريبة مني، لم أرد تعريض أحدهم للخطر

وطلب مساعدته، التفت نحو مواقف السيارات، فرأيت شاباً مفتول العضلات، بدا واضحاً أنه كان خارجاً من نادٍ رياضي مجاور..

كان يهم بركوب سيارته عندما جريت نحوه منادية: لو سمحت!

التفت الشاب نحوي، نظر لي مستغرباً، وصلت له لاهثة: أحتاج مساعدتك.. لو سمحت!

كررت وأنا أنظر إليه برجاء: ساعدني أرجوك! فسألني: ماذا حصل؟

قلت: هناك قطة صغيرة، محشورة بين الصخور، حاولت مساعدتها فلم أستطع تحريك الصخرة، أرجوك.. ساعدني!

نظر لي متأملاً وابتسم، ضحك وهو يقلدني: قطة صغيرة؟

لم أبتسم، كنت جادة فعلاً، وقلقة على تلك الجميلة المسكينة صاحبة العينين الجميلتين..

قلت: هي روح، وستموت إن لم ننقذها..

هز رأسه موافقاً ومشى بقربي إلى مكان الصخور، أشرت له نحو القطة، فقفز خلف الحاجز بسهولة، وبمرونة عجيبة وصل إلى المكان المقصود وحرك الصخرة الثقيلة بيديه، فخرجت القطة وهي تموء..

حملها بين يديه.. وعاد لي، وقف أمامي، وقال ضاحكاً: تريدينها؟ يبدو أنها تحتاج إلى رعاية..

نظرت للقطة الجميلة بين يديه، كانت ساقها تنزف، قلت بخوف: تحتاج ساقها للتضميد.

قال: أعرف طبيباً بيطرياً يهتم بالحيوانات، إن أردت نأخذها إليه..

شعرت بامتنان كبير لذلك الشاب اللطيف، احترت ماذا أفعل، لكنني لم أستطع تركها بعد كل ما فعلته من أجلها.

أخبرته أن سائقنا على وصول..

ثم ركبت مع السائق وطلبت منه أن يلحق بسيارة الشاب لنذهب للطبيب..

كانت القطة مستكينة بين يدي، بدت وديعة بشكل لا يصدق وكأنها أحست بالأمان معي.. وأسعدني هذا الشعور بشدة.

وصلنا لعيادة صغيرة للحيوانات الأليفة، نزلت من سيارتي وأنا أحمل القطة بيد واحدة، يدي السليمة طبعاً، فالتقطها الشاب مني وقد ظن أنني لا أعرف كيف أحملها..

دخلنا العيادة، رحبت به الموظفة: أهلا فيصل..

قال فيصل: الدكتور موجود؟

ابتسمت له: نعم، ما المشكلة؟

نظرت للقطة متسائلة فأخبرها بما حصل..

تأملت فيصل للمرة الأولى، كان طويلاً بعضلات مفتولة وجسد رياضي متناسق، كان حنطي البشرة بعينين عسليتين جميلتين وحاجبين متقاربين، أنفه دقيق وفمه قوي، وشاربه خفيف مثل لحيته.

كان وسيماً جداً، خفق قلبي، شعرت بالخجل لأنني أقحمته بكل هذا، بدا لطيفاً وهو يربت على القطة الصغيرة التي استكانت بين يديه أيضاً، قلت

محرجة: آسفة، أضعت الكثير من وقتك!

ضحك وهو يقول: على العكس، عندي قط في البيت، لكنه قط ضخم، لا يشبه هذه المسكينة، قد يفترسها إن رآها..

ضحكت على كلامه، فأخرج هاتفه النقال من جيبه ليريني صورة قط رمادي ضخم بضخامة كلب صغير!

قال فيصل: اسمه برق.. ضحكت: إنه سمين جداً..

ابتسم: لأنه مدلل..

ابتسمت له، كان لطيفاً حقاً، يحادثني وكأنه يعرفني، لم يلحظ وضع يدي، فحرصت على إخفاء عجزها قدر استطاعتي..

دخلنا للطبيب، وضع القطة على طاولة أمامه وفحصها، طلب من مساعدته تحميم القطة وتنظيفها أولاً ثم طهر جرحها وضمده، وأعطاها إبرة مضادة للالتهاب ووضع حبة في فمها لم أعرف ما هي.

قال الطبيب: يجب أن أراها ثانية، لتأخذ الجرعة الثانية من المضاد الحيوي ولأطمئن على جرحها..

بدت الحيرة علي، أخبرت الطبيب أنني لست صاحبة القطة، قال فيصل: أتمنى لو أتبناها لكن برق سيغار منها ويؤذيها!

كان المصطلح غريباً علي، تبني؟ قطة!

سألني الطبيب بلطف: إنها قطة لطيفة وشقية، ستضفي الكثير من البهجة على حياتك، ما رأيك لو جربتِ تبنيها؟ أبقيها معك على الأقل إلى أن تشفى..

قلت بجدية وقد اتخذت قراري: نعم، سأتبناها..

قص الطبيب أظافر قطتي الطويلة.. وناولها لفيصل وقد بدت أجمل بكثير بعد الحمام حتى أنهم قاموا بتعطيرها فصارت رائحتها طيبة.

أخبرني فيصل أن علي شراء الكثير من الحاجيات للقطة، وعلي أن أهتم بها كطفل، أعطاني رقم هاتفه وطلب مني محادثته في حال احتجت إلى استشارته بأي شيء، قال: ستحبينها وتتعلقين بها، القطط مخلوقات جميلة ومحببة، أنا واثق أنك ستحبينها كثيراً وعليك أن تطلقي عليها اسماً..

فكرت وأنا أنظر للقطة الجميلة التي لا تزال بين يدي فيصل، ما الاسم الذي سأختاره لها؟

كان لونها بني يميل للأشقر، وعينيها بلون الزيتون، كم هي جميلة قطتي، ماذا أسميها؟

نظرت لفيصل مستنجدة، فقال: ما رأيك ب.. كاراميل؟

ضحكت: جميل!

حملت القطة بيد واحدة من جديد وضممتها إلى صدري بقوة كي لا تقع، لم يلحظ أن يدي اليسرى بحالة غير طبيعية، لم يلحظ شيئاً، ولم أنبهه لشيء..

ركبت مع السائق، وأرسل لي فيصل على الفور على الوتساب أماكن بيع مستلزمات القطط، وأخبرني أن أستخدم رقم هاتفه وقت الدفع لأحصل على الخصم المقترن باسمه فشكرته..

كانت القطة جائعة.. طلبت من السائق التوقف عند الجمعية التعاونية،

تركت القطة معه لأشتري لها طعاماً.. احترت أمام الأصناف الكثيرة المعروضة فاتصلت بفيصل لأسأله عن الأفضل لها فدلني على المطلوب بلطف..

عدت إلى البيت مع قطتي..

صُدمت أمي برفيقتي الجديدة، وفرح جدي بها، أخبرتهما بكل ما حصل، وكيف ساعدني فيصل وأنقذنا هذه الجميلة..

تضايقت أمي وقالت: ستتلف الأثاث وتوسخ البيت!

قلت على الفور: قصصنا أظافرها، لن تتلف شيئاً..

عطست أمي لمجرد أنها تذكرت موضوع الحساسية وقالت: بدأت أعطس من الآن! تعرفين أنني أعاني من التهاب الجيوب الأنفية المزمن!

قلت لها برجاء صادق: أرجوكِ أمي، لنجرب، لنبقيها إلى أن تتعافى على الأقل!

وقف جدي في صفي وأيدني كعادته..

فوافقت أمي على مضض..

بدلت ملابسي على الفور..

ثم أحضرت الكمبيوتر المحمول ودخلت موقع المتجر الالكتروني لأحد المحلات التي رشحها لي فيصل، اخترت الكثير من الحاجيات والكماليات أيضاً، سريراً للقطة ولحافاً، ألعاباً لها وأنواعاً من المأكولات المناسبة لعمرها الذي قدره الطبيب بأربعة أشهر فقط، كنت سعيدة جداً ومشغولة جداً جداً..

كان موعد التوصيل في اليوم التالي، لكنني مستعجلة وأحتاج حمامها على الفور، فاتصلت بفيصل الذي قال أنه يعرف مدير المحل وسيطلب منهم توصيل طلبي في نفس اليوم..

كان فيصل منقذاً حقيقياً وذا خبرة بتربية القطط، لقد سهل علي الأمور، وفعلاً، بعد ساعتين بالضبط وصلت كل مشترياتي وانشغلت بتجهيزها لقطتي مع جدي.

كان جدي متحمساً مثلي، أحبته كاراميل وصارت تلعب بجوار قدميه..

أحست بالأمان قربه وقد عرفت من يحبها ويعطف عليها، في حين كانت تجري لتختبئ كلما ظهرت أمي أمامها!

(26)

كانت علاقتي بفيصل جميلة..

كان يتصل بي كل يوم تقريباً ليسأل عن كاراميل..

وكنت أستفسر منه عن الكثير من الأمور التي تخصها..

اكتشفت أن تربية قط في البيت يشبه إلى حد كبير تربية طفل..

يحتاج القط إلى عناية دائمة، ومواعيد للتطعيم ومراجعة الطبيب البيطري بشكل دوري، بالإضافة للاستحمام بين حين وآخر وقص الأظافر، كانت كاراميل أنثى، وأخبرني الطبيب أنه يمكنني إجراء عملية تعقيم لها عندما تكبر وقد أخافني الأمر!

كانت كاراميل قطة شقية، تجري في البيت بحرية وتموء بحثاً عني في كل مكان، إنها قطة ذكية مميزة تستطيع أن تضحكني بحركاتها..

اعتدت على حمل قطتي بشكل أفضل مع الوقت وصرت أستطيع استخدام يدي المعاقة أيضاً في حملها، كانت أموري تسير على ما يرام، وصرت مسؤولة عن مخلوق يحتاجني..

عرفت لم يتعلق الناس بالحيوانات، ولم يعيش الأجانب في دول أوروبا مع حيوان أليف قد يوصون له بثروتهم، إن الشعور الذي تقدمه لنا هذه المخلوقات رائع، شعور بالألفة والحب والوفاء الذي قد يعجز بعض البشر عن منحه لبعضهم البعض.

لم تُخلق هذه الكائنات عبثاً، لقد خُلقت لتسعدنا، صرت متأكدة من هذا الأمر..

مر شهر على وجود كاراميل في حياتي.. وشهر على وجود فيصل فيها، صرنا أصدقاء، لكن أغلب حديثنا كان عن القطط ومسلتزماتها..

اعتاد أن يبعث لي برسالة صباح الخير يومياً، مذيلة بوجه قطة ضاحكة وتعودت أن أرد عليه بوجه ضاحك سعيد دموعه تنهمر من شدة الضحك!

وتعلقت بفيصل، صرت أعيش بانتظار رسائله ومكالماته وعرفت عنه بعض المعلومات..

إنه في الثلاثين من عمره، درس إدارة الأعمال في أمريكا، يحب الحيوانات الأليفة منذ صغره، كان لديه كلب ضخم في الخارج، لكن والدته رفضت عودته للبيت مع كلبه بعد تخرجه، فأهداه لصديقه المقرب وبعد أن عاد إلى الكويت بدأ يهتم بتربية القطط..

أخبرني أن له أخاً يكبره، وهو متزوج من فتاة ثرية وابنة عائلة كبيرة معروفة، ولديه أخت تصغره وهي متزوجة من طبيب يتخصص في كندا بطب الأطفال.

أحببته باندفاع، باحتياج، بألم الفتاة التي تعاني نقصاً لا تعرف كيف يمكن لأي كان تقبله واحتماله، عدت أبحث عن حلول تعيد لي يدي، عدت للتجول في العيادات ومراكز العلاج الطبيعي من جديد، أريدها أن تشفى، لأحب كما أريد، وليطمئن قلبي، وليحبني فيصل ويصبح زوجي..

لم أتمنى شيئاً في حياتي كما تمنيت الزواج من فيصل، صرت أتخيل نفسي عروساً كل ليلة في ثوب زفافي الأبيض وأغنية هب السعد تصدح حولي وتملأ

أذني، أتخيلني أدخل قاعة مليئة بالناس، لكن مهلاً هناك ما يُفسد صورتي ويشوهها، إنها باقة الورد في يدي، إنها مائلة لأن يدي المريضة عاجزة عن حملها كما يجب..

مر الوقت وأنا وفيصل نتقارب أكثر فأكثر، لم يبح لي بمشاعره، لكن حديثنا صار متشعباً، صرت أعرف كيف يقضي يومه، وصار يعرف الكثير عني وعن أمي وجدي..

التقيت به كثيراً في محلات بيع مسلتزمات القطط..

وفي العيادة البيطرية عرفني على برق، قطه الضخم الكسول الذي لم يرق لي بتاتاً، أحسست أن كاراميل تفوقه جمالاً، كان ثقيل الدم، على عكس قطتي المضحكة المشاكسة، لكنني لم أخبر فيصل برأيي بقطه كي لا أجرح مشاعره.

في كل لقاءاتي بفيصل كنت أحرص على إخفاء يدي عنه، وفي مرة لففت يدي المصابة بالشاش، وأخبرته أنني تعرضت لرضة بسيطة، فارتحت من خوفي بأن يلاحظ مشكلتي!

إلى متى سأخفي عنه الحقيقة؟

من حقه أن يعرف خاصة وقد صرت واثقة أنه يكن لي المحبة وسيبوح لي بمشاعره في أي وقت..

في تلك الفترة انشغلت عن جود، لم أعد أتتبع أخبارها إلى أن جاء يوم اتصلت بي أختي وهي منهارة بالبكاء، أخافني بكاءها، ذهبت لرؤيتها في منزل أبي، دخلت غرفتها وأغلقت هي الباب خلفنا، قالت كأنها تولول: أنا حامل!!

شهقت: ماذا!!!

بكت: لا يريد زوجي السري أن يعترف بالطفل، يريدني أن أجهضه!

غضبت: هذه نتيجة الاستهتار.. عليه أن يشهر زواجكما.. ويتحمل مسؤولية طفله..

بكت أكثر: لكنه لا يريد، كان واضحاً معي من البداية، حدث خطأ وحملت، ماذا أفعل الآن أخاف التخلص من الطفل!

كدت أجن من غباء أختي واستسلامها، أخذت ألومها رغم أن اللوم لن يغير شيئاً من واقعها الأليم..

قالت لتصدمني أكثر: أنا أيضاً لا أريد طفلاً، ماذا أفعل بعبء جديد في حياتي؟

كدت أصفعها، لقد تغيرت جود، وانجرفت في طريق يعلم الله وحده آخرته..

كانت مجنونة، وجنونها يتفاقم دون أن تسمح لأحد بنصحها وإنقاذها..

نصحتها بوضع حد لزواجها السري، وبأن تتمسك بطفلها وتخاف الله فيه..

لكن بعد فترة وجيزة أخبرتني أختي أنها فقدت الجنين، لم أسألها عن التفاصيل، لكنها لم تفقد الطفل وحده، لقد فقدت زوجها السري أيضاً، لقد هرب منها، خاف بعد أن حملت منه وآثر الإنسحاب على الفضائح فانكسرت أختي أكثر وانجرفت في جنونها أكثر وأكثر.

وجاء اليوم الذي انتظرته طويلاً وخفت من قدومه كثيراً، باح لي فيصل بمشاعره، كنت أتحدث معه على الهاتف، وأحكي له عن يومي بالعمل، لاحظت أنه سارح في عالمه، يكاد لا يعي ما أقول، فسألته: ما بك اليوم؟

قال ببساطة: شوق أنا أحبك!

خفق قلبي، كدت أبكي فرحاً، سألته وكأنني لم أسمع تلك الكلمة التي زلزلت قلبي: ماذا قلت؟

ضحك وهو يقول: أنا أحبك!

صمت، قال: منذ رأيتك وأنت تشغلين بالي، أردت التأكد من مشاعري قبل أن أصارحك بها لأنك ألطف من أن يجرحك أحد..

امتلأت عيني بالدموع، فأنا مجروحة القلب، معيوبة اليد، كيف أخبره بسري؟

سألني: أتكنين لي نفس الشعور؟

كدت أصرخ لكنني تعقلت، قلت بهدوء مصطنع لا يظهر ما بقلبي من صراع: فيصل يجب أن نلتقي، لدي ما أخبرك به..

استغرب ردة فعلي الباردة، سألني بقلق: ما الأمر؟ ألا تحبينني؟

قلت بسرعة: الأمر مختلف، دعنا نلتقي غداً وسأخبرك كل شيء..

حددت معه موعداً في مساء الغد في مقهى صغير يقع على البحر..

لم أنم ليلتها، لم يغمض لي جفن، نظرت ليدي وحاولت تحريكها كما كنت أفعل قبل الحادث دون جدوى، كلمتها باكية راجية: أرجوكِ تحركي، عودي كما كنتِ!

لم تستجب لي يدي، صارت عضواً ناشزاً في جسدي، عضواً خارج منطقة التغطية، لم أعد أستطيع التحكم به أو السيطرة عليه للأسف.

كرهت تلك اللحظة التي قررت فيها حضور تلك الدورة المشؤومة، شتمت نفسي لأنني فكرت بتلك الفكرة الغبية وعرضت نفسي لذلك الحادث المؤلم بسبب قطعة بيتزا!

لقد انقلبت حياتي، لم أعد كما كنت..

وقفت أمام مرآتي أتأمل وجهي، كنت جميلة، كفاكهة ناضجة، وجهي ممتلىء بالعافية وقد منحه حبي لفيصل رونقاً مختلفاً، كنت وردة متفتحة، لم أكن قط أجمل من الآن، لكنني لست كاملة، وبي عيب خطير على فيصل أن يعرفه، قبل أن يتورط معي أكثر.

ليتني أخبرته بالحقيقة منذ رآني، قد يكرهني الآن، وأنا مستعدة لاحتمال كل شيء إلا أن يكرهني الرجل الذي أحبني وأحببته.

في صباح اليوم التالي تقيأت عصارة معدتي من شدة القلق، لم أستطع أن آكل شيئاً، سألتني أمي إن كنت مريضة فهززت رأسي دون أن أقول لها شيئاً، لمن ألجأ؟

ومن غيرها؟ خالتي عنود..

وجدت نفسي أغير طريق سيري للعمل وأذهب إلى بيتها..

كانت نائمة عندما وصلت، طلبت من الخادمة أن توقظها وتخبرها أنني هنا..

عادت الخادمة وقالت أن خالتي تطلب مني الصعود إليها في غرفتها..

صعدت وأنا أشعر بالخجل، لم أدخل غرفة خالتي إلا مرة واحدة من قبل، قبل أن تذهب للحج منذ عدة أعوام، وقتها جلست بجوارها في غرفتها

وهي تحضر حقيبتها.

طرقت الباب ودخلت، كانت الغرفة مغمورة بالنور، ووجه خالتي البشوش يبتسم لي، وقد غسلت وجهها وأسنانها وهي لاتزال في ثياب نومها، قالت خالتي الجميلة: ما هذا الصباح الجميل الذي تزورينني فيه؟

ابتسمت لها بحزن: آسفة لأنني أيقظتك..

جلست خالتي على سريرها، حدقت بوجهي، ففتحت لي ذراعيها، فجريت وارتميت بينهما..

احتضنتي لقلبها.. وأسندت ظهرها لسريرها وأنا لا أزال أضع رأسي على صدرها الحاني.

مسحت على شعري بحنان: ما بكِ شوق؟ أخبريني حبيبتي..

قلت لها وقد بدأت دموعي تنهمر: أنا على علاقة برجل، وهو يحبني، وأتوقع أنه سيطلب الزواج مني قريباً.

فرحت: وما المشكلة؟ هذه أخبار سعيدة!

ابتعدت عن صدرها، نظرت في عينيها ومددت يدي أمامها: هذه هي المشكلة!

قالت بتعاطف: يزعجه موضوع يدك؟

هززت رأسي: إنه لا يعرف بأمرها!

شهقت: كيف لا يعرف!!! ألم يرك من قبل!

تنهدت، وحكيت لها كل شيء، أخبرتها عن عذابي، وخوفي من أن يتركني

مكتبة
t.me/t_pdf

فيصل إن عرف، كنت أتعذب فعلاً والقلق البغيض ينهش كل خلية في جسدي ورأسي.

ساد بعض الصمت بيننا، ثم قالت خالتي: يجب أن تخبريه..

قلت باكية: أخاف أن يتركني..

قالت: لا مفر من إخباره، لا يمكنك إخفاء حالة يدك عنه، سيعرف لا محالة، والأفضل أن يعرف ذلك منك، سيحترمك أكثر، ويقدرك..

قلت: بل سيلومني لأنني سكت لكل هذا الوقت ولم أبح له.

قالت: لا يوجد حل آخر، التقيه اليوم وأخبريه، تريدين مني أن آتي معكِ؟

قلت بسرعة: لا، سأتدبر الأمر وحدي.

قالت مبتسمة: زوجي مسافر، ابقي معي اليوم إلى أن يحين وقت لقاءك مع فيصل.

ابتسمت لها: وأمي؟

ضحكت: سأخبرها أنني دعوتك للغداء عندي.

ضحكت: وملابسي؟ لا أغيرها؟

ابتسمت: لدي ثوب جديد، سأهديه لكِ، مقاسنا واحد، صحيح؟

ابتسمت لها: صحيح..

أحببت فكرة ارتدائي لثوب خالتي، لابد أن هذا الثوب سيجلب لي الفأل الحسن، كنت أحب خالتي لكنني بداخلي أعتب عليها لأنها لم تخطبني لابنها، فلو أنها فعلت لكنت تجنبت كل التجارب العاطفية القاسية التي

مررت بها في حياتي..

كنت سأسعد بقربي منها، لكنها اختارت الراحة ببعدها عن مصاهرة أمي.

تناولت غداءً لذيذاً مع خالتي، قضينا وقتنا بالحديث فمر الوقت بسرعة، ضحكنا على بعض الذكريات، حدثتني عن طفولتي، وعن بعض المواقف الطريفة فيها، شعرت بتلك الطفولة بعيدة جداً، تمنيت لو يعود الزمن للوراء، لكنت غيرت الكثير من أخطائي، لكن تلك الأخطاء هي التي تصنعنا، وتجعلنا من نحن عليه الآن، ومن دونها ما كنا سنكون نحن، ولا كنا سنتعلم دروس الحياة.

اقترب الموعد، قالت خالتي بحماس: دعيني أضع لك المكياج!

ابتسمت، أعرف أنها تجيد وضعه، فلم أخف من المجازفة، جلست أمام مرآتها، زينت وجهي بألوان ترابية هادئة، وخطت بقلم الكحل حول عيني فبدتا أكبر، وبدت رموشي كسهام متطايرة بعد أن وضعت عليها الماسكرا بشكل مغاير عما اعتدت عليه.

بدوت جميلة وقد ارتديت فستان خالتي..

كان فستاناً قطنياً بلون الورد الباهت، كان قصير الأكمام، ومصمم بحيث يكون قصيراً من الأمام وطويلاً من الخلف، كان تصميمه واسع مريح، لقد أحببت ذلك الثوب كثيراً..

أحببت طلتي، كنت رائعة، ومختلفة عن كل مرة رآني فيها فيصل، انقبض قلبي، أيكون هذا آخر لقاء بيننا؟

أحست خالتي بانكماشي، قالت لي مشجعة: سيتقبل الأمر، ومن يدري؟

الطب في تطور وفي يوم ما ستجدين حلاً ليدك، وستعود كما كانت إن شاءالله.. يجب أن تتفاءلي.

ابتسمت بأمل، وعطرتني خالتي بعطرها المفضل..

وأخيراً أتى سائقنا ليقلني لمكان اللقاء، وبمجرد وصولنا صرفته وأخبرته أن يعود لي بعد ساعتين..

دخلت المقهى، كان فيصل قد أرسل لي خلال الطريق برسالة يخبرني فيها أنه وصل قبلي.

بحثت بعيني وأنا أعرف أن هذا اللقاء سيكون مختلف بكل ما فيه..

إنه أول لقاء يجمعني به بعد أن باح لي بحبه، إنه اللقاء الذي يجب علي أن أبوح فيه أنا بسري، ثم حبي، إن كان الوضع يسمح بذلك!

ابتسم لي فيصل مبهوراً وقد وقف من أجلي، قال: لم أعرفكِ اليوم!

ضحكت: ليس لهذه الدرجة!

حدق في وجهي، جلسنا وقال: كم أنا محظوظ بكِ!

أخفيت يدي تحت الطاولة، إلى أن تحين لحظة المواجهة، طلب لنا فيصل القهوة ونوع من الحلويات، أخبرني كيف تأثر بي وأنا أستنجد به لأنقذ القطة، أخبرني أنني ألطف فتاة عرفها في حياته، وأنه أخبر أمه عني.. وأنها فرحت كثيراً لأنه وقع في الحب ولا مانع لديها من خطبتي!

احمرت وجنتاي خجلاً، ونسيت لوهلة ما أنا مقدمة عليه..

علي مكاشفته لا محالة، لا مجال للتردد.. يجب أن أفعل..

شددت نفساً عميقاً من صدري..

قلت وقلبي يدق كالطبل: فيصل، هناك أمر علي أن أخبرك به..

ابتسم: ما الأمر؟ الأمر يتعلق بماضيك؟ أشعر أنك قلقة..

قلت: الأمر يتعلق بي، تعرضت لحادث قبل فترة..

قال بأسف: لهذا لا تقودين السيارة وحدك؟

أومأت برأسي: صحيح، لم أقد السيارة من وقت الحادث..

هز رأسه متفهماً أو أنه ظن كذلك: أستطيع تخيل شعورك، لكن مع الوقت ستتخطين ما حدث.. وستعودين للقيادة..

قاطعته: لا، الأمر لا يتعلق بخوفي من القيادة، الأمر يتعلق بيدي..

صدمه ردي: يدك؟ ما بها يدك!

قلت بأسى: تضررت من الحادث، إنها يدي اليسرى، لقد شُلت.. فقدت القدرة على تحريكها كالسابق..

أخرجت يدي من مخبئها أخيراً، رفعتها أمامه، كانت داكنة اللون بعض الشيء مقارنة بيدي الأخرى السليمة.. وحدق فيصل بيدي بصدمة..

يدي التي بدت وكأنها قطعة خشب يابسة، لا تلين ولا تنحني، كانت متخشبة فعلاً وكأنها يد صناعية..

ظهرت الصدمة على وجه فيصل، سألني: أتسمحين لي بلمسها..؟

وقبل أن أجيب، أمسك يدي، طلب مني تحريكها بأكثر من اتجاه، حركتها

بما أستطيع فاكتشف أنها لا تستجيب، وأنها عاجزة، وأنني لا أستطيع ثنيها بتاتاً، كنت أخضع لاختبار صعب، وكان هو مصدوماً من إعاقتي.

قلت: كان يجب أن أخبرك منذ البداية، لكنني خفت، لم أجد الجرأة لأفعل، أنا أحبك فيصل، لم أحب في حياتي أحداً كما أحببتك أنت، والخوف جعلني أخفي عنك الحقيقة، أعرف أن الأمر صعب لكن يمكنك التعايش معه مع الوقت، أنا بخير، أقوم بكل شيء وحدي، إلا قيادة السيارة، أستطيع ممارسة حياتي بشكل جيد، وإن كنت تحبني سترضى بي بالتأكيد!

لم يرد فيصل..

سألته بجزع وكأنني أستجديه كي لا يخيب ظني به: صحيح؟

نظر لي غاضباً، تحول الرجل الرقيق الطيب الذي كان يبثني مشاعره منذ قليل إلى وحش بغيض..

قال بحدة ونظرات الاتهام في عينيه: كذبتِ علي!!! استدرجتني لتوقعي بي!!! وتقولين أنكِ أحببتني!!!

خفت من فيصل وقتها، شعرت بالألم لأنه يتهمني بما لم يكن في نيتي، لكنني هدأت نفسي، علي أن أتحمل نتيجة أفعالي، وقلبه المحب سيغفر لي.. لابد أنه سيفعل..

صار فيصل يلومني بعنف وقسوة، أشعرني أنني فتاة كاذبة سيئة، أريد توريطه بالزواج مني لدرجة أنه قال أنني استغللت طيبته!

غضبت أخيراً وقد قررت أن أتمسك بما بقي من كرامتي المهدورة، قلت بحدة: لست مجبراً على الارتباط بي، أخبرتك ما عندي، والقرار لك!

قمت من مكاني غاضبة وهربت منه..

خرجت إلى الشارع، لم يكن السائق قد وصل بعد، تلفت حولي، لم أجد مكاناً أذهب إليه، التفت خلفي، كان فيصل يخرج من المقهى، نظرت إليه، فتجاهلني وكأنه لا يعرفني وركب سيارته دون أن ينظر لي ولا حتى نظرة واحدة أخيرة..

تنكر لي حبيبي وكرهني بمجرد أن عرف بمشكلة يدي..

وقفت وحدي أرتجف، أمسكت هاتفي النقال، رجوت السائق بأن يأتي ليقلني بسرعة، ذهب فيصل، وذهبت أحلامي معه، الأمل، الفرح، التفاؤل، والرجاء، كلهم ذهبوا معه أيضاً..

لا أعرف كم من الوقت ظللت واقفة بانتظار السائق الذي ركبت معه بطريقة آلية بمجرد أن رأيته بالسيارة أمامي..

عدت إلى البيت، كانت أمي غاضبة لذهابي عند خالتي، لم أسمع ما قالته، كان حديثها السلبي المعتاد يصل إلي من عالم آخر.. لم أنتبه إن كان جدي يجلس في الصالة أم لا، كنت مشدوهة عن كل ما حولي، دخلت غرفتي أخيراً وأقفلت بابي بالمفتاح..

أمسكت هاتفي النقال، بحثت عن رسالة من فيصل، ربما رق قلبه علي، خفق قلبي بعنف وهو ينقبض في صدري، لقد حظرني من الوتساب، ومن جميع وسائل التواصل التي كنا نتابع بعضنا من خلالها، لقد اتخذ قراره، لم يعد يريدني..

شعرت أن قلبي يؤلمني، بكيت وبكيت، أنهاراً من الدموع سالت على

خدي، ارتجف جسدي بشدة، شعرت أنني محمومة، بكيت لساعات طوال على الحب الذي ضاع قبل أن أرتوي منه، على الرجل الذي تخلى عني وأشعرني بنقصي أكثر من أي أحد، الرجل الذي كان يطلب ودي، ويهمس لي بمشاعره الدافئة قبل أن يرمي بي في فراغ وحدتي وبردي..

مهلاً، أين هي كاراميل قطتي؟ لا أسمع لها صوتاً ولا أراها حولي كعادتها! ربما كانت خارج الغرفة، لكن الوقت تأخر، عادة تأتي لتنام في سريري!

قمت من مكاني، خرجت من غرفتي على أطراف أصابعي، بحثت عن قطتي في البيت فلم أجدها، استغربت اختفاءها، اضطررت للذهاب لغرفة أمي، طرقت الباب، فأجابتني بصوت نائم: ماذا تريدين؟

قلت وأنا أفتح الباب قليلاً: أين كاراميل؟

اعتدلت أمي جالسة، قالت بلا مبالاة ممزوجة بالقليل من التعاطف: نسي جدك باب المنزل مفتوحاً اليوم، فخرجت المسكينة وحدها للشارع!

شهقت: هربت!

قالت أمي: لا، صدمتها سيارة مسرعة، وماتت!!!!!

وانهار عالمي..

(27)

فتحت عينيّ، كانت الرؤيا ضبابية، فأغمضتهما، أعرف هذا الشعور، تلك البرودة التي تسري في جسدي كلما أفقت من البنج، تنهدت، يدي تؤلمني بعد العملية، عملية جديدة ليدي لا أريد تذكر رقمها، لكنني متفائلة، فالطبيب الأجنبي الزائر الذي أجراها لي أكد أنها ستتحسن بنسبة كبيرة، ومع التمارين والعلاج الطبيعي المكثف، سأقدر على استخدامها بشكل أفضل..

أعرف أن يدي لن تعود أبداً كما كانت، لكن ذلك لا يهم، المهم أن تتحسن، أنا راضية حتى لو بالقليل..

مرت ثلاثة أعوام منذ تركني فيصل، ثلاثة أعوام لم أعرف عنه فيها شيئاً، لم يتصل بي قط ولم يسأل عني..

تزوجت أختي جود من رجل ستيني ثري، رجل يملك عمارات ضخمة تطل على البحر، وأسكنها في شقة كبيرة في إحداها..

كان الرجل أرملاً وله أبناء كبار في عمرها، ولم تكن أختي تمانع مادام ثرياً وسيوفر لها حياة الرفاهية التي تريدها.

كانت جود تشتم الحب، لقد كفرت به كما كفرت به أنا أيضاً، لقد باعت شبابها، لكنها لم تكن نادمة، فزوجها رجل محترم وله مكانة كبيرة في المجتمع، رجل يصبغ شعره الأشيب اسبوعياً ليحاول أن يبدو شاباً أمام أختي التي تصغره بعشرات الأعوام!

دفعتني الممرضة نحو غرفتي بعد أن انتهت فترة الإفاقة على خير، كانت

أمي بانتظاري، الكل يتغير إلا أمي، لازلت كما هي، قالت بمجرد أن رأتني: أرجو أن تكون العملية ذات فائدة هذه المرة، لقد خسرتِ الكثير من المال من أجلها!

تنهدت، فهذا ما يهم أمي!

تذكرت خالتي عنود، حنانها وتعاطفها معي بعد أن تركني فيصل، أثبتت لي خالتي كم تحبني في تلك الأيام، لم تتركني وحدي، كانت تتصل بي يومياً، وتجلس معي بالساعات لتخفف عني كما دعتني للسفر معها لإحدى دول الخليج لكن أمي لم توافق..

أرادت خالتي أن ترفه عني.. في حين لم تعرف أمي ما أمر به، كانت مشغولة بصغائر الأمور، مشغولة بكل شيء بعيد عني.

يأست أمي من موضوع زواجي، لكنها لم تتوقف عن ندب حظها وحظي!

كبر جدي، تدهورت صحته عن السابق، لكنه لا يزال سراج هذا البيت، ولولا جدي، لكنت جننت بلا شك، ولما احتملت الحياة مع أمي. إنه بلسم جروحي، وطبيب قلبي..

كنت ألجأ إليه ليقرأ علي القرأن لأهدأ، ولأتحمل قسوة مصيري وأتقبل واقعي..

لكنني لم أستسلم ظللت أحاول أن أتحسن، صرفت أموالي كلها على جلسات العلاج وزيارة الأطباء، لن أيأس، أريد أن تتحسن يدي، أريد أن أتحدى رفض فيصل لي، وأن أجعله يندم في يوم من الأيام لأنه فرط بي وخذلني..

في أول ليلة لي في المستشفى بعد أن أجريت العملية، نمت نوماً متقطعاً تخللته الأحلام المزعجة، أخبرني الطبيب في اليوم التالي بأنه من الأفضل أن أبقى ليلة إضافية ليطمئن على حالتي قبل أن أعود للبيت وفي تلك الليلة الإضافية لم أستطع النوم من شدة الألم في يدي!

أعطتني الممرضة مسكناً قوياً لم ينفع ألمي، بقيت أتلوى في سريري وأنا خائفة، خفت أن تكون العملية قد فشلت وأن ضرراً أكبر حل بيدي، بكيت متوترة، فأخذت الممرضة تهدئ من روعي وتخبرني أن ما يحدث معي طبيعي رغم أنني خضعت لعدة عمليات من قبل وأعرف أن هذا الألم غير طبيعي!

قمت متثاقلة لأمشي في ممر الجناح الذي تقع فيه غرفتي، أردت أن أهرب من جو الغرفة الكئيب الذي يكاد يكتم أنفاسي..

تحملت الألم وارتديت الرباط في رقبتي الذي أسند عليه يدي المسكينة..

خرجت من غرفتي وأنا أرتدي ثوباً واسعاً يخفي معالم جسدي، كنت أرتدي مثل هذه الثياب المريحة كلما دخلت المستشفى..

مشيت في الممر وأنا أئن، كنت حزينة والدموع تجري على خدي فأمسحها بظاهر كفي كطفلة مشردة مسكينة..

تحركت جيئة وذهاباً فشعرت أنني صرت أحسن قليلاً، وأن الألم القاتل في يدي قد بدأ يخف وهناك رأيته، عند مكتبة صغيرة بها أذكار وأدعية لشفاء المرضى..

رجل في الأربعين على الأرجح، طويل، ممتلئ الجسم، يضع رباطاً ضاغطاً

على ساقه وعكازه مستند على الجدار بقربه، كان الرجل يمسك بأحد الكتب الصغيرة ويقرؤه، وقفت على مقربة منه، أردت القراءة أنا أيضاً لتهدأ نفسي..

نظر نحوي وابتسم، كانت أسنانه ناصعة البياض، لابد أنها ابتسامة صناعية، لم أكن أحب هذه الأضراس البيضاء، كانت تزعجني، وتتعب عيني، لكن ابتسامة هذا الرجل جميلة رغم بياض أسنانه الناصع..

قال بلطف: تفضلي..

تحرك وهو يجر ساقه، وعندما حاول التقاط عكازه، وقع العكاز على الأرض، حاول أن ينحني ليلتقطه، فوقع بجواره!

أسرعت نحو الرجل لأساعده، ناولته يدي ليقف، كنت أشعر بالإحراج، وكان يشعر مثلي، لكنه ضحك على ما يحدث، ناولته عكازه، وساعدته بالجلوس على مقعد موجود في المكان، كان يلهث، سألته بقلق: أتريد أن أنادي لك الممرضة؟ هل أنت بخير؟

قال: لا تناديها أرجوكِ، سئمت الأدوية ومسكنات الألم.. أنا بخير..

كنت مرتبكة، ابتسم لي بلطف وقال: اجلسي!

جلست على مقعد مجاور، لم أكن أعرف كم بدوت بشعة وقتها إلا عندما نظرت للمرآة لاحقاً، كان شعري مشعثاً وملابسي الفضفاضة مكرمشة، أنفي أحمر من شدة النحيب، وعيناي غائرتان بعد أن أنهكهما البكاء الطويل..

كنت في أسوأ حالاتي عندما التقيت وليد الذي أخبرني أنه وقع على الدرج الرخامي في بيته وكسر ساقه، وأنه خضع لعملية لوضع مسامير حديدية فيها، شعرت بالألم لمجرد الفكرة، قال أنه يتحسن، لكنه يأمل بأن يستعيد لياقته

بسرعة، أخبرني أنه كان معتاداً على ممارسة الرياضة والمشي، وقد زاد وزنه كثيراً بسبب انقطاعه عن ذلك بسبب حالة ساقه.

كان لطيفاً، تحدث معي ببساطة وكأنه يعرفني منذ زمن، أخبرته عن قصة يدي والحادث الذي تعرضت له، قال وهو ينظر لوجهي المنهك: لم كل هذا الهم والحزن؟ يجب أن تتفاءلي، تبدين تعيسة جداً..

تنهدت: أريد استعادة نفسي، لم أعد نفس الفتاة منذ الحادث.. لقد تغير كل شيء.. كنت مقبلة على الحياة، أفكر بالزواج، ويتقدم لي الخطاب، منذ الحادث وأنا يائسة، وأمي تندب حظي وحياتي التي انتهت قبل أن تبدأ!

قال بجدية: تفكير عقيم! ألا تكتمل الحياة إلا بالزواج! ماهذه العقلية الفارغة! أعتذر طبعاً فأنا لا أقصد الإساءة إلى أمك.. لكن يمكنك عيش حياة سعيدة دون زواج.. صدقيني..

أومأت برأسي: ضغوطاتها علي تزعجني، لقد تحملت الكثير، الكثير جداً.. ولم أسلم أبداً من كلامها المحبط..

لا أعرف كيف بحت لرجل لا أعرفه عن مشاعري وحكيت له عن معاناتي مع أمي..

يجعلنا التحدث مع الغرباء أكثر انفتاحاً، غرباء لا نعرفهم ولا يعرفوننا، وقد لا نلتقيهم ثانية، أشخاص عابرين لا يهمنا حكمهم علينا.. ولا حكمنا عليهم.. لذا نستطيع الفضفضة لهم ببساطة..

قال: اسمي وليد..

قلت مبتسمة: أنا شوق...

قال مجاملاً: اسمك جميل..

ابتسمت: شكراً..

تركته بعد أن تمنيت له الشفاء العاجل، وعدت إلى غرفتي.. دخلت الحمام لأغسل أسناني وقد بدأ النعاس يتسلل إلي واختفى ألم يدي تماماً، شهقت أمام المرآة لمظهري!

لابد أن وليد استنكر شكلي، خاصة شعري! بدا وكأنه لم يُغسل منذ أسابيع!

لكن لا بأس، لن أراه مرة أخرى، لا يهم انطباعه عني.

وفي اليوم التالي تركت المستشفى وعدت إلى بيتي..

لا مكان كالبيت.. لا مكان أبداً.. صدقوني..

بعد شهرين من تلك العملية صرت أستطيع تحريك يدي بشكل أفضل، كانت تؤلمني عندما أحركها لكن فرحتي بالتقدم الذي أحرزته كان يهون علي الألم..

بدأت أمسك الأشياء بشكل أفضل، وأقوم بالأمور اليومية بشكل أسهل، سعدت بالنتيجة الإيجابية التي حققتها العملية الأخيرة، فرحت كما لم أفرح منذ زمن، صحيح أن يدي لم تعد كالسابق تماماً لكنني ممتنة للتحسن الذي طرأ عليها.

وفي يوم ذهبت مع جود لأحد المجمعات التجارية، كانت تريد شراء ساعة جديدة، وأرادت أن تأخذ رأيي بها، دخلنا المجمع الكبير وبعد أن انتهينا من المحل جلسنا لنتناول غداءنا في أحد المطاعم..

وهناك لمحت فيصل، كانت معه امرأة، لابد أنها زوجته، ويحمل طفلاً صغيراً على كتفه..

انزعجت من رؤية فيصل، انزعجت بشكل لا يمكنني وصفه، صار قلبي يخفق بشدة وكأنه سيتوقف، تمنيت لو أنني لم آتي لهذا المجمع اليوم، ولا تواجدت في مكان يتواجد فيه هذا الرجل الذي جرحني..

كرهت النظر إليه لكنني لم أستطع إبعاد عيني عنه، كان يجلس مع عائلته الصغيرة في طاولة مقابلة بحيث يمكنه رؤيتي، قلت لجود أنني أريد تغيير مكاني، وعندما قمت لأفعل رآني فيصل والتقت عيني بعينه، ابتسمت له ابتسامة صغيرة.. فصد عني!!!!!!

تخيلوا وقاحة هذا الرجل! بدلاً من أن يرخي عينيه خجلاً مني يصد عني وكأنني لا أحد!

لا يمكنني وصف كم كرهته، وكم تمنيت أن ألقنه درساً لا ينساه..

تمنيت أن أذهب إليه لأصفعه أمام زوجته، لأخبره أنه حقير جبان، وأنني لا أتشرف حتى بمعرفته، أردت أن أصرخ في وجهه، وأن أخبره أنني لا أحتاجه ولا أحن إلى أيامي معه وأن يدي تحسنت وأنه خسرني عندما اختار فراقي، وأنه رجل سطحي سخيف لا يستحق حتى ظفراً من أظافري..

لم أستطع فعل شيء طبعاً، ولا إثارة فضيحة في مكان عام، فضيحة قد تضرني أكثر مما قد تضره.. التزمت الصمت، لكن صمتي لم يطل، لأنني بكيت!

لم ير فيصل دموعي، لكن أختي رأتها، هدأت من روعي وأخذت تشتم فيصل ولم نغادر المطعم إلا بعد أن رحل فيصل وأخذ زوجته القبيحة وطفله السخيف معه!

عدت إلى البيت بمعنويات محطمة..

تمنيت لو أنني لم أقف لأغير مكاني، ولم ألفت نظر فيصل نحوي، تمنيت لو أنني لم أبتسم له بغبائي وطيبتي.. تمنيت لو أنني بصقت في وجهه!

مؤلم أن يتجبر علينا أحد، لكن الله تعالى طمئننا في كتابه الكريم عندما قال:

((وخاب كل جبار عنيد))...

صدق الله العظيم..

(28)

بعد سنوات من عملي في بلدية الكويت تم ترشيحي لحضور دورة تدريبية في مجال التنمية الذاتية!

لا أعرف لم تم اختياري لهذه الدورة بالتحديد، لكنني فرحت بذلك الترشيح وقبلت به على الفور وأنا أكاد أقبل رأس مديري!

أخذني السائق لأحد الفنادق الجميلة التي تقام فيها في الدورة التي تمتد لخمسة أيام، تبدأ المحاضرة في تمام العاشرة صباحاً حتى الواحدة، ثم يتم تقديم الغداء لنا في مطعم الفندق الفخم وبعدها نعاود الدرس من الثانية إلى الثالثة والنصف عصراً..

كنت سعيدة متحمسة، جلست في المكان المخصص لي والذي وضعت عليه بطاقة تحمل اسمي، كان المشاركين من أماكن عمل مختلفة، لم أكن أعرف أحداً، لكنني كنت في غاية الامتنان لأنني كسرت روتين العمل اليومي وقمت بشيء مختلف..

دخل الدكتور الذي سيلقي المحاضرة، فصُدمت، إنه وليد، الرجل الأربعيني الذي تحدثت معه في المستشفى تلك الليلة.. لم يعرفني أبداً.. وكيف يعرفني وقد رآني في أسوأ حالاتي، خفق قلبي بمودة وأنا أسمع محاضرته، كان واثقاً من نفسه، صوته قوي ومخارج الحروف عنده سليمة، كان لصوته عدة طبقات وكان لهذا الأمر أثر إيجابي على المستمعين كي يظل انتباهنا معه ولا نسرح عنه بعيداً مع أفكارنا الخاصة..

عرف كل منا عن نفسه، لم يبدُ عليه أنه تعرف علي، لا بأس، فأنا أعذره، فمثله يلتقي عشرات الأشخاص ويتحدث مع كثيرين، من أنا ليتذكرني رجل مثله؟

انقضى الجزء الأول من الدورة لذلك اليوم، قال الدكتور وليد: تفضلوا على بوفيه الغداء في الطابق الأرضي، ألتقي بكم هنا بعد ساعة من الآن. شكرا لحسن استماعكم..

بدأ الجميع بالانسحاب من القاعة وبقي الدكتور وليد وحده يرتب أوراقه، تحدث معه أحد الحاضرين قليلاً ثم ذهب، تلكأت أنا إلى أن خلت القاعة ولم يبقى فيها أحد سوانا..

نظر نحوي وابتسم، قال مجاملاً: لديكِ أية أسئلة؟

قلت بلهفة طفلة: دكتور أنت لا تذكرني، التقيت بك من قبل وتحدثنا..

ابتسم وليد بصبر رجل اعتاد على حوارات كهذه: صحيح؟ أين؟

قلت وأنا أبتسم: في المستشفى..

رفعت يدي وقلت: أتذكرني؟ شوق؟ كنت قد أجريت عملية ليدي..

تذكرني على الفور، تألقت ملامحه وقال بحرارة: صحيح! لم أعرفك شوق!!!

ضحكت: كنت في حالة مزرية ليلتها.. لا ألومك على عدم معرفتي..

ضحك معي: لا أبداً، أنتِ حلوة في كل حالاتك..

حلوة؟ لابد أنه يجاملني..

خرج معي الدكتور وليد من القاعة وهو يسألني عن حالة يدي، ركبنا المصعد معاً للدور الأرضي، عاملني كصديقة قديمة، كان لطيفاً جداً معي، دخلنا لقاعة الغداء واخترنا مكان جلوسنا معاً بتلقائية، وقفنا في البوفيه، ناولني صحناً أمسكت به برشاقة، فيدي صارت تطاوعني، ولم أكن أريده أن يشعر أنني أعاني شيئاً..

اخترنا أصناف طعام متقاربة، اكتشفت أن ذوقه بالأكل قريب من ذوقي، جلست أتحدث معه خلال الغداء، كانت أحاديثنا عامة، وأخبرني أن ساقة بخير وأنه يمارس السباحة بشكل يومي..

وسيم هو وليد، بشرته بيضاء، وعيناه داكنتان كبيرتان، له شارب خفيف، كان يرتدي بدلة كحلية اللون فبدا بمنتهى الأناقة والرقي.

كان رجل علم، مثقف، يعرف الكثير من المعلومات، سياسي، له آراء واضحة في كل شيء، لم يكن رجلاً عادياً، كان بحراً من المعرفة..

شعرت أنني طفلة أمامه، أنا بمعلوماتي المحدودة وعالمي الضيق، كان يملك مركزاً كاملاً للتنمية الذاتية يبيع فيه الكثير من الكتب والإصدارات ويقدم الكثير من الدورات التدريبية في داخل الكويت وخارجها.

إنه رجل مشغول بجدول مزدحم وهو رجل ناضج رائع ذو أفكار تعجبني وتؤثر بي..

اهتممت بطلتي أكثر في اليوم التالي، ارتديت أجمل ثيابي، وتزينت كما لم أتزين منذ زمن، فرحت جداً بنظرة الإعجاب التي لمحتها في عينيه عندما دخل القاعة ورآني، كان يشرح درسه وهو ينظر لي بين حين وآخر ويوجه لي

أسئلة مباشرة وكأنني تلميذته المفضلة..

في مساء ذلك اليوم توجهت لمكتبة معروفة، واشتريت كتاباً لوليد، إنه كتاب يتحدث عن تطوير الثقة بالنفس، قرأت الكتاب طوال الليل، لم أنم إلا بعد أن أنهيت قراءته بالكامل، أعجبني تمرين ذكره، وقررت تطبيقه في صباح اليوم التالي..

وقفت أمام مرآتي لأحادث نفسي: أنا جميلة، أحب نفسي وأقدرها، أحترم جسدي وأشكر الله على نعمه التي تحيط بي وتغمرني..

كررت تلك الجملة عشرات المرات حتى غمرت روحي..

يومها أخبرت وليد أنني قرأت كتابه، بدا فرحاً بهذا الخبر، وكأنني القارئة الوحيدة المهمة لديه، جلسنا معاً وقت الغداء وأنا ألمع فرحاً، وكل ما فيّ يهتف بإعجابي بهذا الدكتور الرائع، لابد أن وليد عرف ذلك، عرف أنني معجبة كبيرة به، وأنني صرت متأثرة بشخصيته..

قال خلال الغداء: ماذا ستفعلين اليوم بعد انتهاء الدورة؟

قلت بسرعة وقد ظننت أنه سيقوم بدعوتي على العشاء مثلاً: لا شيء.. لا خطط لدي.. وأنت؟

نظرت إليه لأشجعه، لابد أنني فقدت اتزاني، قال وهو ينظر في عيني: سآخذ ابني لدورة في السباحة..

فغرت فمي دهشة، إنه أب! وكيف لا يكون أباً؟ إنه في الأربعين!!!

لابد أنه متزوج!! يالغبائي!!

قال وليد: لدي ابنة في الثانوية، وابن آخر في الابتدائي، سارة وحمد..

تجهمت ملامحي، لم أستطع الرد عليه، كنت حمقاء، وكان يريدني أن أصحو من حماقتي وغيبوبة غبائي، قال وليد: زوجتي دكتورة مثلي، تعرفت عليها أثناء الدراسة، وأكملنا مشوارنا العلمي معاً، إنها شريكتي في مركز التنمية الذاتية! اسمها الدكتورة رهام، إنها مشهورة جداً وتقدم الكثير من الدورات أيضاً، أسمعتِ بها؟

لا أعرف كيف بدت ملامحي في تلك اللحظة، كانت تلك المعلومات كثيرة علي، شعرت بأنني أغبى فتاة في العالم، لقد بنيت أحلاماً من الوهم، وأغدقت مشاعري على رجل لن يكون لي، ولا يناسبني أصلاً!

قلت بصوت مبحوح: لم أسمع بها!

كنت أقصد زوجته، قال بلطف ليخفف عني الصدمة وقد أحس بما أعانيه: تريدين رؤية صور أبنائي؟

هززت رأسي دون تفكير، فأخرج موبايله من جيبه، قال بمحبة: هذه سارة..

كانت سارة صبية جميلة نحيفة بوجه مستدير وشعر طويل يصل لأسفل ظهرها..

هززت رأسي كالبلهاء دون أن أقول شيئاً..

قال وليد: وهذا حمد..

كان حمد في حوالي السادسة من عمره، سمين بعض الشيء، دمه خفيف، ابتسمت لصورته فمن المستحيل أن تنظر لولد مثله دون أن تبتسم..

ضحك وليد: أعرف أن له كاريزما محببة، الكل يحب حمد، إنه حبيب العائلة..

قلت وأنا أتنهد: حفظ الله عائلتك وأبقاهم لك ذخراً..

قمت من مكاني وأنا أكاد أترنح: عن إذنك، أحتاج الذهاب للحمام!

تركت الدكتور وليد.. وتوجهت فعلاً للحمام، أقفلت الباب على نفسي، وانهرت جالسة على الأرض لأبكي كل دموعي على خيبة أملي..

(29)

في اليوم الرابع من الدورة التدريبية ذهبت وأنا لا أضع أي نوع من مساحيق التجميل، ارتديت ثياباً مهلهلة وتعمدت أن أكون فظة مع الجميع!

جلست في مكاني دون أن أشارك في الدرس، تجاهلت نظرات وليد لي، ولم أجب على سؤاله الذي وجهه لي أمام الجميع سوى بجملة سخيفة: لا أعرف!

بدا التغيير الذي طرأ علي كبيراً، ظنت بعض الزميلات أنني مريضة يومها وسألنني إن كنت بخير، غريب كيف يتغير حال الإنسان، فيسقط من سابع سماء إلى سابع أرض!

حدث ذلك عندما عرفت أن وليد متزوج، وأب لولدين..

لم يخدعني وليد، أنا التي خدعت نفسي وصنعت لنفسي وهماً وصدقت أنه حقيقة.. أنا التي ركضت خلف السراب كعادتي، وصدقت أن أحلامي ممكنة وأن وليد متاحاً لي، ويمكنني أن أعيش قصة حب معه تتكلل بالزواج كنهاية منصفة كما في أفلام ديزني السعيدة!

حان وقت الغداء، بقيت في مكاني، لن آكل شيئاً، فمعدتي مقبوضة كبالونة فرغ منها الهواء فانكمشت على نفسها وتكرمشت!

تلكأ وليد في الخروج من القاعة، اقترب مني وقال بحنان وكأنني فتاة مريضة: مابك اليوم شوق؟

قلت بحدة: لا شيء..

قال بحنان أكثر: هل أغضبتكِ في شيء؟

نظرت في عينيه، المصيبة أنه لم يغضبني، أنا التي خدعت نفسي!

كان من السهل علي أن أتقصى عن وليد، أن أتحرى عنه، اسمه موجود في جوجل، ومعلومات كاملة عن مركزه موجودة أيضاً، أنا التي اخترت الجهل وتصرفت كطفلة ساذجة غريرة، أنا التي أوهمت نفسي أنني بطلة قصة كبيرة في حين لم أكن سوى حمقاء فاشلة!

قال وليد: شوق، أخبريني ما الذي يجول بخاطرك؟

نكست رأسي، وبغير وعي مني وجدت دموعي تنهمر، شهق وليد، قال بقلق حقيقي: ماذا حدث؟ أخبريني، أعدك أن أكتم سرك! لديك مشكلة؟ أخبريني وسأساعدك؟

أهناك من يمكنه مساعدتي على نفسي؟ لا أظن!

قلت وأنا أبكي: آسفة دكتور وليد، لا ذنب لك بما يحدث معي، أنا فقط..

لم أعرف ما أقول.. فسكت.. قال مشجعاً: أنتِ ماذا؟؟

قلت باستسلام: لم أكن أعرف أنك متزوج! سمحت لنفسي بالتفكير بك! خلت أنه من الممكن أن نكون معاً!

لمعت عيناه كذئب مرت أمامه فريسة سهلة وقال بسرعة: وما المانع إن كنت متزوج! يمكننا طبعاً أن نكون معاً!

أتعرفون ما الصادم في سلوك البشر؟ أننا نقوم بنفس الأفعال التي كنا ننتقد غيرنا لقيامهم بها، كنت أنتقد أختي جود لأنها ارتبطت برجل متزوج في وقت

ما، فوجدت نفسي أكرر فعلتها!

أحببت وليد، حباً كبيراً هذه المرة، أعرف أنني أقول هذا الكلام كلما وقعت في الحب، لكن هذه المرة كانت فعلاً مختلفة، فوليد هو حب العمر كله..

فهو رجل كبير ناضج، رجل يعرف كيف يعامل أنثاه وكيف يرضي غرورها ويحتويها، لم أكن أتصور أن رجلاً مثله من الممكن أن يخون زوجته مع أخرى، لكنه كان مثل غيره، البعض الذين لا يفوتون الفرصة لاصطياد فريسة جديدة.

وكنت أنا فريسة سهلة، فأنا محطمة القلب، أعاني حرماناً عاطفياً عظيماً.. لدي نقص في جسدي متمثلاً بمشكلة يدي، لا توجد لدي الكثير من الفرص للارتباط، إذن رجل متزوج أفضل من لا شيء!

لم تكن هذه مبادئي، لم تكن هذه أنا، كنت مختلفة، ولطالما انتقدت الفتيات اللاتي يجرين وراء رجال متزوجين غير آبهين بخراب بيوت الأخريات، فتيات أنانيات وجدت نفسي أفعل مثلهن، لكن الفرق الوحيد أنني لم أكن داهية، لم أكن شريرة بطبعي ولم أكن ذكية، كل ما أردته هو الحب والاهتمام، حتى وإن كان هذا الحب كاذب وبلا مستقبل، كنت أريده وأحتاجه بشدة.. فأنا أريد وليد رغماً عن كل الظروف.

لم أخبر أحداً عن علاقتي به، حتى جود لم أصارحها، كان وليد هو سري وحدي، سراً كبيراً أردت الحفاظ عليه لأهنأ به، لم أكن أريد منه الكثير، مكالمات متكررة، ورسائل غرامية ولقاءات متباعدة في المطاعم والمقاهي، كان يستشيرني في كثير من الأمور، حتى تلك الأمور التي تخص ولديه، خاصة

بما يخص ابنته سارة، كان يخبرني عن مشاكله معها وأنصحه بكيفية التعامل معها، وفي كل مرة يطبق فيها نصيحتي كانت الأمور تحل وتتخذ مساراً أفضل فنلت ثقته عن جدارة.

لم أكن أغار من الدكتورة رهام، لأنني لم أكن نداً لها، كانت زوجته وأم أولاده وشريكته في العمل، إنها المرأة التي يتقاسم معها حياته بالكامل، كانت هي الأصل، وأنا كنت الظل، ولم أكن أريد أكثر من الظل لأتفيأ به وأحتمي من شبح الوحدة التي يهدد حياتي ويثقل قلبي.

اكتفيت بالقليل من وليد، كان يناديني حبيبتي فأفرح، وكأنني ملكت الدنيا وما فيها، كنت متسولة للحب، هكذا أصف علاقتي بوليد، لم أكن أكثر من شحاذة! صدقوني!

(30)

توفي جدي فجأة بسكتة قلبية..

كان في سريره يقرأ القرآن كعادته، توقف قلبه، وفاضت روحه بهدوء.. واكتشفت الخادمة وفاته في صباح اليوم التالي..

بكيت على جدي من كل قلبي، كان ألطف رجل عرفته في حياتي..

الرجل الذي لم ينهرني يوماً قد رحل بلا عودة..

الرجل الذي لم يصرخ في وجهي أبداً مات وتركني أواجه الحياة وحدي..

الرجل الذي كان يقف بصفي ضد أمي، تركني للأبد..

بكيت بحرقة، وكأن أنهاراً من الدموع تسكن داخل عيني..

لم أكن أعرف أنني أمتلك هذه الكمية من الدموع..

دموع تكفي لإغراق قلبي بالكامل..

ودعت جدي بقلب ينزف وجعاً..

وارى الثرى جسده فشعرت بثقل عظيم في قلبي..

ياله من مصير مؤلم للإنسان..

يعيش ويتصرف كأنه مخلد، فيأتي الموت ليغيبه عن الوجود فجأة وبلا موعد..

رحمك الله يا جدي وأسكنك فسيح جناته..

بعد شهرين من وفاة جدي لاحظت أن أمي تغيرت فجأة!!!

خلعت ملابس الحداد، والتزمت برجيم قاسٍ على غير عادتها، فهي دائماً تخضع لرجيم لا تكمله لكنها في هذه المرة بدت جادة، ومصممة على استعادة رشاقتها المفقودة منذ زمن بعيد!

اشتركت أمي في نادي رياضي عريق، وصارت تقضي معظم وقتها فيه..

كان الأمر إيجابياً، وكان من الجيد أن تخرج من عزلتها وحزنها على وفاة أبيها..

كنت أشجعها بحماس، وبعد شهرين آخرين بدأت تنال ثمرة جهودها..

صارت أمي أصغر حجماً، وتورد وجهها بفعل الأكل الصحي والرياضة..

لجأت أمي لحقن البوتكس وهي التي لم تكن تعرف طريق عيادات التجميل سابقاً، نفخت شفتيها قليلاً ثم صبغت شعرها باللون الأشقر الداكن وقصته بطريقة عصرية.

اختلفت أمي، وكان اختلافها أمر جيد، ولم تعد تطري موضوع زواجي على الإطلاق، يبدو أنها يئست مني تماماً.. وعلى ما يبدو، صار زواجي أمر ميئوس منه فعلاً..

تطورت علاقتي بوليد، صرت جزءاً من عالمه، وأصبح يستشيرني في أمور مركزه واختيار مواضيع الدروات التي يقدمها، ثم أصبح يكلفني ببعض المهام، كالبحث عن تذاكر سفر وأسعار الفنادق التي تقيم الدورات سواء في الكويت أو في الخارج، كنت أفرح بمساعدته، وأشعر بأهميتي في حياته.. إلى أن جاء يوم دعاني فيه لشرب القهوة في مكتبه والتعرف على مركزه الشهير!

كان من الغريب علي أن أزوره في مكان عمله، خاصة وأنني أعلم أن زوجته تعمل أيضاً في نفس المكان، لم أرادني وليد أن أقتحم عالمه؟ أكان يلهو؟ أم أنه صار يعتبرني فعلاً جزءاً من حياته؟

كان يخبرني أنه يحبني، لكنني لم أكن أصدقه، لا أعرف لم لا أصدق هذا الرجل، ولا آمن له، كنت أحبه، وأريد الحفاظ على علاقتي به، لكنني لم أكن أرى لتلك العلاقة مستقبلاً فهو مستقر في حياته، ومن الصعب على الرجل أن يضحي بالاستقرار والأمان من أجل امرأة تربطه بها علاقة سرية وفي الغالب عابرة.

كنت أقرب إلى نزوة في حياته وكنت أتقبل ذلك، لقد شغل وليد فكري واحتل مساحة كبيرة في عالمي، كنت يائسة من أن أتزوج، فملأ وجوده فراغي العاطفي، ولم أكن أتوقع منه أكثر مما يقدمه لي..

في اليوم المحدد لزيارتي لمركز وليد للتنمية البشرية، ارتديت ثوباً أنيقاً بلون السماء، وضعت زينة خفيفة، سرحت شعري الطويل وربطته كذيل حصان طويل خلفي، بدوت أنيقة راقية، أحببت طلتي، أوصلني السائق للمكان، دخلت وقلت لموظفة الاستقبال الجميلة أنني على موعد مع الدكتور وليد.. سألتني ببساطة: أنتِ شوق؟

ارتبكت.. أومأت برأسي.. فقادتني لمكتب وليد على الفور..

كان مكتب وليد رمادي اللون، الجدران حوله بيضاء ذات أطر من الجبس الأبيض، كان المكان بارداً، والأثاث الفخم للمكتب أضفى على المكان هيبة وتميزاً..

وقف وليد ليصافحني، أحسست بيدي تكاد تذوب في يده الكبيرة، جلست أمامه مأخوذة بالمكان حولي..

واسمه الحبيب محفور على لوحة رخامية مزخرفة موضوعة على مكتبه.

قال وليد وهو يبتسم: أهلاً بكِ في مملكتي..

ابتسمت له: لم أردتني أن أحضر؟

قال: لأنك لن تعرفينني جيداً مالم تحضري إلي هنا..

كان يريد أن يكشف الجزء الأهم منه أمامي، عالمه، دراسته، عمله، المكان الذي يمارس منه وظيفته التي يحبها، كان وليد مميزاً، وعرفت كم هو مميز عندما رأيت عشرات الكتب التي قرأها تتربع بسمو على أرفف كبيرة في زاوية مكتبه.

شربت القهوة معه، كان للقهوة مذاق مختلف في حضوره، كنت مشدوهة وأنا أنظر للرجل الذي اعتدت على وجوده في حياتي، أصبحت أعرفه أكثر، وأحبه أكثر منذ دخلت مكتبه، كان وليد يرتدي بدلة سوداء أنيقة، كان يبدو نحيفاً، بدا واضحاً أنه خسر الكثير من وزنه..

وعندما علقت على نحافته ضحك مشاكساً: كل هذا بسبب الحب..

نظرت إليه، ابتسمت بهدوء ولم أعلق..

فقال: أتشكين بحبي لكِ؟

قلت ببساطة: لا، لكنه ليس بالقدر الكافي لتعترف به..

نظر لي لبرهة: تريدين حباً في العلن؟

تنهدت: عشت طوال عمري وأنا أحلم بتكوين عائلة، كانت أمي تضغط علي دائماً لأتزوج، وعندما حصل الحادث وتأثرت يدي، صار هذا الحلم بعيد المنال، حتى بعد أن تحسنت يدي لم يتغير شيء، الكل يعرف أن لي يداً معاقة، والكل يرفض الزواج من فتاة ناقصة..

قال بجدية: أنتِ تقللين من شأن نفسك..

ابتسمت: أنا أعترف بالحقيقة، ومتصالحة معها تماماً.. ولست آسفة على شيء، فأنا راضية بما كتبه الله لي.

قال وليد: إذن؟

ابتسمت له: ابق معي، اسمح لي بأن أكون جزءاً من عالمك.. فأنا لا أريد أكثر..

نظر لي وليد مطولاً هذه المرة..

كانت نظراته لي تشي بمشاعر كبيرة لم أعتقد أنه يحمل لي مثلها، كان فيها مزيجاً من الحنان والإعجاب، طالت تلك النظرات الثاقبة حتى شعرت بالخجل..

وفي تلك اللحظة فتحت زوجة وليد الباب.. الدكتورة رهام..

(31)

كانت الدكتورة رهام جميلة، طويلة القامة، سمراء البشرة، شعرها كستنائي ناعم يصل لكتفيها، عينيها تشعان بالذكاء، وشخصيتها آسرة..

عرفها وليد علي ببساطة وأخبرها أنه عرفني في إحدى الدورات التدريبية، وأتيت لرؤية المركز والتعرف على خدماته..

رحبت بي هي بطريقة ودية، وكأنها قد تعودت على أمور كهذه..

جلست رهام أمامي، فشعرت بعدم الارتياح، فهذه المرأة أخونها أنا مع زوجها..

ومن الصعب علي التواجد معها في نفس المكان دون أن أشعر بالحرج!

لم يبدو على وليد أنه مكترث لغرابة هذا الوضع، أنا وهو وزوجته معاً!

كان يتصرف بطريقة عادية جداً، إنه ممثل بارع! يالهذا الرجل المتعدد المواهب!

سألتني رهام بعض الأسئلة عما أقوم به في الحياة، ولأنها شديدة الملاحظة تطرقت نظراتها ليدي وهي تلاحظ أنها غير طبيعية..

التقت نظراتنا معاً، فقالت: وُلدتِ هكذا؟

جرحني سؤالها، لكنني قررت المكابرة وقلت بصوت حاولت ضبط نبراته: لا، تعرضت لحادث..

سألتني رهام عن بعض التفاصيل، وبدا الاهتمام على وليد، نظرت إليه

وكأنني أستنجد به لينقذني من فضول زوجته..

فقام فجأة وطلب منها أخذي لرؤية المركز والتعرف على أقسامه!

لم أتخيل قط أنني سأقوم بجولة كهذه مع زوجة وليد الذي غمز لي بمجرد أن أعطتنا رهام ظهرها!

نظرت إليه بعتب، فلست ممن يتباهون باستغفال الآخرين وخداعهم.. لم تكن تلك طبيعتي وتضايقت أكثر لأن وليد وضعني في هذا الموقف المحرج.

أخذتني رهام في جولة في أنحاء المركز، لم أركز كثيراً بما كانت تقوله، كنت منشغلة بمشاعري الداخلية وعقلي الذي يقفز كالقرد من فكرة لأخرى..

حاولت أن أبدو طبيعية قدر الإمكان، لكن يبدو أنني فشلت لأن رهام قالت: ما الأمر؟ تبدين متوترة؟ هل أنتِ بخير؟

كدت أبكي وأخبرها أنني على علاقة بزوجها وأنني لا أريد منه شيئاً أكثر من المشاعر الكاذبة التي يمنحها لي!

تنهدت بضعف وأخبرتها أنني بخير..

كانت تتأملني خلسة وكنت ألاحظ ذلك بضيق..

اقتربنا من مرآة كبيرة، فتوقفت أمامها لأعدل من هندامي، كنت جميلة، وجهي متورد رغم قلقي، نظرت لصورتي في المرآة.. كانت رهام تقف بجواري وهي تجيب اتصالاً بهاتفها النقال، فوجدت نفسي أقارن بيني وبينها..

كنت أصغر منها وأكثر شباباً ونضارة، شعري الكث المتماوج أجمل بكثير من شعرها الخفيف الباهت.. التفت نحوها ولاحظت بعض التجاعيد تحت عينيها، عدت للمرآة لأطمئن على بشرتي المشدودة المتوردة، إنني الأجمل..

يجب ان أطمئن وأفرح!

لكن مهلاً، إنها يدي، لقد نسيتها في غمرة انفعالي..

عضضت شفتي أسفاً وأنا أتذكر عجزها، لأن هذه اليد ستجعلني أخسر كل مقارنة أخوضها مع أي امرأة أخرى.

عند باب المركز شكرت الدكتورة رهام على وقتها واهتمامها بي..

كانت لطيفة معي، ولن أنكر أنها سيدة محترمة وأنها لم تكن مضطرة لمرافقتي..

وقبل أن أخرج نادتني: شوق..

التفت نحوها متسائلة، تغيرت ملامحها فصارت تشبه الأفعى وهي تفح في أذني: اسمعيني جيداً، وليد يحبني، وبين حين وآخر تظهر في حياته فتاة مثلك!

انقبض قلبي.. كانت أذكى مما أظن.. وكنت أنا ملكة الغباء كالعادة..

قالت وهي تنظر لي باستهانة: عندما تتزوجين في يوم من الأيام، ستعرفين أن الرجال يملون سريعاً، وستكتشفين بعض الخيانات من وقت لآخر..

لم أنطق بحرف.. شلتني الصدمة تماماً لدرجة أنني لم أقم حتى بتبرئة نفسي ولو كذباً!

أردفت الدكتورة الفاهمة: المرأة الذكية هي التي تعرف كيف تحافظ على زوجها وتحمي بيتها من الانهيار، وعلى مدى سنوات كنت أنا زوجة ذكية..

نظرت إليها ببلاهة..

فقالت أخيراً بقسوة لا متناهية: لا أريد أن أراكِ في أي مكان يخصني مرة أخرى!

أومأت برأسي.. وهربت منها..

(32)

مكتبة
t.me/t_pdf

انسحبت من حياة الدكتور وليد تماماً دون وداع..

لم أتصل به أبداً بعد ذلك اليوم ولم يحاول هو الوصول إلي أو حتى البحث عني..

لابد أنه خاف من زوجته!

لابد أنه خاض معركة معها..

لم دعاني الدكتور وليد لمكتبه؟ لم وضعني في ذلك الموقف؟ وأحرجني مع زوجته؟

لم وضعني تحت المجهر وكأنه تعمد أن يكشفني أمامها!

لازلت إلى الآن لا أعرف!

كان تصرفه غريباً، شعرت أن هناك شيء لا أفهمه ولن أفهمه!

وكيف سأفهمه وصاحب الشأن لم يعد موجوداً في حياتي..

واستجد أمر خطير في حياتي..

أمر لم أتوقع حدوثه قط ولم أفكر فيه..

إنها أمي..

طلبت الحديث معي ذات مساء، كنت مكفهرة الوجه كعادتي منذ تركت وليد..

في حين كانت أمي قلقة!

قالت أمي بصوت مرتبك: شوق، تعرفين أنني منذ وفاة جدك وأنا أعاني من الوحدة!

نظرت إليها وكأنني لا أفهم اللغة التي تتحدث بها!

لا أريد أن أفهم ما تلمح به أمي.. لا أريد حقاً أن أفهم أو أسمع!

قالت أمي: نذرت نفسي لتربيتك، وتمنيت أن أراكِ في بيت زوجك.. لكنه النصيب..

قلت باستغراب: النصيب؟

قالت: نعم، النصيب الذي اختارني أنا لأتزوج قبلك!

شهقت: تتزوجين!!!

قالت وقد غدت متصابية فجأة وهي تتصرف بخجل لا يليق بها وكأنها عادت مراهقة من جديد: من كثرة دعائي لك بالزواج، أرسل الله زوجاً لي!

فتحت فمي بدهشة: ماذا تقولين يا أمي! بالله عليكِ لا تمزحي!

استاءت أمي: هذه الأمور لا مزاح فيها! أنا فعلاً سأتزوج!

كدت أصرخ: ومن ستتزوجين؟

قالت أمي: إنه مهندس ديكور! في مثل عمري تقريباً، مطلق.. وطليقته تعيش مع أولاده في بلده!

سألتها: غير كويتي؟

قالت أمي: نعم، وما المشكلة؟ مادام رجلاً طيباً وأنا مرتاحة له، الجنسية غير مهمة!

صرخت: كيف تعرفتِ عليه!

صمتت أمي، لم تجب على سؤالي.. فكدت أجن!

أكانت تحب؟

كانت على علاقة برجل دون أن أدري، ولم علي أن أدري؟

أمن حقنا أن نحاسب أمهاتنا؟

كنت أعرف أنها كرست حياتها من أجلي، ربتني وحدها، وها أنا كبرت بما فيه الكفاية لتتفرغ لنفسها، لكن أن تتزوج! كان ذلك فوق احتمالي وأكثر بكثير من توقعاتي!

غضبت، تعديت حدودي وذكرت أمي بعمرها، اتهمتها بأنها لا تعرف مصلحتها وأنها تعيش مراهقة متأخرة، جرحها كلامي دون شك، لكنها لم تغير رأيها، كانت تريد الزواج وتريد تجربة حظها من جديد بعد كل تلك السنين..

استنكرت قرارها، وصدمت من أنها تريد تغيير حياتها بالكامل فجأة وتقحم فيها رجلاً لا تكاد تعرفه.. ولا أعرفه أنا أيضاً!

ما علاقتي أنا بالأمر؟

إنها أمي، مصيري مرتبط بمصيرها..

حياتي كلها جزء من حياتها..

علينا أن نظل معاً طوال العمر!

هل غرت على أمي؟

لا، لم تكن غيرة عليها، لكنني لم أكن مقتنعة بفكرة زواجها، كانت كبيرة في نظري، فاتها قطار الزواج منذ زمن، لم تكن مؤهلة للبدء من جديد، فلم المجازفة؟

كنت أخجل من فكرة إخبار الناس بأن أمي تزوجت!

كان الأمر بالنسبة لي أشبه بفضيحة..

لجأت لخالتي عنود أستنجد بها من جنون أمي، وكانت صدمة خالتي أكبر من صدمتي!

لم تتوقع أن أمي تفكر بالزواج وأنها ستقدم على خطوة كهذه..

أخبرتها أن الرجل الذي تريده غير كويتي، كدت أبكي وألطم خدي وأنا أقول: لابد أنه طامع في مالها، صحيح أنها ليست ثرية، لكن لديها حصتها من منزل جدي، ومبلغ لا بأس به في حسابها..

كنت مطلعة على ممتلكات أمي، فأنا وحيدتها ولا أسرار بيننا، لابد أن ذلك الدخيل يريد استغلالها.. لابد أنه يكذب عليها! فمن غير المعقول أنه يحبها!

انفعلت خالتي عنود معي واستنكرت كيف تتزوج أمي بعد كل تلك السنوات؟

قالت خالتي بتكبر: من الذي يرغب بأمك!

عرفت وقتها أن خالتي لا تحب أمي، كدت أنتفض مدافعة عنها، لكن مهلاً، مصلحتي مع خالتي هذه المرة، لا أريد رجلاً غريباً في حياتي، وأخاف على

أمي من صدمة لن تتحملها إن تزوجت وخدعها زوجها وسرق مالها وهرب!

أتت خالتي لمنزلنا، جلست مع أمي وحدهما، تعالى صراخهما بعد برهة، اتهمت أمي خالتي بالأنانية، وبأنها لا تشعر بها وتظن أنها الوحيدة التي تستحق السعادة في العالم، لامتها خالتي واتهمتها بالتصابي، وبأنها لا تفكر بي، ابنتها الوحيدة..

صرخت أمي: شوق لن تتزوج، ستبقى بلا زواج طوال عمرها، أنا يئست منها، ويجب أن يكون لنا رجلاً يهتم بي وبها.

آلمني كلام أمي، لكنه صحيح، أنا امرأة فاشلة عاطفياً، وكلما خضت في علاقة وجدتها تنتهي وتفشل، اختياراتي في الرجال سيئة، وفوق كل هذا السوء والغباء، هناك يدي المعيبة، التي تقف في طريق سعادتي وارتباطي!

في تلك اللحظات وأنا أسمع أمي تدافع عن حقها بأن تجرب حظها من جديد، شعرت بقلبي يلين، ويصرخ بي بأن أقف في صفها، لأول مرة في حياتي أشعر بالشفقة على أمي، إنها مسكينة، طلقت باكراً، وكرست حياتها لتربيتي ورعاية جدي، ما الذي تبقى لها الآن؟

جدي رحل، وأنا لن أتزوج، عليها أن تجد لحياتها معنى وهدفاً!

انتهى النقاش بين أمي وخالتي بالصراخ والخصام، خرجت خالتي وهي تتوعد أمي، وتؤكد لها أنها ستندم بعد فوات الأوان وبعد أن تكون مادة دسمة لسخرية الناس وحديثهم، طردتها أمي، وطلبت منها عدم العودة إلى بيتنا مرة أخرى..

أتت أمي لغرفتي كعاصفة هوجاء، اتهمتني بتحريض خالتي عليها فبكيت،

أخبرتها أنني خائفة عليها ولا أريدها أن تتأذى، صرخت بوجهي أنها كبيرة كفاية لتتخذ قراراتها، وأن زواجها من مسعود سيتم!

اسمه مسعود، الرجل الذي تحبه أمي!

ذهبت أزور أبي في اليوم التالي، كنت متوجعة، وجهي شاحب ذابل، وهالات سوداء واضحة تحت عيني..

جلست مع أبي وحدنا بعد الغداء، فسألني: ما بكِ؟

نظرت إليه وقلت وكأنني اتهمه لأنه فرط بأمي سابقاً: إنها أمي، ستتزوج!

كاد كوب الشاي في يده أن يقع على ملابسه، بدت الصدمة واضحة عليه، قال مستنكراً: تتزوج في هذا العمر؟

قلت بأسف: نعم، تقول أنها تريد تجربة حظها مرة أخرى، وأن هذا من حقها..

سكت أبي، ثم سألني بحذر: وأنتِ؟

قلت: وماذا عني؟ سأبقى معها ومع زوجها، لا حل آخر لدي..

تبادلت مع أبي نظرات صامتة لكنها أكثر ضجيجاً من أي الكلام، لم يكن يجرؤ على دعوتي للسكن عنده، كان من الأسهل عليه أن يتهرب من مسؤوليتي التي تركها خلفه طوال عمره، وأن يتركني أعيش مع رجل غريب عني، زوج أمي!

بدت تلك التسمية جديدة علي وغير مألوفة! لكن لا حل آخر!! علي أن أتقبل الوضع.. وأتكيف معه.. لا خيار لدي..

عرفتني أمي على مسعود في أحد المقاهي..

كان لقاء ضرورياً لأعرف الرجل الذي سيأخذ مني أمي في نهاية المطاف..

جلست معها في ذلك المقهى وأنا أتأملها كانت سعيدة متأنقة وقد ارتدت أجمل ثيابها وبالغت في زينتها..

أتى مسعود، إنه رجل عريض المنكبين، طويل القامة، وسيم جداً، والشيب واضح في فوديه، يبدو أنه في عمر أمي أو يصغرها قليلاً، كان أنيقاً، يليق به أن يكون مهندساً للديكور، بدت وظيفته مناسبة جداً له..

تنهدت.. جلس وقال بلهجته الشامية: كيفك شوق؟ سعيد كتير بشوفتك!

ابتسمت له بحذر، ولم أرتح له، كنت أخوض صراعاً نفسياً عنيفاً وكانت مشاعري متناقضة، كما أنني متوجسة من نواياه، فلم أستطع أن أكون لطيفة معه..

عرفت أن مسعود يعمل في مكتب متخصص بالديكور، صاحب المكتب كويتي، ويثق بمسعود ثقة عمياء، وحسب كلام زوج أمي المستقبلي كان هو الآمر الناهي في المكتب وأهم شخص فيه، فالزبائن يثقون به ويطلبونه بالاسم..

لم أعرف كيف تعرفت أمي بهذا الرجل، لم يجب أي منهما على هذا السؤال قط..

ظل موضوع تعارفهما سراً.. ويبدو أنه من الأفضل لي ألا أعرفه!

كانت أمي تنظر لمسعود بنظرات متيمة، كانت تتغنج في كلامها، بدت مضحكة بالنسبة لي..

كانت فرحة، وشعرت بمعدتي تنقلب وأنا أتخيلها زوجة لهذا الرجل الذي لا نعرفه!

تمنيت لو أنها تغير رأيها، لكنها كانت سعيدة، كانت تعيش حلماً ورديا رقيقاً، ولم أكن أعرف كيف أوقظها منه!

تحدد موعد زواج أمي بمسعود، ودون حفل طبعاً ودون معازيم أيضاً تم عقد القران..

وارتدت أمي الأبيض!

فستان زفاف بسيط وطرحة قصيرة..

كاد أن يغمى علي عندما رأيت أمي عروساً ترتدي ثوب الزفاف أمام عيني!!!!

لقد سبقتني وتزوجت قبلي!!!! ياللسخرية!!!!

وعلى أغنية هب السعد الشهيرة التي أصرت أمي على تشغيلها زُفت إلى زوجها الجديد!

وصار مسعود يسكن في غرفة أمي...

كنت غاضبة، ولم يكن هناك من أشاركه بمشاعري وغضبي.. أحسست أن الجميع تخلوا عني، حتى أختي جود عندما كلمتها لأشكو لها كانت مستعجلة وتستعد للسفر مع زوجها فلم تعطني الكثير من وقتها وتعاطفها.

اشتقت لوجود وليد في حياتي، كان رجلاً كبيراً ناضجاً، نظرت لهاتفي مترددة، أأتصل به؟

أم أنسحب كما أمرتني زوجته!!

لم علي أن أنصاع لأمرها!! كان وليد يملأ حياتي.. لم أتركه من أجل زوجته إن كنت لا أعتزم أصلاً أخذه منها!!

إنني فتاة وحيدة بلا أصدقاء، ووليد كان صديقي، ووجودي في عالمه لن يزعزع حياته المستقرة، لأن زوجته القوية تحكم قبضتها عليه وتعرف متى تتدخل لتعيده إليها قبل أن يفلت!

أريد أن أحادثه، أحتاج أن أحادثه، أريد أن أبثه همي وشكواي..

دخلت على الوتساب، وأرسلت له رسالة: أحتاج إليك.. أريد أن أتكلم مع شخص أثق به!

انتظرت لدقيقة، قرأ وليد رسالتي ورد على الفور: أنا موجود لأجلك دائماً عزيزتي..

كدت أبكي، شعرت براحة عميقة لأنه رحب بي، كتبت له: متى يمكنني الاتصال بك؟

كتب لي: دقائق واتصل بك..

كانت تلك الدقائق طويلة علي، لقد اشتقت له، شعرت بقلبي يدق بجنون وأنا بانتظاره، أكنت أحبه لهذا الحد دون أن أعرف؟ إنه الوحيد الذي فكرت به عندما شعرت باليأس..

الوحيد الذي لجأت إليه وقت خوفي وانكساري، الوحيد الذي لا تزال ذكراه حية بداخلي..

واتصل وليد، خفق قلبي بعنف ورددت على الفور، انساب صوته في أذني لينعش كل خلية في جسدي، ارتوت روحي وأنا أبكي وأحكي له عن زواج أمي.. تحدثت معه بأريحية، لم أخفِ عنه أي شيء، لم أخجل من تعرية أفكاري أمامه، كنت أستطيع أن أحكي له عن مشاعري الحقيقية دون أن أخاف حكمه علي، جميل أن يكون في حياتنا شخص نثق أنه لن يتغير إن عرفنا على حقيقتنا..

تحدثت مع وليد لأربع ساعات متواصلة، نصحني بالتكيف مع وضعي الجديد واحترام قرار أمي بالارتباط مهما كانت نظرتي لهذا القرار أو شعوري نحوه..

نصحني كرجل يعرف ما يقول، إنه دكتور، ويعمل في مجال تنمية الذات، ويعرف كيفية التعامل مع اختبارات الحياة..

أحب وليد..

صرت أعرف ذلك..

ولن أتركه.. وأخبرته بذلك صراحة فضحك..

أخبرني أن رهام اكتشفت علاقتي به، قال ضاحكا: تعرفني أكثر من نفسي، لقد فضحتني نظراتي لكِ!

غرت منها، لا أريدها أن تعرفه أكثر مني، ليته لي أنا، أستحق رجلاً مثله بعد كل عذابي، لكن علي أن أصبر، علي أن أقبل بالموجود، كي لا أخسره من جديد..

في تلك الفترة رزقت خالتي عنود بحفيد جديد، وأرسلت لي ولأمي دعوة هاتفية لحضور استقبال رغد بمناسبة قدوم مولودها الثاني...

كانت أمي محتارة، فقد تخاصمت مع خالتي منذ وقت طويل، قال مسعود: مهما يكن تظل عنود أختك ويجب أن تذهبي ليذوب الجليد بينكما!

لويت شفتي بقرف واضح.. إنه يتدخل في خصوصياتنا كما لو أنه يعرفنا منذ وقت طويل!

قلت ببرود: أنا سأذهب، أحب خالتي عنود ولن أكسر بخاطرها..

نظرت لي أمي بعتب، فلم أهتم، لقد ذهب عهد العتب وولى، وها هو زوجها الثقيل الظل يجلس معنا ويتدخل في أمورنا الخاصة بسببها!

كنت أكره مسعود ولا أطيق رؤيته، أكره كل شيء يتعلق به، أكره لهجته وطريقة كلامه، أكره تدليل أمي له وكأنه ابنها لا زوجها، وأكره محاولاته المستميتة لاستمالتي وإقناعي أنه يهتم لأمري ويريد أن يحسن علاقته بي..

ذهبت لاستقبال رغد وفرحت خالتي كثيراً لقدومي، همست لي: ألن تأتي أمك؟

هززت رأسي وأنا أقول: تعرفين طباعها..

زفرت خالتي بضيق: سامحها الله وهداها..

عدت بعدها بساعات لأجد أمي بانتظاري وهي تريد سماع كل تفاصيل لقائي بخالتي، ياه كم أكره المكابرة على المشاعر ومداراة الحنين خلف قناع الجفاء!

اضطررت للتحدث مع أمي عن تفاصيل الاستقبال، سألتني عشرات المرات: سألت عني خالتك؟

كدت أقسم لها على المصحف أنها فعلت! لا أعرف لم رفضت الحضور معي إن كان أمر خالتي يهمها إلى هذا الحد!

في الاسبوع التالي..

ذهبت لزيارة أبي بعد إلحاح منه، فقد كنت غاضبة منه هو أيضاً وأحمله مسؤولية زواج أمي وتركي معها في نفس البيت مع زوجها الغريب..

سألتني ريم قبل أن ينزل أبي من غرفته لرؤيتي: كيف حال أمك مع زوجها الجديد؟

نظرت إليها وفكرت أن أغيظها، كنت أتصرف بطريقة صبيانية بلا شك..

لا أعرف ما الذي حدث لي لأتصرف بهذا الشكل المخجل فقلت: إنها سعيدة جداً، زوجها وسيم ويدللها كثيراً لقد عوضها الله بعد أن أخذتِ أبي منها!

وجمت ريم فهي لم تتعود على أن أكلمها بهذا الاسلوب الوقح، كانت تلك المرة الأولى التي أوجه لها فيها اتهاماً صريحاً بأنها حرمتنا من أبي، أنا وأمي!

بدا الحزن على ريم وهي تقول: تزوجت من والدك بعد طلاقه من أمك، لم آخذه منها ولا منكِ، تعرفين ذلك شوق.. فلا تظلميني!

نزل أبي قبل أن أرد عليها، وقبل أن أرحل، شعرت بالذنب نحوها، فدخلت المطبخ خلفها واحتضنتها واعتذرت منها..

لم تؤذني ريم في حياتي، لم تزعجني قط ولم تسيء لي، كانت زوجة أب طيبة ومحترمة..

وقد شعرت بالندم لأنني كلمتها بهذه الطريقة وجرحت مشاعرها..

قالت لي ريم وأنا لا أزال في أحضانها: أعرف ما تحسين به، وأعرف أنك مستاءة بسبب زواج أمك، لكنه قرارها، وعليك قبوله واحترامه.. وفي يوم ما، ستجدين نصيبك أنتِ أيضاً وتتركينها..

قلت بيأس: لن يأتي هذا اليوم أبداً..

قالت بثقة: سيأتي.. وسأذكرك.. تستحقين الفرح يا شوق، فأنتِ فتاة طيبة..

في طريق عودتي مع السائق رنت تلك الكلمة في رأسي، أأنا حقاً فتاة طيبة؟

زفرت وأنا أتذكر تخبطي في الفترة الأخيرة، شعرت أنني لست طيبة على الإطلاق، خاصة وأنا أتذكر علاقتي بوليد..

وأخيراً، أشرق أمر إيجابي في حياتي..

لقد حدث أمر لم يكن في الحسبان في العمل، تمت ترقيتي كرئيسة قسم!

لم أصدق الخبر عندما بشرني به مديري!!!

صحيح أنني فتاة ملتزمة بالعمل وأقوم بالمطلوب مني على أكمل وجه، لكن ليس لدرجة أن أحظى برئاسة قسم كامل!!

كنت أعتبر نفسي أصغر من أن أكون رئيسة قسم، لكن الخبر كان سعيداً رغم كل شيء وكان علي أن أستعد لخوض هذه التجربة في حياتي.

فرح وليد من أجلي وفرحت أمي أيضاً فشعرت أنني حققت إنجازاً مهماً لم أكن أطمح إليه أو أتوقعه، أرسل لي فوزي رسالة تهنئة، كان يرسل لي الرسائل

في المناسبات الرسمية كالأعياد، وكنت أرد عليه دائماً بلطف فهو عزيز جداً على قلبي..

كما أرسل لي أيضاً باقة ورد كبيرة في أول يوم باشرت فيه العمل بمكتبي الجديد..

كنت رئيسة طيبة، لكني لا أتهاون بالتقصير، أقدر ظروف المرؤوسين وأحترمهم لكنني لم أكن أسمح لهم باستغلال طيبتي، نصحني وليد وعلمني الكثير في هذه المرحلة المهمة من حياتي العملية، علمني كيف أكون حازمة كي يحترمني الموظفين وبنفس الوقت علمني كيف أكسب ودهم كي يتعاونوا معي..

قال أن بيئة العمل الإيجابية هي التي تصنع الفرق، والرئيس الناجح هو الذي يعرف متى يستخدم الشدة ومتى يستخدم اللين..

كنت سعيدة في تلك الفترة من حياتي، اكتشفت أنني كفء لمنصبي الجديد، وصارت إنتاجية قسمي أكبر، وأشاد المدير العام بي في أكثر من مناسبة.

وزاد راتبي بعد الترقية ونصحتني أمي بالادخار لعلي أستطيع شراء عقار ما في يوم من الأيام، قالت أن العقار أفضل استثمار حيث يزيد ثمنه خلال فترة قصيرة، ابتسمت لأمي، إنها تحبني وتريد مصلحتي، أعرف ذلك جيداً..

وأنا أيضاً أحبها..

لم أكن أملك الكثير من المال لأنني صرفت الكثير على علاج يدي، لكنني قررت البدء بالادخار فعلاً تنفيذاً لنصيحة أمي..

علاقتي بزوج أمي بدأت تتحسن وتهدأ..

بدأت أعتاد على مسعود، وفي يوم ميلادي قدم لي هاتفاً نقالاً حديثاً كهدية، ففرحت كثيراً، لم لا أعطي هذا الرجل فرصة؟

لقد صار وجوده أمراً واقعاً في حياتي سواء أردت ذلك أم لا، من الأفضل إذن أن أحسن معاملته إكراماً لأمي، ولتصبح بيئة منزلنا إيجابية على رأي وليد..

وليد.. الشعاع الساطع في حياتي، الرجل الذي أتمنى أن يبقى لي ومعي..

الرجل الذي لا أريد منه شيئا سوى أن يبقى بقربي لينير عالمي ويهدىء من روعي..

كانت شخصيتي تتحسن بسببه، كان الناصح والمعلم والصديق الصدوق والحبيب الذي لا متطلبات له.. كان مستقراً في حياته وكنت راضية بحياتي..

صارت علاقتي بوليد راسخة، لكنها علاقة مختلفة عن أي علاقة حب، علاقة مريحة بلا التزامات أو توقعات، كنا راضيين بما لدينا، أحترم أنا حدودي ويحترم هو حدوده..

وكل منا سعيد بالآخر ويجد فيه ما ينقصه، ما الذي كان ينقص وليد؟

اللطف! نعم، لم تكن زوجته لطيفة، كانت قوية الشخصية، جافة حازمة، لم يكن يتحدث عنها كثيراً، لكنني استطعت معرفة ذلك من الحكايات القليلة التي حكاها لي عنها.

لقد وجد لدي الكثير من اللطف الذي يفتقده في حياته ووجدت أنا به الحنان الذي أفتقده في حياتي..

(33)

كنت في العمل عندما اتصلت بي ريم زوجة أبي..

استغربت اتصالها، فلم أكن أتحدث معها على الهاتف عادة..

أجبتها، فأخبرتني أن لديها عريساً لي!!!!

كانت تلك مفاجأة كبيرة!!

العريس الجديد اسمه عبدالله، وهو أحد أقرباء ريم، في أواخر الثلاثينات من عمره، يعمل محاسباً في مكتب كبير للمحاماة، مطلق بلا أولاد.. ويبحث عن فتاة صالحة طيبة ومسالمة فرشحتني له!

أخبرتني ريم أنها أرته صورتي، وأنه تحمس لرؤيتي على الطبيعة..

سألتها بحذر: أخبرته عن أمر يدي؟

قالت: نعم أخبرته..

قلت بسرعة: ما الذي قاله؟

قالت: طلب رؤيتك قبل أن يتقدم لك رسمياً، وبرأيي، لا مانع من أن تريه، أنتما كبار كفاية، أخبري أمك بالموضوع وأخبريني برأيكما لاحقاً لأرتب موعداً للقاء.

سرحت بأفكاري، ماذا عن وليد؟

تكدر صفوي، إنني أحب رجل آخر، لكنه رجل لن يتزوجني.. وأنا أعرف ذلك، فلم أضيع على نفسي فرصة الزواج وبناء عائلة؟ إنها فرصة لا تعوض،

مضى وقت طويل منذ تقدم لي أحد ويجب علي أن أفكر بعقلانية تامة بعيداً عن قلبي المتخبط في مساره!

عدت إلى المنزل، وطلبت من أمي أن نتحدث وحدنا! كان مسعود يجلس معها وقتها، فشعر بالإحراج وقام لينسحب، فقلت له بلطف: آسفة جداً، لكنه أمر خاص بي!

ابتسم لي وهز رأسه متفهماً: لا عليك، خذي راحتك مع أمك..

تنهدت، إنه محترم.. لقد بدأت أقدر هذا الرجل..

وأخبرت أمي عن العريس المفاجأة..

كانت المفاجأة الأكبر في نظر أمي أن ريم هي التي سعت لهذا الزواج..

قالت وهي مرتبكة: لابد أنها تريد أن تكفر عن ذنبها تجاهي بتزويجك!

هكذا هي أمي، ترى كل شيء من زاويتها الخاصة..

وافقت أمي بالطبع على أن ألتقي بالعريس بحضور ريم بما أنه قريب لها..

تحول موقفها تجاه زوجة أبي إلى موقف سلمي محايد بعد أن كانت تكرهها بشدة، بدت مستعدة لأن تغفر لها بما أنها صارت تسعى لتزويجي..

قالت أمي: يجب أن تكوني جميلة وأن تهتمي بطلتك، أخبريه أن يدك بحال جيدة، لا تفسدي الأمور معه، وافقي على كل ما يقوله لتذهبي في نصيبك، لا تطلبي منه شيئاً قبل الزواج، تزوجي أولاً ثم اطلبي ما شئت وأعيدي تشكيل زوجك وتعويده على ما تريدين.. كوني مرنة جداً وأعطيه الإجابات التي يريد سماعها، كوني ذكية!

عشرات النصائح الغير معقولة نطقت بها أمي!

كانت متحمسة لهذا العريس لدرجة أنها لم تستطع النوم ليلتها وهي تلهج بالدعاء لتتم هذه الزيجة على خير..

واحترت بأمري، هل أخبر وليد أنني سألتقي برجل يريد خطبتي؟

ولم أخبره؟ إنه يعيش حياته مع زوجته، ومن غير المعقول أن أظل أنا وحدي من أجله!

كنت أحبه، لكنه حب عاقل، لأن وليد أساساً رجل عاقل، صرت مستعدة للزواج من غيره، وكان العريس الجديد فرصة كبيرة بالنسبة لي.. لكن هناك صوت بداخلي يزعجني ويخبرني أن علي مصارحة وليد بالموضوع.

وأخبرته.. قلت له كل شيء.. فصمت.. شعرت أنه يعاني، كان يصارع نفسه فمن ناحية كانت هناك مشاعره نحوي ومن ناحية أخرى كانت هناك حياته الكاملة مع غيري..

من الأنانية أن يطلب مني البقاء طيلة عمري بانتظاره!

بل إنني في الحقيقة لست بانتظاره فهو لم يعدني بشيء ولم يطلب مني أي شيء!

قلت لوليد: لم أتوقع أن يتقدم لي عريساً، لكنها فرصة، ومن يدري قد لا أروق له، فأبقى معك!

كانت تلك الجملة أغبى ما قلته في حياتي على الإطلاق!

ضحك وليد بشدة: أنتِ طيبة..

ضحكت وقلت: أنا غبية!

صمت حبيبي لبرهة وهو يفكر، شعرت بالحزن لأنني سأكون لغيره وسأحرم حديثه وضحكته..

قال أخيراً: محظوظ من سيحصل عليكِ في النهاية..

تنهدت: لم أرد أن أخفي عنك شيئاً كهذا، لذا قررت مصارحتك..

قال وليد: شكراً على صراحتك، أقدر لكِ ذلك..

في تلك الليلة تحدثنا لمدة أطول من المعتاد، وكأننا نودع بعضنا، كان للحزن حضوراً قوياً بيننا، شعرت أن وليد يعاني وقد آلمني هذا الشعور، كنت مرتاحة معه، وأحبه، لكنه ليس لي ولن يكون، وفي نفس الوقت اكتشفت أنه يحبني أكثر مما كنت أتوقع، بدليل هذا الانكسار الكبير في صوته وهو يحدثني.

(34)

كانت أمي تنتظرني والبخور في يدها لتبخرني قبل أن أذهب للقائي الأول بعبدالله مع ريم..

ارتديت يومهاً بنطالاً أبيض اللون مع حذاء أبيض، وقميص أخضر مع حزام أنيق يظهر صغر خصري..

أحببت طلتي يومها وتركت شعري متماوجاً خلف ظهري بعد أن رفعت بعض خصلاته من على الجانبين وتزينت بعناية شديدة..

بدوت جميلة راقية، نظرت لي أمي وهي سعيدة وقالت: سيجن عندما يراك، مجنون من يرفض كل هذا الجمال..

كدت أرفع لها يدي لأذكرها، لكنني أشفقت عليها وعلى نفسي!

يجب أن أتفاءل، إنه حدث إيجابي في حياتي ومن يدري قد يكون هو النصيب الموعود.

بخرتني أمي وهي تقرأ علي المعوذات، ثم دعت الله أن يحفظني من الحسد ومن عين ريم بالذات فضحكت: صرتِ كثيرة النسيان! أنسيتِ أنها من أحضرت لي العريس!

قالت أمي: ولو، هذه المرأة حسودة بطبعها!

لم أعلق!

خرجت من البيت، وركبت مع السائق لمنزل أبي حيث سألتقي ريم وأركب

معها سيارتها حسب تدبير أمي لأنها لا تريد لريم أن تقترب من بيتنا فلربما وضعت لنا سحراً أو ما شابه!

كانت ريم بانتظاري بسيارتها عندما وصلت، ركبت معها، وابتسمت لها بامتنان، لقد سعت لأجلي وذلك أمر أقدره فعلاً..

تحدثنا طوال الطريق عن العريس المرتقب، أخبرتني أنه من أسرة طيبة، أمه كبيرة في السن ومقعدة، ووالده متوفي منذ عدة أعوام، لديه أخت واحدة وأخ واحد..

قالت ريم: ستأتي أخته معه لرؤيتك..

فارتبكت، ضحكت ريم: لا تخافي، أخته طيبة، وفي عمرك تقريباً..

سألتها: أهي متزوجة؟

ردت: نعم، ولديها ثلاثة أطفال.

سرحت بفكري بعيداً، فمن هن في عمري متزوجات غالباً ولديهن أطفال.. دعوت بداخلي: يارب، وفقني هذه المرة، علني أرزق بطفل واحد على الأقل!

كنت أحب أن أكون أماً، أماً لبنت بالتحديد، سألبسها أجمل الفساتين، ستكون دائماً أنيقة كدمية، وسأشتري لها كل ما تريد، ستكون ابنتي مضرب المثل بالجمال والأناقة منذ نعومة أظافرها..

وصلنا لمكان اللقاء، كان المطعم المتفق عليه ذو نوافذ كبيرة تطل على البحر، أحببت المكان، ولم أكن قد زرته من قبل..

دخلت مع ريم.. كانت الطاولة المحجوزة باسم عبدالله لأربعة أشخاص

وكان هو وأخته هدى بانتظارنا..

وقف عبدالله للترحيب بنا ثم وقفت هدى وهي تصافحنا..

كان قصير القامة، يكاد يقاربني بالطول، ولو أنني ارتديت حذاء ذا كعب أطول لبدوت أطول منه بالتأكيد، لم يكن وسيماً قط، كانت عيناه متقاربتان بشكل ملفت، أنفه طويل بعض الشيء وشفتاه مكتنزتان، كان يرتدي نظارة طبية، وشعره الخفيف في طريقه للانقراض..

كانت أخته تشبهه إلى حد كبير، إلا أنها لطيفة جداً وخفيفة الظل، أحببتها منذ رأيت ابتسامتها، كانت روحها الطيبة تنعكس على وجهها بوضوح.

بدأ من حولي التحدث بأمور عامة تخص الطقس وما شابه..

كنت أسترق النظر لعبدالله وأنا أندب حظي..

ليته كان أكثر وسامة..

وملابسه.. إنها تبدو قديمة، وكأنه قد خرج من فيلم سينمائي قديم، بنطال بلون السكر وقميص بلون الكركم، لقد آذى لون قميصه عيني بشدة!

انسجمت ريم بالحديث مع هدى، والتفت لي عبدالله الذي كنت أجلس أمامه ليتحدث معي فاستطعت أن أحدق به بشكل أسهل..

قال: كيف حالكِ شوق؟ ما أخبار الحياة معكِ؟

لم أعرف كيف أرد على سؤاله الشائك، وياله من سؤال!

قلت ببساطة: بخير!

وصمت.. لم أسترسل بالإجابة، لم أستطع صدقوني!

قال: حدثيني عن عملك.. هواياتك، وعن الأشياء التي تحبينها..

سألته: مثل ماذا؟

قال بسرعة وكأنه قد حضر كل الأسئلة التي يريد طرحها علي: الألوان التي تحبينها، أصناف الأكل، تحبين السفر أم لا؟ كل شيء عنك أريد أن أعرفه.. مهلاً، ماهو برجك؟

وكان هذا آخر ما ينقصني، لم أكن أؤمن بالأبراج، ولم أكن أصدقها، لكن عبدالله كان خبيراً بالأبراج.. ويصدق كل ما يقال عن صفات أصحابها..

خضنا نقاشنا الأول عن الأبراج ومصداقيتها..

كان نقاشاً سخيفاً بالنسبة لي، ومهماً بالنسبة له، لاحظت أنه يقوم بحركة لا إرادية عندما ينفعل، إنه يرمش بعينه بتكرار.. ولأنه كان يفعل ذلك، أحسست أنني صرت أرمش بعيني أنا أيضاً أثناء حديثي معه..

وصل الطعام، شرب عبدالله الشوربة مصدراً صوتاً مقززاً فوجهت له أخته ملاحظة بخصوص ذلك وهي تتظاهر بالطرافة، فقال على الفور: أشربها هكذا لأنها ساخنة..

لم يعجبني هذا الرجل، لم يرق لي، إنه ضحل التفكير، ثقيل الظل.. إنه لا يطاق.. لكن علي أن أعطيه فرصة، لأجل مستقبلي ومن أجل أمي، ومن أجل أن تصبح لي ابنة في يوم ما، لكن ابنة هذا والدها؟ كيف ستكون هذه الابنة!

تخيلت ابنتي تشرب الشوربة مثله وترتدي نظارة كبيرة فوق عينيها المتقاربتين فنفرت من الفكرة ورمشت بعيني!

لاحظت ريم أنني مصدومة فأرسلت لي على الوتساب رسالة قرأتها

بصمت: لا تستعجلي بالحكم عليه، أعطه فرصة..

تنهدت ونظرت نحوها وأومأت برأسي موافقة وكأنني أطمئنها..

كانت تريدني أن أتزوج، كانت تريد مصلحتي، لكن ما الجدوى من الزواج من رجل لا أستسيغه!

هل يجب علينا الزواج أياً كان النصيب؟ أم علينا أن ننتظر قدوم الشخص المناسب؟

وهل سيأتي الشخص المناسب فعلاً؟

ماذا إن لم يأتِ؟ خاصة لفتاة في مثل وضعي..

أزعجتني أفكاري أكثر مما أزعجني هذا العريس.. ودون أن أفكر وجدت نفسي أحاول أن أنفره مني..

قلت لعبدالله فجأة: أنا لا أقود السيارة، يدي لا تساعدني!

ورفعت يدي أمامه وقد تركتها متراخية وكأنها خرقة بالية، حدق هو في يدي لبرهة، كنت أنظر في عينيه وكأنني أريد أن أنومه مغناطيسياً ليقول أنه لا يريدني..

بدا عليه الغباء وكأنه لا يستوعب ما أقوله، حدقت في عينيه باشمئزاز، نفرت من هذا الرجل كما لم أنفر من أحد في حياتي..

أكان شكله الخارجي السبب أم ماذا؟ لم كرهت هذا الرجل لهذا الحد؟

التفت لأعرف الجواب، كان وليد يدخل المطعم، رأيته يتجه لطاولة مقابلة لنا ليجلس وهو ينظر لي ويبتسم!

شلتني الصدمة وفغرت فمي بدهشة!

صحيح أنني اخبرته عن مكان اللقاء، لكنني لم أتصور قط أنه سيأتي!

ما موقعه من الإعراب ولم هو هنا الآن!!!

مكتبة
t.me/t_pdf

غريب هو تصرفه!!!

ابتسم لي وليد.. جلس أمامي فارتبكت، لانت نظراتي لعبدالله وكأنني أعتذر منه لأنني لست بالبراءة التي يظنها، فخلف نظرات البراءة في عيني، كان هناك الكثير من الشقاوة!

ابتسمت خلسة لوليد.. وصلتني رسالته على هاتفي، كتب لي: أتيت لأختبر نفسي، أأستطيع أن أتحمل رؤيتكِ مع رجل آخر!

نظرت إليه برجاء وكأنني أطلب منه إنقاذي وأنا بالكاد أستطيع أن أكتم ابتسامتي، وكلمات عبدالله الذي كان يحكي لنا عن حادثة مملة حصلت معه في السفر تبدو وكأنها آتية من مكان بعيد عني رغم أنه يجلس بشحمه ولحمه أمامي..

الحمدلله أننا لم نكن وحدنا، فقد أظهرت ريم وأخته الاهتمام اللازم في حين كنت أنا مشغولة مع هاتفي وحبيبي الذي يجلس أمامي..

كتبت لوليد: وماذا اكتشفت؟ أتستطيع التحمل؟

كتب لي: لا.. لن أقدر..

كتبت له: إذن؟

كتب لي: لن تكوني لغيري!

كتبت له:؟؟؟

كتب لي: سأتزوجك!!!!

رقص قلبي طرباً، لم أعد مضطرة لتحمل هذه المسرحية..

قمت واقفة فجأة دون أن أراعي الأصول وأنا أقول لريم: أريد العودة للبيت الآن!

نظرت لي ريم بحرج، وقد عرف عبدالله وأخته رأيي بهذا الزواج مقدماً...

(35)

لم تكن أمي تتوقع في حياتها أنها سترى ابنتها الوحيدة تتزوج بالسر!

خاصة وهي التي حلمت طويلاً بهذا اليوم وانتظرته منذ ولادتي!

فأنا أكثر من تعرف مدى رغبتها بأن تراني عروس، لكنها بالتأكيد لم تتخيل أبداً أنني سأتزوج من رجل متزوج، أكبر مني بكثير، وبالسر!

كانت أمي مرتبكة يوم زفافي، نظرت لي بثوبي الأبيض ووجهها خالٍ من التعابير، لم تكن موافقة على زواجي من وليد، حذرتني كثيراً من أن أصبح زوجة ثانية، حاولت إقناعي بقبول عبدالله، قالت إنه سيكون لي وحدي حتى إن لم أكن أحبه أو أطيقه!

لم أقتنع بكلامها ولا حتى بكلام أبي وهو يخبرني أنه لن يقف في طريق سعادتي لكنه يخلي مسؤوليته من هذا الزواج وعلي تحمل تبعته وحدي إن فشلت!

لم يخبر وليد الدكتورة رهام أنه ينوي الزواج عليها، وكيف يفعل؟ إنه لا يجرؤ!

لكنه يحبني، أنا متأكدة من ذلك..

كان شرطه الوحيد لزواجنا أن يكون سرياً، استأجر لي شقة قريبة من منزل أمي، شقة في منزل وليس في عمارة زيادة بالحرص وكي لا نكون معرضين للقاء المزيد من الناس..

بدوت جميلة في الأبيض، كان ثوبي مبهرجاً بعض الشيء، أعترف بذلك،

لكنني اخترته لأنني أردت أن أبدو مميزة، ألا يكفي أنني أتزوج بلا حفل؟ ليكن الثوب حفلي إذن!

كنت سعيدة لأنني سأتزوج وليد تحديداً، لقد أرضى تعلقه بي غروري، كنت مخطئة بشأنه ولم أتصور أنه يحبني لهذا الحد..

إنه رجل مشهور وله اسم وثقل في المجتمع، كما أنه رجل عاقل ومتزن، يكفي أنه اختارني وهو الذي يرى كثيرات حوله.

أمر آخر كان يدور في عقلي، كنت أشعر ببعض الشماتة بزوجته، تلك المتعجرفة التي طردتني من المركز وأحرجتني..

صحيح أنها كانت تدافع عن زوجها.. لكنني كرهت فيها صلفها وغرورها..

لم أكن أعرف الطريقة التي تعامل بها وليد، فحياته معها ظلت غامضة وكان يحرص على عدم الحديث عنها احتراماً لخصوصية علاقتهما، وهو أمر أقدره له وأحترمه.

يكفيني من وليد النصف، يكفيني منه اللقاءات التي لا موعد لها.. يكفيني أن أظل بانتظاره حتى لو طال هذا الانتظار..

أخبرت زميلاتي بالعمل أنني خطبت، ولم أفصح عن اسم خطيبي، وبالحقيقة لم يبدو عليهن أنهن مهتمات بمعرفة التفاصيل، وعندما سألتني إحداهن عن اسمه أخبرتها أنني لا أستطيع الإعلان عن ذلك الآن لظروف خاصة، فلوت شفيتيها بلا مبالاة!

أختي جود كانت سعيدة من أجلي، لكنها كانت تحذرني من الوقوع

بالأخطاء الجسيمة التي وقعت فيها عندما كانت متزوجة من رجل متزوج بالسر، قالت بجدية لا تناسبها: إياك والحمل، سيكون حملك إن حدث نهاية لكل شيء بينكما!

كنت أفهم مقصد أختي ووليد أخبرني منذ البداية أنه لا يريد أولاداً مني.. ورغم أنني كنت أحلم بإنجاب بنت، إلا أنني لم أعترض على أمل أن يغير رأيه في يوم من الأيام.

حضرت خالتي عنود عقد قراني، وكذلك حضرت جود وزوجة أبي ريم لأنني أصريت على دعوتها ولله الحمد لم تتشاجر معها أمي ولم يحصل ما يعكر صفوي في ليلة عمري..

وأخيراً وبعد طول انتظار صدحت أغنية هب السعد هذه المرة من أجلي بعد أن سمعتها في جميع الأعراس التي حضرتها وأنا عازبة في انتظار النصيب.

وتزوجت.. وانتقلت أخيراً من خانة الآنسات إلى خانة السيدات..

وبدأت حياتي الجديدة..

كان وليد يعاملني كطفلة، كان يدللني ويغمرني بعطفه وحنانه..

كان سخياً معي..

اشترى لي الكثير من الكماليات التي لم أعتد عليها ولم أطلبها منه..

كنت سعيدة معه..

وكلما مر الوقت، كانت تلك السعادة تترسخ أكثر فأكثر..

أحببت وليد أكثر بعد أن صار زوجي..

صرت أعرف الكثير عن طباعه وعاداته..

فرشة أسنانه يغيرها شهرياً لأنه يكرهها عندما تبدأ بالتشعث..

يحب العطور العربية ويكره العطور الفرنسية بأنواعها وهو أمر لم أعرفه عنه قبل الزواج..

لم يكن وليد يتناول وجبة الفطور، كان يكتفي بفنجان من القهوة التركية الثقيلة..

وكان يتناول غداءه باكراً في حوالي الثانية عشرة ظهراً وعادة يكون غداءه سلطة أو ساندويش صغير، أما العشاء فكان يتناوله في السابعة مساء وهو وجبته الرئيسية..

يقول أن هذا النظام هو الوحيد المناسب له كي يحافظ على وزنه..

لم أكن أطيق نظامه في الأكل، لكنني كنت أحرص على أن أطبخ له العشاء بنفسي، فقد كان يتناوله معي في أغلب الأيام..

لم يكن وليد يبيت عندي، حتى عندما سافرت زوجته لحضور مؤتمر، فضل المبيت في منزله كي لا يشعر أولاده بشيء..

كان يحسب حساباً كبيراً لأسرته لكنه يعرف حجم تضحيتي لأجله أيضاً، كنت زوجة بالخفاء ولم أكن أعترض قط على نصيبي منه، فلم أتذمر من وضعي أبداً، ولم أتشاجر معه يوماً أو أسبب له المشاكل.

كنت سعيدة أنني تزوجت فأردت أن أحافظ على هذا الزواج مهما كلف الأمر..

أردت بقاء وليد في حياتي لآخر يوم في عمري، إنه الرجل الذي أنقذني وحقق حلم أمي بأن تراني وأنا أرتدي الأبيض لتطمئن علي..

لكن أمي لم تكن مطمئنة، كانت خائفة على مصيري، تخاف أن أكون مجرد نزوة في حياة وليد، نزوة ستنتهي إن عرفت زوجته، كنت أقول لها: وكيف ستعرف؟

كانت تنفعل وهي ترد على سؤالي: لا شيء يبقى سراً إلى الأبد، زواجك من زوجها أمر قائم وسيأتي يوم تشك فيه بسلوك زوجها وتعرف الحقيقة، وعندما تعرفها قد يطلقك وليد من أجلها خاصة أن لا شيء يربطه بك..

قلت بانفعال: تقصدين الأولاد؟

أكدت: ليس الأولاد فقط، حياته كلها مرتبطة بزوجته الأولى، أولاده وبيته وعمله، أما أنتِ فمجرد فتاة مسكينة أخفاها عن الناس.. فكري قليلاً شوق، أيحبك هذا الرجل كفاية أم لا؟

لم أكن أسمح لأمي بأن تشكك بحب وليد لي، ولم أكن أريدها أن تفسد سعادتي معه..

كنت مرتاحة مكتفية بما لدي، أعيش حاضري دون أن أشغل بالي بالمستقبل، كنت أقول لأمي: لنترك المستقبل إلى أن يحين وقته ولنعش الآن، أريد أن أفرح وأبتهج، لقد تزوجت وهذا ما تمنيته لي فافرحي أرجوكِ ولا تقلقي.

غريب أمر البعض، يحل مشكلة تتعبه فلا يهدأ بل يبحث لنفسه عن مشكلة جديدة يعيش في دوامتها!

كأنهم يستكثرون راحة البال على أنفسهم..

وكأنهم يتنفسون الأسى ولا يستطيعون الإستغناء عن خلق المعضلات والمشاكل.

مر عام على زواجي من وليد، وفي عيد زواجنا الأول أهداني ساعة فخمة من ماركة مشهورة، كانت الساعة جميلة جداً، أحببتها كثيراً، لم أكن أملك شيئاً بهذه القيمة من قبل لكن ما أسعدني أكثر بغض النظر عن قيمتها المادية أن وليد اشتراها لي على ذوقه الذي يعجبني.

أتى وليد بعد مرور شهر على عيد زواجنا وفاجأني: سنسافر معاً..

وكدت أطير من الفرحة!!

لم أكن أتخيل أنه من الممكن أن نسافر معاً.. خاصة أنه حريص على إخفاء أمر زواجنا..

أخبرني وليد أنه سيذهب لتقديم دورة تدريبية في مصر، كانت الدروة تستغرق خمسة أيام قال وليد وهو يبتسم: نسافر اسبوعاً، صحيح أنني سأنشغل عنكِ بأوقات الدورة، لكنني سأكون لك طوال المساء.

كنت سعيدة جداً لأنني سأذهب معه..

لم يكن يهمني إن كان سينشغل عني، المهم أنه سيأخذني معه.. الفكرة وحدها كانت تسعدني.

تجهم وجهي قليلاً عندما أخبرني أننا لن نسافر معاً بنفس الطائرة زيادة في الحرص والحذر!

قال وهو يبتسم ليرشوني كي لا أغضب: يجب أن ننتبه..

كانت خطته أن يسافر قبلي، ويحجز لنا غرفتين منفصلتين بنفس الفندق وبنفس الطابق، لكننا سنعيش معاً طبعاً، لكن التمويه مهم في حالات كهذه!

شعرت وقتها بالضيق، لم أكن معتادة على السفر، كنت أخاف المطارات، أخاف الغربة والتعامل مع أشخاص لا أعرفهم.

كنت خائفة، كما لو أنني سأتوه.. كنت خائفة فعلاً لدرجة أنني اقترحت عليه إلغاء فكرة السفر برمتها لكنه أصر على ما يريد.

ولولت أمي وندبت حظي وحظها كالعادة: يعاملك كما لو كنتِ نكرة! كما لو كنتِ عشيقة لا زوجة! ما هذا الكلام الفارغ! يحجز لكما غرفاً منفصلة ويسافر كل منكما وحده! ماذا لو حصل لكِ شيء أو اختطفك أحد! ماذا لو وقعت بكِ الطائرة!

ضحكت وأنا أحاول أن أخفف من توترها وتوتري أنا أيضاً: لن تقع الطائرة إن شاءالله..

وفجأة بكت أمي..

وصدمني بكاءها!!!

قالت لتصدمني أكثر بطريقة تفكيرها: لقد انتصرت علي أختي عنود، زوجت ولدها بعرس كبير وأصبح لديها عدة أحفاد، وأنا زوجتك بالسر رغماً عني ولن أرى أحفادي أبداً بسبب زوجكِ الأناني، ليتك سمعتِ نصيحتي وتزوجت عبدالله، لكنتِ الآن حاملاً على الأقل!

لم أجد رداً مناسباً، ولم أكن أملك الطاقة اللازمة لأرد.. تنهدت وأنا أتمنى لو تنشق الأرض وتبتلعني لأرتاح من كل هذا الشقاء!

(36)

وصلت إلى القاهرة، وأتى السائق الذي أرسله وليد ليقلني من المطار وهو يحمل لافتة عليها اسمي.

ركبت معه بهدوء، فلم يبادلني الحديث، لابد أن وليد اختار هذا السائق بالذات لأنه كتوم قليل الكلام، خاصة وأن كل ما يخص زواجنا من الأفضل أن يكون في طي الكتمان!

كنت منزعجة لأنني سافرت إليه بهذه الطريقة، لكنني كنت أحاول تهدئة نفسي وإقناعها بأن حالي أفضل من غيري وعلي أن أقبل بالموجود لتسير بي سفينة الزواج.

كان الفندق الفخم الذي سنسكن فيه جميل جداً ويقع بمكان استراتيجي، تحدث السائق الصامت معي أخيراً وهو يقول أن الدكتور وليد كلفه بأن يكون في خدمتي طوال فترة إقامتي في مصر، وأعطاني رقم هاتفه النقال..

دخلت الفندق فلم أجد وليد بانتظاري فازداد غيظي، تقدمت من مكتب الاستقبال لأسأل عن الغرفة المحجوزة باسمي، أعطتني الموظفة المفتاح بعد بعض الإجراءات البسيطة.

وصلت لغرفتي في الدور الرابع، فتحت الباب ودخلت، شعرت بقلبي يخفق، شعرت بالإثارة لوجودي في الفندق، ابتسمت رغماً عني، كانت الغرفة جميلة بأثاثها المريح وألوانها الهادئة، نظرت للحمام، ابتسمت كطفلة لعلب الشامبو الصغيرة الموضوعة بجوار البانيو.. فكرت أنني سأخفيها في حقيبتي

كل يوم ليضعوا لي بدلاً منها، أريد أن آخذها معي للكويت...

سآخذ كل ما أستطيع أخذه من الفندق للذكرى..

سمعت طرقات متناسقة على بابي، سألت: من؟

أتاني صوت رجل: خدمة الغرف سيدتي!

فتحت الباب، فاندفع وليد ليحتضنني وأنا أضحك..

كنت غاضبة منه، لكنني لم أستطع أن أستمر بغضبي، تلاشت كل المشاعر السلبية بداخلي ولم يبقى سوى الحب لأستقبله به..

شعرت كم أحبه وأنا أضع رأسي على كتفه، وأحسست بالسعادة لأنني مسافرة معه.. يجب أن أكتفي بما لدي، أنا في نعمة كبيرة، ولأيام قليلة، فعلي انتهازها..

في يومي الأول في القاهرة بات وليد في غرفتي بعد أن تناولنا عشاءنا معاً..

وفي صباح اليوم التالي رحل لغرفته ليستعد للدورة التي سيقدمها..

أعطاني هاتفاً بخط محلي سجل به رقم السائق مجدي، قال بلطف: اذهبي للتسوق، أراكِ مساءً بعد أن أنتهي من عملي..

ابتسمت له، تمنيت أن أحضر الدورة التي يقدمها لكنني أريد استكشاف القاهرة التي لم أزرها من قبل.

همس لي قبل أن يخرج: كرت الفيزا تحت أمرك، وضعته لك قرب السرير..

تعلقت برقبته بسعادة.. ليس لأنه أعطاني المال، فلم أكن قط امرأة تهمها الماديات، لقد فرحت لأنني شعرت بأنه مسؤول عني.. هذا الشعور بالذات

أسعدني بشدة.

أخذني مجدي للتسوق في أحد المجمعات الكبيرة، كنت مبتهجة، شعرت أنني كبيرة، وأنني مستقلة، اشتريت حقيبة أنيقة لأمي من مالي الخاص، لم أستخدم كرت وليد، لم يكن عليه أن يدفع ثمن هدية أمي..

دخلت محلاً آخر، فأعجبني ثوب من الدانتيل الأسود، فأخبرت البائعة أنني أريد أن أجربه.

وقفت في غرفة القياس وأنا أحاول جاهدة أن أغلق أزرار الثوب وحدي فلم تساعدني يدي، فطلبت من البائعة المساعدة، نظرت لي البائعة بإعجاب وأحضرت لي حذاء بكعب عال لأرتديه..

نظرت لنفسي في ذلك الثوب الجميل، كان يليق بي تماماً وكأنه صنع من أجلي..

نظرت لجسدي المتسق، خصري النحيل، وساقي المتناسقتين.. لدي قوام رائع أحسد عليه..

قالت البائعة: أتسمحين أن أقترح عليكِ شيئاً؟

قلت مبتسمة وأنا لازلت مذهولة بجمال طلتي: ماذا؟

ذهبت قليلاً وعادت تحمل عقداً من اللؤلؤ وألبستي العقد الناعم فازددت جمالاً وتألقاً..

قالت البائعة: أتعرفين، هذه القطعة الأخيرة من هذا العقد، كنت أتمنى أن تحصل عليها فتاة جميلة مثلك لترتديها مع هذا الثوب بالذات..

ابتسمت للطفها، واشتريت الثوب والعقد معاً.. وطلبت منها مساعدتي لاختيار حذاء مناسب..

كنت سعيدة رغم أنني وحدي، تناولت غدائي في مطعم إيطالي، كانت الباستا جيدة، والبيتزا لذيذة جداً.. أخذت ما تبقى من طعامي ومنحته لأحد عمال النظافة مع ورقة نقدية، فشكرني بحرارة فازدادت سعادتي..

وصلت للفندق قبل المساء، أخذت حماماً وغسلت شعري وصففته، خطرت لي فكرة مجنونة ماذا لو قصصت شعري؟

بدأت أقتنع بالفكرة وأخذت أتخيل نفسي بشعر قصير جداً..

أريد أن أبدو مثل سعاد حسني..

قلت لنفسي ضاحكة..

فحتي لو لم تلق بي قصة الشعر القصير فلا مشكلة، سيطول شعري.. وستكون تجربة جديدة..

اتصلت بموظفة الاستقبال وسألتها عن أقرب صالون من هنا، ففاجأتني وهي تخبرني أن هناك صالون في الفندق نفسه!

جن جنوني، أريد أن أقص شعري، لكن هل سيعجب وليد؟

ضحكت وأنا أتخيل ردة فعله وهو يراني في قصة سعاد حسني..

أتى وليد لرؤيتي في الثامنة مساء، كنت سعيدة جداً وكأنني قضيت اليوم كله معه..

حكيت له عن يومي بإسهاب، ولم أخبره عن فكرة قصي لشعري..

قال لي وهو يبتسم: ارتدي الثوب الذي أشتريته، أريد أن أراه عليكِ.

امتثلت لأمره، دخلت الحمام وارتديت ثوبي الجديد، وضعت الحذاء في قدمي ولم أنسى عقد اللؤلؤ أيضاً..

لونت شفتي بالطلاء... نثرت شعري الطويل على كتفي، بدوت جميلة مشرقة، ابتسمت لنفسي بالمرآة، لكني لم أستطع إقفال الثوب من الخلف فتركته مفتوحاً..

خرجت لزوجي، وقفت أمامه، ابتسم لي ابتسامة كبيرة، قام ووقف أمامي، نظر في عيني وقال: جمال كهذا يجب ألا يختبئ..

ابتسمت له فقال: غدا ترتدين هذا الثوب، ونلتقي على العشاء في مطعم الفندق..

فرحت، إنها المرة الأولى التي يدعوني فيها للخروج معه..

سألته: متأكد؟

أومأ برأسه: جداً..

ضحكت وأنا أريه ظهري: قبل أن تنزل لانتظاري يجب أن تمر لتغلق لي الثوب، يدي لا تساعدني!

ضحك معي، وضمني إلى قلبه بحنان..

(37)

لم أقص شعري، خفت أن أندم، ترددت رغم أنني ذهبت للصالون وجلست تحت يد مصففة الشعر التي بدت مترددة أكثر مني..

قمت من الكرسي وقد ألغيت الفكرة وأنا أنظر للمقص في يدها، لن أسمح لذلك المقص اللامع بحرماني من تاج أنوثتي واجتثاث خصلات شعري الجميلة..

قالت المصففة: هناك وجوه لا يصلح لها الشعر القصير، احتفظي بشعرك الطويل لأنه يلائمك..

أيدتها على الفور وهربت من مقصها..

سرحت شعري وحدي في المساء، وضعت مكياجي بعناية، طرق وليد بابي ليغلق لي الثوب ضاحكاً وهو يمتدح طلتي المبدئية، قال وهو ينظر لي بحب: أراكِ في المطعم، ستبدين كأميرة.. وسينظر الجميع نحوك..

فرحت بكلامه، أعطاني جرعة من الثقة، لم ينتظرني لننزل معاً، قال أنه يحب أن يراني أدخل إليه وكأننا في موعد غرامي..

كنا نعيش مشاعراً حرمنا منها، مشاعراً لم نكن لنجربها لو كنا في بلدنا..

لكننا هنا في أمان.. في الغربة، حيث لا يعرفنا أحد ولن يشي بنا أحد..

بعد نصف ساعة أخرى صرت جاهزة للقاء وليد، ابتسمت لنفسي في المرآة، كنت جميلة وعيني تلمعان بحبي وسعادتي وحماسي، أمسكت بحقيبة يد صغيرة تصلح للسهرة الجميلة المقبلة..

تعطرت بالعطر الذي يحبه وليد، وخرجت من غرفتي وكأنني أخطو فوق السحاب..

كنت أبتسم للجميع، وكأنني أريد أن أخبرهم عن حجم سعادتي..

ابتسم لي رجل مسن في المصعد، رأيت نفسي في عمره، تخيلت أن أكبر وأشيب مع وليد..

سيكون سندي في شيخوختي ولأول مرة شعرت أنني أستطيع تفهم سبب زواج أمي من مسعود، وحمدت الله أنها وجدت رجلاً مناسباً، وعاهدت نفسي أن أحسن معاملته بعد أن أعود وأن لا أسيء إليه أبداً أو أضايقه.

وصلت للمطعم، ودخلت، رأيت وليد ينظر نحوي، كنت مشغولة به لدرجة أنني لم ألاحظ أن هناك شخص ما يجلس أمامه..

اقتربت منه مبتسمة، هائمة في خيالاتي، كانت عيناه غريبتان.. وكأنه يحذرني..

لم أفهم نظراته، اقتربت أكثر، ولحسن الحظ أنني استوعبت ما يحصل قبل أن أصل إليه..

كانت هناك امرأة تجلس إلى طاولته، امرأة عرفتها من انعكاس وجهها على مرآة مقابلة..

كانت الدكتورة رهام تجلس مع وليد..

وقد أتت من الكويت لمفاجأته ولتفسد علي أجمل ليلة في حياتي!

تجمدت قدماي.. حدقت بوليد بنظراته المذعورة، شعرت أنه صغير،

صغير جداً، شعرت أن حجمه قد انكمش وكأنه تحول إلى قزم!

استدرت لأعود من حيث أتيت وكل ما فيّ يرتعش خوفاً وغضباً..

خرجت من المطعم كسارقة تخاف اكتشاف أمرها أمام الأمن..

ركبت المصعد وأنا أحاول تمالك نفسي، كنت امرأة مختلفة عن تلك التي ركبته منذ قليل..

وصلت لغرفتي وأنا ألهث، وكأنني جريت مئات الأميال، رميت نفسي على سريري..

وانهرت في نوبة بكاء طويلة وأنا أخلع حذائي لأرمي به على الحائط بقوة وأشد عقد اللؤلؤ من على رقبتي وأقطعه لتتناثر حباته حولي كدمعات متجمدة باردة..

تكشفت لي الحقائق خلال بكائي المؤلم، إنني لا شيء، فأنا مجرد امرأة تافهة يخفيها وليد عن عالمه، وفي عالمه الحقيقي لا وجود لغير زوجته الدكتورة..

إنها الزوجة المشرفة التي تظهر معه أمام المجتمع..

في حين أبقى أنا في عتمتي كجريمة يجب التستر عليها..

صحيح أنني قبلت هذا الوضع على نفسي، ورضيت بوجود وليد في حياتي على هذا النحو واكتفيت بما يعطيه لي من محبة، لكنني اكتشفت الآن والآن فقط أنني محرومة من الكثير من الأمور، محرومة من الظهور مع زوجي في الأماكن العامة، بأن أتعشى معه في أحد المطاعم، أن أدخل معه السينما، أن يسمح لي بأن أعرف نفسي كزوجة له، زوجة لا تخاف شيئاً، لأنها لم تفعل شيئاً بالحرام..

أنا لم أخطئ، أنا أحببت وليد وهو أحبني، ولو كانت زوجته تكفيه لما بحث عن غيرها..

كنت أبرر لنفسي، لكنها كانت الحقيقة أيضاً، فالدكتورة رهام لم تكفيه، لابد أن وليد وجد عندي شيئاً لم يجده عندها.. ما الذي أملكه أنا غير الطيبة والغباء؟

تحسرت وأنا أتخيلها تتناول عشاءها معه وأنا أبكي هنا في غرفتي..

أنا النكرة التي يحرص وليد على إخفاءها..

وهي الحقيقة التي يسطع نورها أمام الجميع..

لم أستطع فتح أزرار ذلك الثوب اللعين وحدي، احترت كيف أخرج نفسي منه، لم أعرف كيف أتصرف، حاولت الوصول لتلك الأزار وفكها بيدي المعاقة بلا فائدة، غضبت، ضربت تلك اليد التي أكرهها بالحائط، فتلويت ألماً، بكيت وأنا أقبلها وأعتذر منها..

شعرت أنني سأفقد صوابي إن لم أخلع هذا الثوب عن نفسي، شعرت أنه صار يخنقني ويسمم جسدي، ودون تردد، أمسكت المقص وقصصت الثوب لأتخلص منه..

وقفت بجسدي الحر على أنقاض الثوب الذي كان جميلاً في يوم من الأيام..

دست عليه بقدمي وأنا أتجه لتوضيب حقيبتي لأعود إلى الكويت وحدي في صباح اليوم التالي..

(38)

خرجت من مطار الكويت الدولي إلى الشارع وركبت سيارة أجرة، لم أعط السائق عنوان شقتي، بل أعطيته عنوان أمي..

لن أعود لتلك الشقة، ولا لذلك الوضع المهين، يجب على وليد أن يضع النقاط على الحروف، وأن يوضح لي إلى أين سيأخذني مستقبلي معه..

لن أرضى بهذا الظلم ثانية، عليه أن يعدل بيني وبين الدكتورة رهام مهما كان الثمن، فهذا ما أوصى به الشرع، وهذا هو حقي الذي تنازلت عنه فعرضت نفسي للإهانة..

فمادام وليد غير قادر على العدل، ما كان عليه أن يتزوجني ليظلمني كل هذا الظلم.

دخلت على أمي باكية، لم أستطع أن أكابر أكثر، لقد نفذ صبري، لن أتظاهر بشيء، ولن أخفي عنها ألمي.. رميت بنفسي في حضنها وأنا أسمح لنفسي بالانهيار أخيراً..

ثارت أمي، لامتني لأنني لم أستمع لكلامها منذ البداية، لامتني لأنني لم أتزوج عبدالله، لم أرد عليها، كانت محقة، لن أدافع عن تصرفاتي الخاطئة، أنا التي اخترت الظلام على النور ورضيت بالإهانة على نفسي.

ليتني لم أسافر، ليتني لم أعرض نفسي لتلك المهزلة، ليتني بقيت غارقة في سباتي مكتفية بما لدي.. لكن الوقت قد حان لانتفاضة يجب علي أن أقوم بها من أجل ما تبقى من كرامتي..

أتى مسعود زوج أمي من عمله وفوجيء بوجودي، لاحظ بالطبع حالتي المزرية وآثار الدموع على وجهي وعيني المتورمة فلم يعلق، إنه رجل محترم، وفي كل يوم يمر كان إعجابي به يزداد..

رحب بي وتحمد لي بالسلامة دون أن يستفسر عن شيء، رددت عليه بلطف وامتنان لأنه لم يحرجني، تناولت الغداء معه ومع أمي بصمت، ثم صعدت إلى غرفتي لأبدل ثيابي..

غرفتي القديمة، كان شعوراً غريباً أن أعود إليها، وكأنني لم أفارقها قط..

تنهدت، فتحت دولابي، رأيت ملابسي القديمة، ارتديت بيجامتي، كانت فضفاضة بعض الشيء، لقد خسرت بعض الوزن، نظرت لوجهي الشاحب بالمرآة بأسى.

كان هاتفي النقال مغلقاً، قررت أن لا أفتحه لأقلق وليد علي، لن أريح باله ولن أخبره أين أنا، لابد أنه سأل عني باستعلامات الفندق وعرف أنني رحلت..

لابد أنه خمن أنني عدت إلى الكويت.. ومن لي غير بلدي.. ومن لي غير حضن أمي..

في اليوم الأول قاومت فتح هاتفي، وفي اليوم الثاني قاومت أيضاً، لكن في اليوم الثالث انهارت مقاومتي، فتحت هاتفي.. لتتدفق عشرات الرسائل من وليد..

بدا الهاتف مجنوناً بيدي وكل تلك الرسائل تظهر على الشاشة بشكل متتابع..

إنها رسائل زوجي..

رسائل ممزوجة بالقلق والرجاء..

ابتسمت.. لقد شغلت باله، إنه يرجوني بأن أرد عليه.. يريد أن يطمئن علي..

فتحت الوتساب وكتبت له: أنا في بيت أهلي، عندما تعود سنتكلم، هنا وأمام أمي، لم أعد أطيق هذا الوضع.. ولن أتنازل عن حقوقي أكثر..

أرسلت رسالتي، تأكدت أنها وصلته، ثم أغلقت هاتفي من جديد قبل أن أتلقى رده..

(39)

جلست أمام وليد في حضور أمي..

كان يبدو مرتبكاً، لم يعد ذلك الرجل الكبير الوقور الذي يعرف ما يريد..

بدا مهزوزاً أمامي..

قال وهو ينظر لي معاتباً: ما كان عليك السفر فجأة دون إخباري، لقد أقلقتني عليكِ، كما أنك لم تفتحي هاتفك ولم تتواصلي معي إلا بعد عدة أيام، هذه ليست تصرفات الكبار، لم أكن أتوقع منكِ ذلك..

قلت غاضبة: يا سلام!! ماذا عنك أنت؟ وهل يخاف الكبار من تحمل تبعة أفعالهم؟ أنت تزوجتني.. وتنكرت لي بسبب زوجتك الدكتورة!

قال بحزم: أنا لم أخدعك، شرحت لك ظروفي وأنت رضيتِ بها، كنت سعيدة معي، وراضية عن وضعك، ما الذي تغير؟ ما ذنبي أنا إن أتت زوجتي لمفاجأتي دون علمي؟

لم تحمليننني ذنباً لا يد لي فيه؟

كان النقاش بيننا طويلاً..

غلبني فيه وليد بلا شك..

لأنني شعرت أنني الأضعف فيه، والأكثر ذنباً!

إلى أن تدخلت أمي لتقول: عندما تزوجتك شوق لم تستمع لنصائحي ورضيت أن يكون زواجها منك بالسر لكن الآن حان الوقت لتشهر زواجك منها!

قال وليد: لا، لن يحصل ذلك، اتفاقنا كان واضحاً منذ البداية..

كادت أمي أن تصرخ: تريد أن تبقي ابنتي زوجة بالسر طوال عمرها؟

نظر وليد لأمي بتحدي، شعرت وقتها أنني خفت منه، كانت نظراته نظرات تهديد، لم أرتح لتلك الطريقة التي نظر فيها زوجي لأمي ولم أقبلها.

قلت وأنا أقوم فجأة: عن إذنك..

أوقفني وليد: يجب أن نتفاهم..

نظرت إليه بيأس وعتب وقلت: يجب أن تعترف بزواجنا، لن تربح أنت وحدك في هذه العلاقة، يجب أن أربح أنا أيضاً من هذا الزواج!

تركته يقف أمامي مصدوماً، وصعدت إلى غرفتي..

لاحقاً أتت أمي وهي تؤيدني على تصرفي، قالت أنني أخيراً صرت قوية ووضعت لنفسي قدراً بعد أن رخص بي هذا الرجل وركنني على جانب حياته..

تقاذفتني الأفكار والوساوس تلك الليلة، ماذا لو تركني وليد؟ ماذا لو انسحب من حياتي؟

شعرت بشك كبير بحبه لي، لكن مهلاً، أليس هو من ركض ورائي وطلب يدي بعد أن كدت أتركه وأتزوج بغيره؟

علي أن أهدأ وأصبر، إلى أن تتحقق مطالبي.. يجب أن يكون نفسي طويلاً..

تنهدت وأنا أطلب من الله العون والقدرة على الصمود والصبر..

ونمت نوماً قلقاً تخللته أحلاماً مزعجة..

مر اسبوع على ذلك اللقاء، اسبوع لم يتوقف فيه وليد عن إرسال الرسائل لي..

في الاسبوع التالي تجاهلني وليد تماماً وكأنه قد تبنى طريقة جديدة للتعامل مع عنادي..

كدت أضعف وأكلمه، لم أكن أريد خسارته، لكنني صمدت..

وفي الاسبوع الثالث وجدته وهو ينتظرني عند سيارتي في نهاية الدوام..

طلب مني برجاء أن أركب معه لنذهب لمكان نتحدث فيه وحدنا فوافقت وركبت معه بعد أن طلبت من السائق أن يبقى في انتظاري.

أخذني وليد للبحر، وأمام الأمواج المتلاطمة كان حديثنا..

قال: فكرت كثيراً بما قلته لي، لن تخرجي من هذا الزواج خاسرة يا شوق..

قلت له: إذن؟

قال: أتريدين أن أشتري عقاراً باسمك؟

قلت وأنا أشيح بوجهي عنه: أنا لا أتكلم عن الماديات، تعرف أنها لا تهمني..

سألني: اطلبي أي شيء، إلا أن أخبر رهام عن زواجنا..

نظرت إليه، قررت أن أستغل تلك الفرصة لأطلب أجمل طلب، ولأحقق أكبر أمنية في حياتي..

قلت وأنا أنظر إليه: أريد أن أنجب طفلاً..

نكس وليد رأسه..

قلت وكأنني أرجوه: طفلاً واحداً فقط، أريد أن أصبح أماً وليد، مستعدة أن أدفع عمري كاملاً من أجل ذلك.. أرجوك، حتى لو بقيت زوجتك بالسر طوال عمري لن آبه ما دام معي طفلي..

صمت وليد، تحرك بسيارته ليعيدني من حيث أخذني..

بقيت أنا أيضاً صامتة وكل ما في ينطق بالخيبة..

انهمرت دموعي ببطء، لم أرد أن أبدو ضعيفة أمامه، لكنه كسرني، كسرني فعلاً وشتتني، لم أشعر بالمهانة قدر ما شعرت بها في الأيام السابقة، هروبي من مصر بسبب وجود زوجته، عودتي للكويت وحدي، وقبلها ركوبي بالطائرة وحدي أيضاً كي لا يراني أحد برفقته..

ثم وجودنا معاً في نفس الفندق لكن بغرف منفصلة، وإحراجه لي أمام نفسي عندما انسحبت هاربة لأن زوجته وصلت قبل وصولي للعشاء.

وصلنا لمواقف عملي، هممت بالنزول وكل ما في ينزف..

قال وليد: انتظري شوق..

التفت إليه، قلت بحدة: ماذا بعد؟ ستطلقني؟

رمش بعينيه، قال باستنكار: أطلقك؟؟

قلت وأنا أعاود البكاء: لن أستغرب إن فعلت.. صرت أتوقع منك كل شيء..

أمسك يدي، قال بحنان: إذن سأفاجئك بأمر لم تتوقعيه..

نظرت إليه مترقبة، فقال: ستنجبين طفلاً، طفلاً واحداً فقط..

نظرت له بدهشة..

فأومأ برأسه مؤكداً..

ارتميت على صدره دون أن أهتم لوجودنا في الشارع وأنا أبكي فرحاً هذه المرة..

(40)

وحملت بعد أربعة أشهر، كانت فرحتي بحملي أكبر من أي فرحة مررت بها في حياتي كلها..

إنها فرحة لا تضاهيها أي فرحة أخرى..

بشرت أمي بالخبر السعيد، فضمتني إلى صدرها بفرح، لقد أشعرها حملي بالأمان، وبأن وليد صادق في نواياه نحوي، لن يتلاعب بي، فأنا سأصبح أم طفله، سيربطه بي ولد أو بنت، يارب اجعلها بنت، أريد بنتاً، فأنا أحلم ببنت..

لم أتعرض للتوعك في بداية الحمل، لا غثيان، لا تعب، ولا حتى أي شعور بالاختلاف، خافت أمي وأصرت أن نراجع الطبيبة بسرعة.. خافت ألا يكون الحمل سليماً..

لكن مخاوفها تبددت ولله الحمد، كان الجنين بخير، وقلبه الصغير ينبض بكل قوة..

أحببت طفلي منذ عرفت أنه يسكن أحشائي، أحببته حقاً، كنت أكلمه، أتحدث إليه وأبثه كل مشاعري، وعدته بأن أكون أماً صالحة وأن أحميه وأحافظ على صحتي من أجله.

دللت نفسي خلال الحمل، اهتممت بغذائي وبكل شيء يخص حملي..

كان وليد محايداً في شعوره، لم يبدو أنه سعيد بحملي ولا مستاء منه..

عندما بشرته بالخبر كان يتناول غداءه معي، ترك الشوكة التي بيده لبرهة، ثم رسم على وجهه ابتسامة مصطنعة وبارك لي وكأن هذا الحمل يخصني وحدي، لم أعاتبه ولم أفسد فرحتي بجنيني، فأنا ممتنة لأنه وفى بوعده وسمح لي بتحقيق حلمي بالأمومة.

لم نكن نتحدث معاً عن طفلنا القادم، كان وليد يتجاهل حملي، وعندما وصلت للشهر الرابع انتفخ بطني، فنظر إليه بدهشة، وكأنه نسى أن هناك مخلوقاً ينتمي إلينا معاً ينمو بأمان داخلي...

في نهاية الشهر الرابع أتى موعدي مع الطبيبة، ذهبت وحدي لأعرف جنس جنيني..

قالت الطبيبة وهي تبتسم لحماسي: تريدين ولداً أم بنتاً..

قلت بحماس: أتمنى بنتاً..

ابتسمت وهي تحرك جهاز السونار على بطني..

اتسعت ابتسامتها اللطيفة وهي تقول: مبروك، إنها بنت فعلاً.. لقد تحققت أمنيتك..

كدت أطير من الفرح عندما عرفت أن ابنتي قادمة للدنيا..

ابنتي.. كان لتلك الكلمة مذاقاً خاصاً انعكس على كل جوارحي..

قلبها النابض الصغير الذي يدق داخل أحشائي، كم أخاف على هذا القلب.. كم تعني لي كل دقة من دقاته، أريده أن ينبض بالفرح، سأحرص على أن يكون هذا القلب سعيداً والويل والثبور لمن يؤذيه..

خرجت من عند الطبيبة وأنا أحمل صورة السونار في يدي وأتطلع إليها غير مصدقة، إنها ابنتي، ابنتي أنا، قطعة مني، سأربيها أحسن تربية، سأدللها، سأحملها بقلبي دائماً، حتى وإن عجزت يدي المريضة عن حملها كما يجب سيقدر قلبي على ذلك.

طلبت من السائق أخذي للمجمع التجاري، نزلت وأنا أشعر أن الدنيا صارت ملك يدي..

دخلت لمحل يبيع ملابس الأطفال، قلت للبائع: أريد فستاناً ورديًا..

أردت أن أشتري أول هدية مني لابنتي، فاشتريت عشرة أثواب..

كلها بألوان زاهية، وبمقاس صغير جداً، ملابس مبهجة وكأنها ملابس للدمى، فدميتي المفضلة قادمة.. أحبك يا ابنتي.. أحبك..

أخذت مشترياتي وذهبت لمنزل أمي، دخلت بلا موعد، كانت تجلس أمام التلفزيون مع زوجها، دخلت عليهما وكل ما في يبتسم، نظرت لي أمي متساءلة، أخرجت أحد الأثواب الوردية وقلت وكأنني أغرد: أنا حامل ببنت!

ابتسمت أمي، بارك لي مسعود بحرارة، سألني: ماذا ستسمينها؟

احترت، قالت أمي بسرعة: سميها على اسمي، أنتِ ابنتي الوحيدة، لا أظن أن هناك أغلى مني لتسمي ابنتك عليها.. صحيح؟

أحرجتني أمي كثيراً، لم أكن أريد أن أسمي ابنتي عليها، أريد اسماً جديداً، اسماً يخفق له قلبي بالأمل واسم أمي يجعلني أرتبك.. لا أريد أن أردده طوال اليوم، ليس لأنني لا أحبها ولست ممتنة لها، لكنها لم تكن أماً مثالية برأيي ولم أكن أريد أن أصبح مثلها..

لا أريد أن أشعر ابنتي أنها ما وجدت إلا لتتزوج وما خلقت إلا لتكون لرجل، لا أريدها أن تعاني مثلي وأن تشعر بالضغط لمجرد أنها أنثى وأن وجودها لن يكتمل إلا عندما تتزوج وأنها في سباق دائم مع الأخريات لتصل قبلهن إلى الهدف!

قلت وأنا أداري خوفي من غضبها: يقال أنه فأل غير حسن أن نسمي الطفل على شخص نعرفه وهو على قيد الحياة..

قال مسعود بسرعة لينقذني: صحيح، الأفضل أن تسميها باسم آخر..

قلبت أمي شفتيها، لكن مسعود لطف الأجواء وهو يقترح أسماءً لابنتي، نظرت له بامتنان إنه رجل صالح، لقد أخطأت في حقه يوم حكمت عليه بالعكس لمجرد أنه أراد الزواج من أمي..

في تلك الليلة زارني وليد في شقتي، جهزت له عشاء خفيفاً، كانت الدكتورة رهام مدعوة إلى عرس وستتأخر فأتى ليقضي السهرة معي.

في منتصف الليل وضعت شمعة وردية اللون أمامنا وأضأتها..

جلست أمام وليد وأنا أبتسم..

نظر لي: تبدين سعيدة اليوم..

مكتبة
t.me/t_pdf

أشرت نحو الشمعة: سعيدة بسببها..

نظر للشمعة مفكراً لبرهة ثم ظهر عليه الفهم: بنت؟

ضحكت: نعم، إنها بنت..

قام وليد وقبل رأسي.. فقبلت يده.. نظرت إليه بامتنان: شكراً لأنك منحتني بنتاً..

ابتسم وهو يربت على شعري: أنا سعيد من أجلك وأتمنى أن تكون تشبهك..

تنفست بارتياح، ودعوت الله من صميم قلبي أن تمر الأيام سريعاً لألد ابنتي بالسلامة وأراها في حضني لأرتوي من وجودها فرحاً...

(41)

كانت علاقتي بأبي متذبذبة في الفترة الأخيرة..

لم أعد مقربة منه كالسابق وزياراتي له أصبحت متباعدة...

اتصلت بي ريم لتخبرني أن أخي سلمان قد تخرج من الجامعة، كان أخي يدرس في الخارج، قالت ريم أن عشاء عائلياً سيقام على شرفه في منزل أبي في اليوم التالي ودعتني للحضور.

كنت وقتها في الشهر الثامن من حملي، كنت متعبة، وقد تورمت أطرافي، لكنني قررت الذهاب إكراماً لأخي الذي أحبه..

في تلك الفترة كنت في إجازة من العمل، فلم أعد قادرة على القيام بمسؤولياتي على أكمل الوجه فقررت البقاء في المنزل إلى أن يحين وقت ولادتي..

في صباح اليوم التالي ذهبت للتسوق، دخلت أحد المحلات لأشتري هدية لأخي بمناسبه تخرجه.. اخترت له محفظة من الجلد وعلاقة مفاتيح من نفس الماركة..

انتظرت الموظف لينتهي من تغليف هديتي وأنا أشعر بركلات ابنتي بداخلي فابتسمت وأنا أربت على بطني بحنان..

تحركت من مكاني لأعاين حقيبة أعجبتني وبتلك اللحظة دخلت الدكتورة رهام للمحل وصارت تقف أمامي مباشرة..

ارتبكت، ارتبكت لدرجة أن الحقيبة وقعت من يدي، وعرفتني هي بمجرد أن وقعت عيناها علي..

شعرت وقتها أنني سألد من شدة الخوف، تسارعت دقات قلبي وكأنني مجرمة تم القبض عليها وهي متلبسة بالجرم المشهود، انحنيت لألتقط الحقيبة التي وقعت مني فأحسست بألم في ظهري..

تقدمت مني رهام، كانت تنظر لي باستخفاف، وقفت أمامي مباشرة وهي تقول: مرحباً!

نظرت إليها، ياه كم هي متكبرة متعجرفة بملابسها الباذخة التي تشي بوضعها الاجتماعي وثرائها، كانت امرأة يمكن وصفها بكل الصفات إلا الرحمة، لقد نزع الله الرحمة من قلب هذه الإنسانة نزعاً..

لم أستطع تمالك نفسي، كنت أرتعش، فأنا حامل من زوج هذه المرأة، وهي لا تعرف أنني ضرتها.. كان ذلك الموقف أكبر مني وأسوأ مما يمكنني احتماله.

قالت رهام: إذن تزوجتِ؟ ألف مبروك..!

قلت ببرود: شكراً..

تركتها، لم ألتفت لها، ولم أقل لها أكثر..

تقدم مني البائع وهو يناولي الهدية التي اشتريتها لأخي، أخذت الكيس منه دون تفكير بيدي المريضة، عادة لم أكن أستخدم هذه اليد، لكن من شدة ارتباكي مددتها له فوقع الكيس على قدمي وآلمني.. ضحكت رهام بسخرية، حدجتها بنظرة غاضبة فلم تكترث، كانت تنظر لي باحتقار، سيئة هي هذه

المرأة، كرهتها كما لم أكره أحداً في حياتي، إنها تهزأ بي، ولو عرفت من أكون حقاً لكنت أنا أولى بأن أهزأ بها!

أخرجت رهام أسوأ ما فيها، جرحت إنسانيتي بوقاحتها، أمسكت كيس الهدية بيدي السليمة بعد أن ساعدني البائع وخرجت من المحل وأنا بالكاد أرى طريقي.

أتى وليد لرؤيتي عصر ذلك اليوم، كان متوتراً، قالت له رهام عن لقائها بي، كانت سعيدة لأنني تزوجت، قال وليد: آه لو تعرف من يكون زوجك!

صمت، كنت أحس بالضعف والعجز، أكمل وليد: قالت أنها رأتك، وأنك حامل، وأنها سعيدة لأنكِ اختفيت من حياتي بعد أن طردتكِ منها!

تنهد وليد: لقد ضغطت علي يا شوق، لم يكن من المفروض أن تحملي! ولم يكن علي أن أخضع لتلك الضغوط!

ارتجف قلبي، إنه نادم لأنني سأصبح أماً لطفلته، يقول هذا الكلام وبطني منتفخ أمامي، يقوله بمنتهى الوقاحة لأن زوجته المصون صادفتني في أحد المحلات، لأي مدى يخاف هذا الرجل من زوجته؟؟

قلت غاضبة: أجننت وليد؟؟ أنت تتكلم عن حياة ابنتنا، طفلتنا قادمة، وفي يوم ما يجب أن تعرف رهام بالأمر!

جن وليد، صرخ في وجهي كما لم يفعل من قبل: هكذا الأمر إذن؟؟؟ حملتِ لتفضحي أمر زواجنا في النهاية..

صرخت: أفضح أمر زواجنا؟؟؟ وهل زواجنا فضيحة؟؟؟ إنه زواج رسمي وبالحلال، إنه شرع الله، أنت أحببتني وأنا أحببتك، لم علينا إخفاء هذا الزواج

عن الناس؟

جن وليد أكثر: هكذا الأمر إذن؟ وأخيراً كشفتِ عن نواياك، وأنا كالمغفل صدقتك، وسمحت لك بإفساد كل شيء.. ماذا أقول لأولادي؟ ماذا أقول لابنتي سارة التي دخلت الجامعة؟ أقول لها أنها تنتظر أختاً بعد كل هذا العمر؟ يالخجلي منها!

صدمني وليد، ترنحت رغم أني جالسة في مكاني، شعرت بالدنيا تدور بي، قلت معاتبة: لم أقصد التغرير بك ولا جرك إلى الاعتراف بزواجنا، أخبرتك قبلاً أنني مستعدة لأن أعيش عمري كله بالخفاء مع ابنتي، لا تظلمني وليد، ولا تتهمني بما ليس في...

قال بحدة: واضح أنك تنوين تخريب حياتي!

بكيت، لم أحتمل المزيد من الاتهامات الجائرة: لا تهمني حياتك الأخرى، ولا أريد تخريبها، لكنك فاجأتني بكلامك الآن، أنت خائف من زوجتك.. من أجبرك على الزواج عليها إن كنت تخاف منها لهذا الحد؟ لا تمثل دور الضحية، فأنت الذي أقدمت على الزواج عليها بكامل إرادتك.. لم أرغمك على شيء ولم أستدرجك..

صرخ وليد وقد تحول إلى وحش، أمسك آنية فخارية أحبها للزينة، ورمى بها على الأرض فتكسرت مصدرة صوتاً أشبه بصوت قتيل أردته ضربة غادرة، أغمضت عيني بألم، قال بصوت بشع: أنتِ استدرجتني، عرفتِ أنني أحبك وأنني ضعيف أمامك فأقنعتني بأن تحملي والآن تدافعين عن حقوقك كاملة، ظهرت على حقيقتك أخيراً..

صرخت من بين دموعي: لا أريد منك شيئاً، اذهب إلى زوجتك واتركني، لا أريد منك أي شيء.. اخرج من هنا ولا تعد، لا تعد إلي أبداً.. أيها الجبان..

أمسك وليد بتلابيب ثوبي وشدني منه لأقف في مواجهته، خفت منه، وضعت يدي على بطني لأحميه، خفت أن يضربني فيؤذي الطفلة المسكينة القابعة في بطني.. نظرت إليه برعب، ولله الحمد، اخترقت تلك النظرة قلبه فتركني دون أن يؤذيني..

دفعني بعيداً عنه وهو يستعيذ من شر الشيطان الرجيم، وخرج بعد أن صفق باب الشقة خلفه، فانهرت باكية بمرارة، مرارة لم أشعر بها قبلاً، مرارة الشخص الذي أرخص بنفسه وأخطأ في حقها باسم الحب اللعين..

لم أستطع الذهاب للعشاء في منزل أبي.. اكتفيت بأن أرسلت الهدية إلى أخي فاتصل بي شاكراً..

ومرت أيام الخصام ببطء شديد..

لم أعد أخرج من البيت تقريباً..

لم أعد أقوى على القيام من السرير بعد ذلك الشجار مع وليد الذي لم يسأل عني من يومها.

دخلت الشهر التاسع من الحمل وأنا أشعر بوحدة لا حد لها..

خفت من الولادة..

شعرت أنني وحدي..

كنت فعلاً وحدي، فزوجي غاضب لأنه تزوجني على زوجته وكأنه طفل

وجد نفسه فجأة في مشكلة لا يد له فيها!

الرجل الذي يتخذ قرار الزواج من ثانية عليه أن يتحمل تبعة أفعاله، نتهم المرأة الدخيلة دائماً، لكن الرجل أيضاً يجب أن يتحمل مسؤولية تصرفه واختياره.. وبالنسبة لي كان وليد يحملني الذنب كاملاً لأنه كان مرعوباً من خسارة زوجته وبيته.

بدأت أشعر بتقلصات ما قبل الولادة، كانت تلك الآلام تأتي وتشتد قليلاً ثم تذهب..

صرت أراجع طبيبتي اسبوعياً إلى أن اقترب وقت المخاض وصار قدوم ابنتي أمراً قريباً لا مفر منه..

وفي ليلة شعرت بتلك التقلصات تشتد وتتقارب فعرفت أن الوقت قد حان لألد..

اتصلت بوليد بعد غياب طويل، رن الهاتف طويلاً قبل أن يجيب بجفاء: ألو..

قلت وأنا أبكي: إنني ألد، أنا وحدي، تعال أرجوك.. يجب أن تأخذني للمستشفى!

قال بجفاء قاتل: عقد زواجنا في الدولاب، خذيه واذهبي للمستشفى وحدك، أنا مشغول!

قلت أستجديه: سألد ابنتنا وليد، يجب أن تكون معي!

قال بصرامة: اتصلي بأمك..

أنهى وليد ذلك الاتصال البائس وكأنه أنهى حياتي معه، شعرت بالدنيا تدور بي..

شعرت بأنني أغرق في بحر لا قرار له..

بكيت كما لم أبكِ في حياتي، اتصلت بأمي، فلم ترد، اتصلت على هاتفها النقال، وعلى هاتف البيت وعلى هاتف زوجها أيضاً فلم يرد علي أحد!!!

وجننت، كيف أذهب إلى المستشفى وحدي مع السائق! معقول أن أكون وحدي في موقف كهذا!

لم أعرف لمن ألجأ، فكرت بأختي جود لكنها مسافرة، خفت أن أتصل بزوجة أبي ريم فتغضب مني أمي لاحقاً لأنني أخذتها معي لولادتي..

شعرت بالدنيا تدور بي، فاتصلت بخالتي عنود.. لأستنجد بها..

(42)

كانت خالتي أول من استقبل قدوم ابنتي لهذه الدنيا.. كانت تقف عند رأسي وأنا أصرخ صرختي الأخيرة قبل أن ألد طفلتي..

أدنتها الممرضة من رأسي لأقبلها، كان شعرها لزجاً، وكان لونها الوردي براقاً لامعاً، لم أمعن النظر في تفاصيلها لأن الممرضة أخذتها بسرعة لتحممها..

قالت خالتي بحنان وهي تهمس بأذني: ألف مبروك، ابنتك بخير، إنها تشبهك..

لم أقوى على الرد، كنت متعبة جداً بعد الولادة المضنية..

قالت خالتي: استقبلتك يوم ولدتك أمك وشاءت الأقدار أن أستقبل ولادة ابنتك أيضاً.. كم هو أمر مؤثر..

هززت رأسي المتعب وأنا أحاول أن أبتسم ثم رحت في نوم عميق..

فتحت عيني لأجد أمي بجواري، قالت بسرعة: أبلغت وليد أنك ولدت، فلم يهتم ولم يأتِ حتى الآن..!

تنهدت، لم تمنحني الفرصة لأرتاح، لأتعرف على نفسي من جديد بعد أن صرت أماً..

سألتها بضعف: أين ابنتي؟

قالت بنفاذ صبر: وأين قد تكون؟ إنها في غرفة الأطفال مع الممرضات..

سألت أمي: رأيتها؟

قالت بلا مبالاة: رأيتها خلال النافذة، وجهها منتفخ جداً، لكن ذلك لا يهم، المهم الآن هو والدها.. أين هو زوجك؟ لم أحضرتك عنود للمستشفى؟؟

قلت لها بعتب: اتصلت بك وبزوجك وبالبيت فلم يرد علي أحد..!

ردت أمي رداً كاد يقتلني كمداً: كنا في السينما! والخادمة نائمة فلم ترد على الهاتف الأرضي.

نظرت إليها وأغمضت عيني، ليتني لا أراها ولا أسمعها، ستسمم قلبي وستفسد لحظة لقائي بابنتي بعد الولادة، أعرفها عندما تفعل ذلك.. أعرفها جيداً..

قالت أمي: ألا يخجل زوجك؟ تلدين وهو بعيد عنك، لم يكلف نفسه عناء الحضور من أجلك! وأنت التي أنجبت له ابنة للتو!

قلت ساخرة: لا يهم، فلديه ابنة من قبل، الأمر لا يفرق معه، لكنه يفرق معي كثيراً، لقد أصبحت أماً، وأصبحتِ أنتِ جدة!

وجمت أمي قالت وهي تكرر: جدة!

قلت: نعم، ألم تكوني تحلمين بهذا اللقب؟ تذكرين كم حزنت عندما صارت خالتي عنود جدة قبلك؟ افرحي الآن، لقد صرت جدة!

سكتت أمي قليلاً، كانت تفكر، وكنت ابتسم، لم تعد تريد أن تكبر، إنها عروس!

نطقت أخيراً لتؤكد لي ظنوني: عندما تكبر ابنتك سأجعلها تناديني باسمي،

لا أحب أن تناديني مثل الجدات العجائز!

ضحكت رغماً عني، إنها لن تتغير..

ستظل طفلة مهما كبرت..

أحضرت لي الممرضة ابنتي، انهمرت دموعي بمجرد أن حملتها بين ذراعي، كنت في السرير، فاستطعت حملها دون أن أخاف أن تخونني يدي، صارت ترقد في حضني بأمان فتأملت وجهها، إنها تشبهني، لم أجد لملامح وليد أثراً في وجهها حتى الآن.. إنها ابنتي أنا، وكأنها ابنتي وحدي فعلاً!

حملتها أمي وداعبتها، كانت طفلة وديعة بريئة، سألتني: ماذا ستسمينها؟

قلت وأنا أتنهد: عندما يأتي والدها سوف أسأله..

طلبت من أمي أن تناولني هاتفي النقال، لم أجد أي اتصال من وليد فخاب ظني، لماذا يعاقبني؟ ما الذنب الذي اقترفته ليهجرني وقت ولادتي؟؟

التقطت صورة لابنتي، وأرسلتها له..

لم أكتب له أي شيء، فلا يوجد لدي ما أقوله..

في المساء رحلت أمي وأخذت الممرضة ابنتي..

غفوت متعبة..

لا أعرف كم مر من الوقت عندما أحسست بأصابع وليد تداعب خدي..

تنهدت وأنا أفتح عيني، إنه هو.. عرفت ملمس أصابعه على وجهي قبل أن أفتح عيني، وكيف لا أعرف زوجي؟ حبيبي ووالد ابنتي؟

نظرت له بعتب، ابتسم لي بحنان: إنها تشبهك!

ضحكت: صحيح.. تشبهني كثيراً..

قال: إنها نسخة مصغرة منكِ..

ابتسمت بصمت وأنا أنظر في عينيه.. فربت على شعري..

سألني: أنتِ سعيدة؟

قلت: لم أكن في حياتي أسعد من الآن، لقد صرت أماً.. شكراً لأنك حققت لي أجمل أحلامي..

سألني بقلق: ماذا سيحدث؟

طمأنته: لا شيء، أريد أن أربي ابنتي بهدوء، لا يهمني أي شيء آخر..

سألني من جديد: مستعدة أن تبقي في الظل؟

أومأت برأسي لأنني لم أرد خسارته، حرام أن أحرم ابنتي من أبيها، لا أريده أن ينفر مني ومنها، أريدها أن تعرفه، أن تحبه كما أحببته أنا، أريدها أن تكون مقربة منه.. من حقها أن تعيش في كنفه، ما الذي يفرق معي إن عرف الناس هوية زوجي أو لم يعرفوا؟

لا يهمني الآن سوى تلك الصغيرة النائمة كالملاك، الطفلة التي صنعت مني أماً..

فرح وليد بقراري، قال أنه يحبني كثيراً ولا يريد خسارتي..

وابتسم لي، لكن تلك الابتسامة لم تصل لقلبي، لقد تغيرت نظرتي لوليد، إنه قاس، له جانب مخيف، لقد هنت عليه، تركني وقت ولادتي وحدي، لقد قسى علي، صحيح أنه تراجع عن قسوته وأتى من أجلي في النهاية، لكنه

استطاع أن يقسو، ومن يقسو مرة سيقسو علينا ألف مرة.

سألني وليد برفق: ماذا تحبين أن تسميها؟

ابتسمت له، قلت برقة: آية..

ابتسم لي: آية؟

قلت لأشرح له: لأني أعتبرها معجزة بالنسبة لي، لقد انتظرتها طويلاً..

وافق وليد.. وأسميت ابنتي آية..

خرجت من المستشفى بعد يومين من الولادة، أحضر لي وليد ممرضة لتساعدني في رعايتها خاصة وأنني عدت إلى شقتي ولم أذهب لمنزل أمي كما تقتضي التقاليد..

لم أكن أريد أن أثقل عليها وعلى زوجها.. لم أكن سأرتاح بوجوده، ولم تصر أمي أيضاً على قدومي، أحسست أن حملاً ثقيلاً قد انزاح عنها عندما أخبرتها أنني أريد العودة إلى بيتي مباشرة.

من لي غير بيتي وزوجي؟ لا أحد..

قدم لي أبي شيكاً كهدية لولادتي، كان المبلغ معقولاً، شكرته بامتنان، وفتحت لابنتي حساباً بنكياً لاحقاً وضعت فيه كل الهدايا المالية التي حصلت عليها.

اتصلت بي جود لتبارك لي، لقد أصبحت خالة، كانت مجنونة باللقب، وأتى أخي سلمان لزيارتي في شقتي وحمل صغيرتي طويلاً والتقط معها عشرات الصور..

اكتفت ريم بالمباركة لي عبر الهاتف..

لم تأتِ لرؤيتي، والسبب معروف، لقد خافت من لقاء أمي..

تغيرت حياتي بعد أن صرت أماً، غيرت آية أيامي كلها، حولتها إلى أيام من نعيم، كنت مشغولة بها طوال الوقت، أكاد أعد أنفاسها من شدة مراقبتي لها، أحببت تلك الصغيرة الجميلة التي تشبه القطط، ذكرتني بكاراميل، قطتي الأليفة سابقاً، كانت تشبهها إلى حد كبير خاصة بتلك النظرة البريئة في عينيها..

تعلق وليد بابنته الصغيرة أيضاً، صارت تلك الرضيعة قادرة على جذبه للبيت، صار يشتاقها ويفكر فيها وهو بعيد عنها..

فعندما يرزق الرجل بطفل على كبر يصبح أكثر تعلقاً به..

صار وليد يقضي الكثير من أوقاته عندنا وهو يحمل آية الجميلة ويشبعها تقبيلاً..

كان ينظر لكفها الصغير في يده الكبيرة فيغمر الحنان قلبه..

فرح وليد بتلك الدمية التي غيرت كل شيء في عالمي وعالمه..

صار يتمنى أن يبات معها، يحضنها ويضمها إلى صدره..

مر عام..

وعام آخر..

وأتت أختي جود لتقضي في الكويت شهراً، فقد صارت تقضي معظم وقتها بالسفر مع زوجها..

التقيت بها في منزل أبي.. كانت آية تلعب أمامي في حديقة المنزل، وأنا وجود نشرب القهوة..

سألتني أختي: إذن؟ تعيشين حياة سعيدة أخيراً..

نظرت لابنتي: لم أكن أريد أكثر مما لدي، الحمدلله..

تنهدت أختي: لم يتحقق لي الكثير مما أردته، كنت أتمنى لنفسي حياة أخرى..

قلت لها بهدوء: إنه النصيب، لا أحد يستطيع أن يأخذ أكثر مما قدر له.. كوني راضية بنصيبك لتسعدي..

قالت جود: لا أحب زوجي، إنه مغرور متعجرف، لو ترين معاملته لمن هم أقل منه شأناً لكرهته على الفور..

قلت لها: المهم أن لا يؤثر على طباعك.. كوني أنتِ، لا تتغيري ولا تصبحي مثله..

صمتت جود قليلاً..

ثم قالت: أنا امرأة فاشلة عاطفياً...

لم أعلق.. لم أرد مناقشتها، لقد اقترفت الكثير من الأخطاء.. وتعرضت للكثير من الهزات..

وليس من حقي أن أحكم عليها ولا على أي أحد آخر..

لسنا ملائكة ولن نكون، إننا نتعلم من أخطائنا، فهي التي تصنع من نكون عليه، ومن رحم العذاب تُصقل أرواحنا، فنصل للحكمة، ونتكيف مع قوانين الحياة.

كانت آية تلهو بكرة كبيرة، بدت جميلة متوردة الخدين.. ياه كم أحب هذه الصغيرة..

سألتني جود: ألم تعرف زوجة وليد بعد؟

هززت رأسي كأنني أطرد كابوساً أخافه: لا، أتمنى ألا تعرف، أريد الاستقرار والراحة، وإن عرفت خسرت كلاهما.

قالت أختي: أمرك غريب.. تبدين مستسلمة بشكل فظيع!

ابتسمت: لقد تكيفت مع ظروفي، أنا راضية.. يكفي أن ابنتي معي..

سكتت جود، فقد ضحت بابنها الوحيد منذ زمن، لم تكن علاقتها به كما يجب..

لقد تخلت عنه باكراً، ولم يغفر الصغير الذي كبر بعيداً عنها ذلك أبداً..

علينا أن نتحمل نتيجة أفعالنا، فلكل شيء ثمن..

وعندما يتعلق الأمر بالأولاد يكون الثمن فادحاً وغير قابل للإصلاح، فمن يستطيع تعويض الطفولة المعذبة؟ أو تغيير تلك الليالي المعتمة التي تدثرنا فيها بخيبتنا ونحن في قمة ضعفنا؟

لم تكن أختي تلتقي بابنها تقريباً، وعندما تلتقيه، كان الجفاء سيد الموقف، لم تستطع إذابة الجليد بينها وبينه، ولا حتى التأثير عليه بالهدايا الباذخة التي حاولت استمالته إليها من خلالها.

(43)

أكملت آية عامها الخامس..

إنها أجمل خمسة أعوام في عمري كله..

أعوام هنيئة مليئة بالفرح والسعادة..

طفلة جميلة وزوج محب ونفس راضية، تلك الكلمات كانت الوصف الدقيق لحياتي قبل أن تنقلب رأساً على عقب..

بدأ الأمر عندما أخبرني وليد أن ابنته سارة قد خطبت وأن زواجها صار قريباً، فرحت للخبر، لم يكن الأمر يعنيني لكنه يعني زوجي وبالتالي كان علي أن أظهر الفرح لأن كل ما يخصه يخصني، إنها ابنته الكبرى وجميل أن يراها عروساً...

لم يبدو على وليد الحماس، كان منطفئاً وهو يخبرني، سألته ما الأمر؟ فقال: ابنتي ستتزوج، سأصبح جداً وأنا لازلت أتصرف كمراهق!

صدمني رده الذي لم أتوقعه فقلت باستنكار: مراهق!!!!

قال: نعم، زواج بالسر وأب لطفلة تكاد تكون في عمر حفيدتي! لقد أخطأت في حق أسرتي، ماذا لو عرفت ابنتي أنني متزوج على أمها؟ ماذا لو عرف صهري بالأمر؟

سأكون في موقف محرج، لم أشعر كم خاطرت باستقرار بيتي قدر ما أشعر الآن!

انلجم لساني، شعرت بغضب لا حد له، قلت بحدة: أنت لم تفعل الحرام، نحن متزوجان، وابنتنا هي ثمرة هذا الزواج، وهي أغلى شيء في حياتنا..

سكت وليد، أردفت: ربما هي الأغلى في حياتي أنا فقط، فأنت لديك ابنة أخرى، ابنة تخاف أن تعرف أنها لها أختاً!

قام وليد غاضباً، صار يتحرك بالصالة كوحش تمت محاصرته: ياله من عار! ماذا لو عرفت ابنتي الحقيقة، يا له من أمر مخجل.. كيف سأواجه المجتمع والناس!

كانت كلماته تلك تدمي قلبي بشدة، شعرت أنني مضعضعة، شعرت أنني ريشة في مهب الريح، شعرت أنني لا شيء.. وكأن ابنتي ليست ابنة شرعية!

ضايقني هذا الشعور، قلت لوليد: وما الحل برأيك؟؟

قال ببرود: لا أعرف..

انفجرت في وجهه: وأنا التي كنت أظنك سعيداً معي!

قال: عن أي سعادة تتحدثين؟ في كل مرة تذهبين فيها للطبيب أو للمدرسة، أشعر بالخوف من أن يتعرف أحد على اسمي الملتصق باسم ابنتي، أخاف من الفضيحة القادمة لا محالة..

صرخت في وجهه: ها أنت قلتها بنفسك، ابنتك! إنها ابنتك وليد!! فأين الفضيحة في الأمر؟

قال بضجر: أنت لا تريدين أن تفهمي! ستفسد الحقيقة كل شيء..

قلت متحدية: ستفسد صورة الأب المثالي والزوج المخلص الفاضل

الذي لم تكنه، أنت كاذب كبير، تزوجتني وعشت معي بسعادة، لكنك جبان، لأنك أضعف من أن تعترف بي وأن تضع رهام أمام الأمر الواقع، وأن تخبرها أنك استخدمت حقك الشرعي ولم تخطيء بشيء!

قال بجدية: لن ترضى بالبقاء على ذمتي إن عرفت أنني تزوجتك!

قلت والشرر يتطاير من عيني: إذن لم تزوجت عليها إن كنت تريدها!!! لم عبثت بمشاعري ومشاعرها هي أيضاً إن لم تكن قادراً على العدل بيني وبينها!

نظر لي وليد لبرهة..

كانت نظراته غريبة جداً..

أحسست وقتها أنه يتمنى لي الشر..

ربما يتمنى موتي ليرتاح من وجودي!

إنه يكرهني..

لا يمكن أن يكون هذا الرجل يحبني!

ليس في تلك اللحظة..

انحنى وليد، وأخذ مفتاحه وهاتفه النقال وخرج...

وانهرت أنا بالبكاء..

ومر اسبوع كامل لم أتصل به بوليد، ولم يتصل بي هو أيضاً..

كنت أتتبع أخباره القليلة من خلال مواقع التواصل الاجتماعي..

لقد أعلن خبر خطبة ابنته الوحيدة سارة!

كتمت الطعنة في قلبي وأنا أضم آية بين ذراعي وكأنني أعتذر لها عن جبن أبيها..

مر اسبوع آخر...

فضعفت، اشتقت إليه، إنه زوجي، وأنا أحبه وأريده..

علي أن أحتمله، لقد قدم لي الكثير، لا يجب علي أن أتركه يرحل.. لن أتركه، مازلت أريده، فأرسلت له رسالة قرأها ولم يرد عليها..

فانقبض قلبي، انتظرت لبعض الوقت، وعندما أصر على تجاهلي أصريت على اقتحام هروبه، يجب علي استعادته، اتصلت به فلم يرد، فعاودت الاتصال، مرة، مرتين، ثلاثاً، لكنه لم يرد..

رميت الهاتف بعيداً عني، وانهرت في نوبة بكاء عنيف..

مر شهر على غياب وليد، شهر كامل لم أسمع فيه صوته ولم أتواصل فيه معه..

كان يحول مصروف البيت على حسابي الخاص بأمر دفع تلقائي في بداية كل شهر، وصلتني رسالة البنك التي تؤكد إيداع المبلغ في حسابي فشعرت بالارتياح..

على الأقل ما زال يصرف علي وعلى ابنتي...

ما زال رجلنا وأبانا...

صعبة هي الحياة مع الانتظار، أن تنتظر حكماً يصدره عليك أعز الناس على قلبك..

حكم قد يكون جائراً فينزعك من جذورك.. كنت أتألم، وأخاف.. لكنني لم أجرؤ على الاقتراب أكثر.. يجب أن أصبر وأنتظر إلى أن يعود لي بنفسه..

توقفت عن إرسال رسائل الاستجداء، لم أعد أتوسله بأن يرد علي ولو بكلمة واحدة!

وتوقفت عن الاتصال به..

كنت أتعذب بشدة..

وكان هو أقسى من الحجر..

تزوجت سارة، نشر وليد صورة له في عرسها وعريسها الوسيم يقف بجواره، كتب تحت الصورة، أهلا بصهري، أهلا بك بالعائلة.. زوج ابنتي الغالية!

ماذا عن ابنتي أنا؟ أهي رخيصة مثلاً؟ أليست غالية على قلبه!!! تلك الطفلة المسكينة التي لا ذنب لها في شيء.. لا ذنب لها في أخطاء الكبار واختياراتهم الخاطئة وقراراتهم الحمقاء!

كنت أنظر إلى المرآة فلا أعرفني، وجه شاحب فقد نضارته، جسد نحيل ينهشه القلق، وشعر يتساقط من قلة الغذاء..

فكرت بزيارة الطبيب النفسي، أريد أن أنام كالبشر، أعصابي تالفة، وصحتي بتدهور مستمر، أخذت موعداً للطبيب وألغيته في اللحظة الأخيرة، لقد خفت، خفت أن أدمن الأدوية النفسية، أخاف أن لا أستطيع الخروج من دائرتها إن تعودت عليها، شعرت برعب كبير منها، خفت أن تؤثر علي، وأن أفقد ابنتي بسببها!

إن تأثير القلق أخطر بكثير من تأثير الأدوية، لكنني كنت من أولئك الذين لا يملكون الشجاعة ليغيروا عالمهم الداخلي التعيس الذي تجلدهم فيه أفكارهم البائسة.

لم أخبر أمي عن معاناتي، كانت مسافرة مع مسعود لزيارة أهله خلال عطلة الصيف..

ولم أخبر جود لأنها كانت مسافرة مع زوجها..

أما أبي فكان مريضاً، وكانت ريم مشغولة معه على الدوام..

لم يكن حولي أحد ألجأ إليه..

أما خالتي العزيزة عنود، فكانت تتولى رعاية أحفادها لأن باسل وزوجته سافرا ليكملا دراستهما في الخارج وحدهما..

وفي ليلة لن أنساها، سمعت صوت أقدام تقترب من باب شقتي..

خفق قلبي بشدة.. أيكون وليد قد عاد؟؟

لابد أنه هو! فمن سيأتيني في هذا الوقت غيره؟

قمت من مكاني وجسدي يرتجف، كانت الدموع تتجمع في عيني لمجرد تفكيري أنه أتى..

سأرتوي منه بعد كل هذا الجفاء، لن أعاتبه، لكنني سأستحلفه بأن لا يكرر فعلته، لن أقدر على فراقه، لن أحتمل المزيد، ولن أناقشه بشيء.. ليحب أسرته وليخفيني في جحري للأبد يكفيني فقط أن يظل معي، لأنني وحيدة تائهة من غيره..

في نفس اللحظة التي خطوت فيها نحو الباب.. دار المفتاح في القفل..

ظهر وليد أمامي..

مكتبة
t.me/t_pdf

انهمرت دموعي..

جريت باكية كطفلة ضائعة وجدت أهلها بعد غياب...

رميت بنفسي في أحضانه..

تعلقت برقبته وأنا أهمس: اشتقت إليك!

بكيت وأنا أمرغ رأسي على صدره العريض..

كان صامتاً كجبل، واقفاً دون أن يحرك يديه ليضمني كما أضمه..

فتحت عيني، لأصحو من غيبوبة فرحي ووليد يقول: شوق، يجب أن نتكلم!

(44)

عندما يتخذ المرء قراراً بالرحيل فلا شيء يمكن أن يبقيه بعدها..

لا الدموع ولا التوسلات ولا الذكريات الجميلة الطويلة ولا حتى الطفلة التي تجمع بيننا..

قال إنه لم يعد يريدني، لم يعد يريد حياة مزدوجة بين بيتين وبيته الأول أولى به مني..

لديه ابنة متزوجة، وابن سينهي دراسته قريباً وزوجة تشاركه كل شيء، زوجة لن يستطيع تحمل تكلفة غضبها..

نظرت إليه، قلت مهددة لأحرق آخر ما بقي لي من أمل: إذن سأخبرها أنا! سأشي بك عندها، لن أسمح لك بالتلاعب بي!

ابتسم وهو يقول: لقد أخبرتها بنفسي وانتهى الأمر!

فتحت عيني بدهشة.. وأنا أكاد أكذب أذني.. أأخبرها؟ هو أخبرها! معقول!!!

قال إنه صارحها بالحقيقة، وأنها كانت غاضبة ثائرة خلال الفترة الماضية لكنها سامحته بالنهاية على شرط أن يطلقني بهدوء ودون أن يعرف أحد بغلطته!

غلطته؟؟؟ نعم، أنا غلطته، لست سوى نزوة في حياته، كانت هي الأصل دائماً، وكنت أنا دائماً في الظل..

سألته والدموع تتجمع في عيني: ماذا عن آية؟؟

قال بقسوة: آية ابنتي، سأصرف عليها وسأراها بين حين وآخر، لا تقلقي بشأنها، لن أتخلى عنها، فهي من لحمي ودمي.

قلت باستعطاف: وأنا؟؟ تتخلى عني وليد؟؟ بهذه السهولة تتركني؟؟

قال: لا يوجد حل آخر، لن أهدم حياتي وبيتي وعملي من أجلك شوق، أنا حقاً آسف.. لقد استوعبت أخيراً فداحة جرمي بحقهم!!!

بكيت..

بضعف وخذلان، كرهت ضعفي كثيراً، ظلت ذكرى هذا الموقف المهين تطحنني كلما مرت علي، كنت ضعيفة، كنت متسولة، والحب الذي نتسوله لا يستحق أن يكون حباً..

فكل ما نتسوله نحصل عليه ممزوجاً بطعم الذل والمهانة.. وكلاهما طعمه مر لاذع..

سألته: ماذا عن جرمك في حقي؟

قال بغرور طاووس: أعطيتك بيتاً وبنتاً، ألا يكفيك ما حصلتِ عليه مني؟

نظرت إليه وكأنني أراه لأول المرة، الرجل الخبير بالنفس الإنسانية والذي يلقي المحاضرات عن التنمية الذاتية لم يكن سوى كذبة كبيرة، فهو أبعد ما يكون عن الإنسانية ولا يوجد أفضل منه في هدم الذات!

قام وليد، نظر إلي مودعاً: أنا آسف إن كان الأسف سيريحك.. لكنني مضطر..

لم أتكلم.. عجزت عن النطق..

أكمل مسرحيته: سأرسل لك ورقة الطلاق في أقرب فرصة!

بلعت لساني هذه المرة..

نظر نحوي.. وقبل أن يسدل الستار على الفصل الأخير من قصتنا معاً قال:

أنتِ طالق!

انتظار
النصيب

(45)

ومرت الأيام والسنين..

ودارت دائرة الزمن، ليعيد نفسه من جديد..

صرت أماً وحيدة لفتاة وحيدة..

تماماً كما كنت أنا وأمي..

الفرق الوحيد أنني لم أكن مثلها..

ولن أكون..

سأحرص على أن أتجنب كل الأخطاء التي وقعت فيها أمي..

تلك الأخطاء التي دمرتني وعذبتني طوال عمري..

لن أتبنى تلك الأفكار العقيمة..

الأفكار التي تجعل من البنت سجينة تنتظر الفرج في بيت أهلها..

الأفكار التي تجعلها ضيفة ثقيلة عليهم عندما يتأخر نصيبها في الزواج..

تلك الأفكار الظالمة التي حطمت معنوياتي وآذت نفسيتي وسرقت مني أجمل سنوات حياتي وجعلتني دائماً في حالة انتظار لرجل قد يأتي وقد لا يأتي!

لن يكون زواج ابنتي هو المصير الأهم الذي أتمناه لها..

والهدف الأوحد الذي أريدها أن تحققه لأفتخر بها..

لن أضغط عليها أبداً لتتزوج..

لن أدمر حياتها وأسرق منها راحتها وأسلبها أمانها..

لن أقارنها بغيرها.. أبداً لن أفعل..

لن أشعرها أنها عالقة معي، إلى أن يأتي رجل ما ليريحني من وجودها..

لن أوهمها أن حياتها لن تكتمل إن ظلت وحدها..

ولن تزهر إلا في ظل رجل..

يمكننا أن نزهر وحدنا..

بكرامتنا..

باحترامنا لذواتنا..

بتقديرنا العظيم لأنفسنا..

بأن لا نؤذي أحد ولا نسمح لأحد باستغلالنا

واللعب على أوتار عواطفنا..

يجب أن نكون دائماً بخير..

فإن أتى الرجل المناسب فأهلاً وسهلاً به..

وإن لم يأتِ فنحن كاملات جميلات فاتنات من دونه..

وللحياة أوجه كثيرة للعطاء..

نحن لم نخلق فقط للإنجاب..

نحن خُلقنا لنعمر الكون بطرق مختلفة..

ولكل منا غاية وهدف..

ولكل منا مجال وشغف..

وكلنا في النهاية.. نستحق السعادة..

سواء كنا عازبين، أو متزوجين..

فأنا أعرف كيف تعيش العالقات في الحياة، وهن في انتظار النصيب..

تمت بحمد الله

الأحد 18 يوليو 2021

مكتبة
t.me/t_pdf

مكتبة
t.me/t_pdf

في انتظار النصيب

في عيد ميلادي الخامس و العشرين ولولت أمي لأني وصلت لمنتصف العشرينات دون أن أتزوج !

قالت لي قبل أن أطفىء شموع عمري : عليك الانتباه ، صرت في منتصف الطريق للثلاثين ، ستتغافلك الأيام و تصلين فجأة للأربعين و تجدين نفسك وحيدة ..

ولم أحتمل كلامها القاسي و كدت أبكي أمام كعكتي المسكينة ..
قاطعها جدي جزاه الله خيراً و طلب مني أن أنفخ على شموعي لتنطفىء وأنا أتمنى أمنية !

تمنيت وقتها أن أتزوج ، أريد فعلاً أن أتزوج لأرتاح من تلك الضغوطات التي تمارسها علي أمي و التي تشعرني أنني عجوز و أنا لا زلت في العشرينات من عمري !

شعرت أمي بالذنب نحوي لاحقاً ، فأتت لغرفتي قبل أن أنام ، اندست في سريري وضمتني بين ذراعيها فتنهدت ، كانت تلك اللحظة من اللحظات القليلة الحانية التي تجمعنا .. فلحظات الخلاف والشجار كانت أكثر بكثير من لحظات الحب والصفاء بيننا .

telegram
@t_pdf

منشورات
ذات السلاسل
الكويت

P.O.Box 12041 Al-shamiyah, 71651 Kuwait الناشر ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

Thatalsalasil
Thatalsalasilbookstore
www.thatalsalasil.com.kw
+965 22466266/55
+965 22438304
info@thatalsalasil.com.kw